زاد الدعـــاة

عبد المنعم عبد الوهاب المغازى

مكتبة الإيمان
المنصورة . أمام جامعة الأزهر
ت . ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

تقريـــظ

بقلم فضيلة الشيخ / مأمون السعيد شرف الدين مفتش مساجد

بوزارة الأوقاف بمصر والمبعوث لوزارة الأوقاف بالكويت

الحـمد لله رب العـالمين ، والصلاة والـسلام على إمـام المرسلين ، والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد

أخي القاريء الكريم ، بين يديك كتاب فريد فى نوعه ، متميز في بابة ، لايدع شاردة ولا واردة إلا سلط الضـوء عليها ، معتـمدا على الأدلة من كتـاب الله وسنة رسوله وعلى الآثار والقصص الهادف . . ولـقد قرأت الكثير من كتب الخطابة ، فما أغنـى كتاب منها عن هذا الكتاب ، لما حواه أسلوبه من إحاطة وشمول . .

وهذا الكتاب ثمرة مباركة لعمل ما يزال يتواصل فى ميدان الدعوة، فلقـد مارس مـؤلفه الخـطابة في مصـر والسعـودية والكويت ، وكـانت له إسهامات في تحرير الخطب التى توزع من قبل وزارة الأوقاف بالكويت على الدعاة والأئمة ، وهذه شـهادة من زميل ليس دخيـلا على ميدان الدعـوة ، فلقد حملت أمـانة الكلمة لأكثر من ثلاثين عامـا بمصر واليمن والكويت ، وعرفت المؤلف منذ كنا طلبـة في كلية أصول الدين وعـملنا سويا بالكويت وهذه أبيات متواضعه أقولها تعبيرا عن تقديرى للكتاب واعتزازي بمؤلفه

هذا كتاب مشرق الصفحات   هـذا نـداء واضـح النبـرات

طات نسائمـه وطاب أريجـه   أكرم بـه مـن ثاقـب النظرات

جاءت صحائفـه تفيض عـذوبـة   تهـدى الشقي المكثر العثـرات

يا خيـر سفر للواعظين يضمهـم   يا خيـر فـج للسالكـين هـداة

يـا خـر زاد للدعـاة مطهـرا   يا خيـر ورد للهـدايـة هـات

يا درة قـد أنـار ضياؤهـا   وبهاؤهـا للطالـبين عظـات

حق صراح خالص يدعـو لـه   وهداية ميمونة الغدوات والروحات

الزم قراءتـه وداوم قربـه   واحفـظ نصائحه واستزد بثقات

يا مسلمـا يبغى الهدايـة راشـدا   يا طالبـا للزاد يا عالى الدرجـات

بمحبـة أدعـو وصـادق رغبـة   في الخيـر المجتني اليانع الثمرات

أدعو الإلـه السرمدي جلاله   المرتجى للخير والتوفيق والنفحات

انفع بهذا السفر المبارك إنـه   زاد طاهـر ومطهـر لدعـاة

واحفـظ يا إلـهى المغازى إنـه   خير الأحبـة صـادق العزمـات

وارحم بفضلك كاتبا ومقرظا   واشمـل بعفـوك قارئـا بأناة

ثم الصلاة على النبى وآلـه   مـا هـبَّ ريـح طيـب النسمات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله خالقِ السمواتِ والأرضين، والصلاةُ والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. اللّهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلا ، فاجعل لنا كلَّ صعب سهلا ، وارزقنا الاخلاصَ فى النية ، والصدقَ فى الأداء ، والقبولَ فى العمل .. آمين .. وبعد فهذه مجموعةٌ من الخطب المنبريةِ سميتُها (**زاد الدعاة**)

تناولت فيها شتى فروع الأحكام والمبادىء الإسلامية ، من عقائدَ وعباداتٍ ومعاملات وأخلاقيات تَقنع به قريحةُ المثقفين ، وتستسيغه عقولُ الآخرينَ ، دعمتُها بالآيات القرآنيةِ المرقمةِ مع بيان سورها والأحاديثِ النبويةِ المخرجةِ مع ذكر راويها . كذلك استعنتُ ببعض الحكايات وأبياتٍ من الشعر وبعضِ الحكم المأثورةِ التى تناسب موضوعَ كلِّ خطبة ، وقد جاءت هذه الخطبُ لا هى بالطويلة الطول الممل ولا هى بالقصيرة القصر المخل ، كما أنى رتبتُها ترتيبا موضوعيا وزمنيا ، بحيث تأتى الخطبةُ فى مناسبتها من العام ، ويكون لها ارتباطٌ بما قبلها وما بعدها ، وتغطى العامَ كلَّه وتزيد ، منها خطبتا عيد الفطر والأضحى المباركين .. بدأتُها بخطبة تحت عنوان (الجمعةعيد أسبوعي للمسلمين) لما يرمز إليه هذا اليوم المبارك من مزية خاصة لدى كلِّ مسلم ، ولما يقع فيه من وعظٍ وتوجيه ، وختمتها

بخطبة تحت عنوان (**الجنة دار النعيم المقيم**) تفاؤلا وتيمنا ، وزلفى إلى الله أن يختمَ بالصالحات أعمالَنا ، ويجعلَ الجنةَ مآلنا ، وهذه الخطب لم تكن وليدةَ الساعة ، بل كانت ثمرةَ مواقفَ كثيرةٍ من فوق المنابر على امتداد سنوات ، لكنها كانت على شكلِ عناصرَ وأفكارٍ مع بعض الآيات والأحاديث ، ودعوت اللهَ أن يعيننى على صياغتها وتحويلها إلى خطب منسقة ومرتبة ، حتى أراد الله بعونه وحوله وسافرتُ للعمل إماما وخطيبا فى مساجد وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت لمدة ثلاث سنوات ، فاهتبلت هذه الفرصةُ ، وعدتُ إلى هذه الأوراق مستعينا بالله أولاً ثم بما وصلت إليه يدى من مراجع ، أعملتُ فيها ذهنى ، وأجهدتُ فيها عقلى ، محتسبا على الله أجرى ، حتى جاءت على هذا الشكل الذى بين يديك أيها القارىء العزيز ، فإن كنتُ وفقتُ فبفضل من الله وعونه . وإن كانت الأخرى فحسبى أننى أخلصت النية لله ، وقصدتُ من وراء ذلك الخيرَ . . والكمال لله وحده . ولقد دفعنى إلى إعداد هذه الخطب أمران :

الأول : أن تكون هذه الخطبُ المتواضعةُ بمثابة زكاة عن علمىَ القليل ، فإذا كان فى المال زكاةٌ ، فللعلم أيضا زكاة ، وكل شىء ينقص بالأخذ منه إلا العلم كلما أُخذَ منه زاد ، والعلماء مأمورون بتبليغ العلم بكل وسيلة فهم ورثة الأنبياء ، وكتمان العلم رذيلة ترمى بصاحبها فى النار ، روى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : « من سئل عن علم فكتمه أُلجِم يوم القيامة بلجام من نار » ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من علم لا ينفع كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن

زيد بن أرقم ، كما أننى أبغى من وراء هذا العمل أن يمتد أثرُه بعد الممات ، فقد روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له » فأدعو الله أن يعلمَنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وينفعَ به غيرنا ، فى دنيانا وآخرتنا .

الثانى : أن المساجد فى مصر منتشرة فى كل المدن والقرى ، وكلها معدة لصلاة الجمعة ،خلافاً لما عليه بعض الدول الإسلامية كالسعودية والكويت، فإنها تحصر صلاة الجمعة فى المساجد الجامعة الكبيرة ، مع أداء الصلوات المكتوبة فيها وفى غيرها من المساجد الأخرى ، وحيث إن كل المساجد فى مصر تؤدَّى فيها صلاة الجمعة فهى بحاجة إلى عدد كبير من الخطباء لشغل هذه المنابر الكثيرة ، وليس هذا بمستطاع ، فكثير من المساجد الأهلية يشغلها خطباء غير مؤهلين لهذا العمل ، وهم بحاجة إلى مجموعة من الخطب تعالج مشكلات المجتمع ، وتواكب تطلعات العصر وتتمشى مع أحداث الحياة ، فيجىء هذا المؤلَّف مع أمثاله من الكتب فى مجال الدعوة ليسد جزءاً من هذا الفراغ ، وييسر مهمة الخطباء والدعاة ، حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم ، منتهجين قوله تعالى ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ فما أحوجنا فى هذه الأيام إلى دعاة يجمعون بين العلم والاخلاص ، ويتحسسون علل المجتمع ويشخصون أمراض الأمة ويتلمسون لها ما يشفى سقامها ويزيل داءها من كتاب الله وهَدْى رسوله وسيرة السلف الصالح بأسلوب سهل ، وعرض شائق يعيد للداعية مكانته ، وللمسجد وظيفته ، ويجعل قلب

المسلم معلقاً بالمساجد ، يتشوق ليوم الجمعة ليتزود من هذا العطاء الذى لا ينضب وذلك المعين الذى لا يغيـض . واللهَ أسأل أن ينفعَ به ، ويجعلَه فى سجل حسناتى . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

عبد المنعم عبد الوهاب المغازي
غفر الله له ولوالديه آمين

دمنهـــور فى غرة ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ
٧ من سبتمبـر سنة ١٩٩٤ م

الجمعة عيد أسبوعى للمسلمين

الحمد لله جعل يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ساعة إجابة، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر المسلمين بالسعى إلى صلاة الجمعة فذلك خير لهم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كان يلبس يوم الجمعة أحسن ما عنده من ثياب ويتطيب ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد

فالإسلام حريص على اجتماع المسلمين ، فهم يجتمعون فى المسجد القريب لأداء الصلوات الخمس فى جماعة ثم يجتمعون يوم الجمعة لأداء صلاة الجمعة وسماع الموعظة ويجتمعون أيضا لصلاتَىْ عيد الفطر والأضحى ، وكذلك يجتمعون فى الحج ، وسمى يوم الجمعة بذلك لاجتماع المسلمين فيه ، فهو عيد أسبوعى ادخره الله لامة محمد ﷺ بعد أن أُمِرَ به السابقون فضلوا ، قال الرسول ﷺ « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فأختلفوا فيه ، وهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد » رواه البخارى ومسلم ، وكان يسمى قبل الإسلام يوم العروبة ، وفى يوم الجمعة كمل خلق جميع الخلائق ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه كما جاء فى الأحاديث الصحاح .

وعلى المسلم يوم الجمعة أن يكون على أحسن حال من النظافة والتزين فيغتسل ويلبس أحسن ما عنده من ثياب ، ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك ، روى أبو أيوب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى أتى المسجد فيركع إن بداله ، ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت له كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » رواه أحمد ، وعليه أيضا أن يبكر بالذهاب إلى المسجد لما رواه أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ـ أى كغسل الجنابة ـ ثم راح فكأنما قدم بدنة ، ومن راح فى الساعة وكأنما قدم بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة وكأنما قدم كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قدم دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قدم بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » رواه الجماعة إلا ابن ماجة ، ويجب على المسلم أن ينصت لسماع الخطبةولا يتكلم ، ولو كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت » رواه الجماعة إلا ابن ماجة ، وعلى المسلم ألا يتخطى رقاب الناس لأن الرسول ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة رأى رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له : « أجلس فقد آذيت وآنيت » أى تأخرت رواه أبو داود والنسائى وأحمد ، ومن أدرك ركعة من الإمام فليضف إليها أخرى وبذلك تمت صلاته ، أما من فاتته الركعتان فليصل أربعا . وصلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ، لما رواه ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم** » رواه أحمد ومسلم ، ويأثم تاركها ويطبع والعياذ بالله على قلبه لما روى أن

رسول الله ﷺ قال: « **من ترك ثلاثَ جمع تهاونا طبع الله على قلبه** » رواه الخمسه ، ولا تجب الجمعة على امرأة ولا مريض ولا مسافر ولا صبى ولا معذور ، ويستحب للمسلم أن يكثر من الصلاة والسلام على الرسول ﷺ ليلة الجمعة ويومها لما روى عنه أنه قال « **من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ** » قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرِمْتَ ؟ (بليت) فقال : « **إن الله عزو جل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » رواه الخمسة إلا الترمذى ، كما يستحب للمسلم أيضا أن يقرأ سورةَ الكهف ليلة الجمعة ويومها لما رواه أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « **من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين** » رواه النسائى والبيهقى والحاكم .

وفى القرآن سورة باسم هذا اليوم اسمها سورة الجمعة وفيها يقول تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** ﴾ الآيات فالمقصود بالنداء فى الآية الذى بين يدى الإمام فإنه كان على عهد رسول الله ﷺ وعهد صاحبيه أبى بكر وعمر نداء واحد بين يدى الإمام فلما جاء عثمان وكثر الناس استحدث نداء آخر سُمى النداء الأول ليجمع الناس للصلاة من أعمالهم وكان يرفع من على الزوراء وهى أعلى دار بقرب المسجد كما جاء فى البخارى ، وقد أمرالله المؤمنين بالسعى إلى الصلاة بمعنى الجد وترك كل أعمالهم من بيع وشراء وغير ذلك ، فإذا انتهت الصلاة عادوا إلى أعمالهم ليبتغوا من فضل الله ، وقد كانت صلاة الجمعة أولا تؤدى كصلاة العيد ، الصلاة أولا ثم الخطبتان

وحدث أن قـدمت تجارة إلى المدينة والرسـول ﷺ قائم على المنبـر يخطب فخرج بعض الصحابة من المسجد لشراء ما يحتاجون فجعل رسول الله ﷺ بعد ذلك الخـطبتين أولا ثم الصـلاة ، وقد عاتب الله هؤلاء النـفر الذين انفضوا من المسجد فقال لهم **﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾** .



قيمة الإنسان فى الإسلام

الحمد لله خلق الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا لا ليتفاخروا ، وأشهد أن لا إله إلا الله أكرمُ الناسِ عنده أتقاهم لا أغناهم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله لافضل لعربى عنده على عجمى إلا بالتقوى ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد

فالإسلام يقيس الفرد على قدر دينه وتقواه ، لا على قدر حسبه وغناه ، فالله خلق الناس جميعا من آدم ، وآدم من تراب ، والتراب تدوسه الأقدام وتطأه النعال ، فليس هناك أناس مخلوقون من ذهب وأناس مخلوقون من صفيح ، بل جميع الناس مخلوقون من تراب ، وينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ النساء /١ ، ويقول تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات ١٣ ، ويقول ﷺ « الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لاحمر على اسود إلا بالتقوى كلكم لآدم وادم من تراب » البخارى . وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى ها هنا - ثلاثا ويشير إلى صدره - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ،

كل المسلم على المسلم حرام ، مـاله ودمه وعرضـه » ويروى مسلـم أيضا عن أبى هـريـرة قـولـه ﷺ « من بطـأ به عـمله لم يسـرع بـه نسـبـه » ، وروى أبو داود والترمـذى أن رسـول الله ﷺ قال: : « **إن الله أذهب عنكم عيـبة الجاهليـة وفخرهـا بالآباء ، النـاس صنفان ، مؤمن تقى ، وفـاجر شقى** » .

لكن بعض الناس أبت إلا أن تنظر إلى الغـنى نظرة تقدير واحـترام وإلى الفـقيـر نظـرة احـتقـار وازدراء ، تقـيس الناس بما لهم مـن حـسب ونسب ، وبما عندهم من مال وثروة ، لا تهـتم بدين الرجل وتقواه ، فلئن كان المال مهما فالأهم منه التقوى والورع الأخلاق الفاضلة . .

قال الشاعر :

ليس الجمال بأثواب تزيننا * إن الجمال جمال العلم والأدب

جاء فى الحديث المتفق عليه أن رجلا مر على رسول الله ﷺ فقال ﷺ لرجل جالس عنده « مـا رأيك فى هذا » ؟ فقـال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حـرى إن خطب أن ينكـح ، وإن شـفع أن يشـفع ، فسـكت رسول الله ﷺ ثم مـر رجل آخر فـقال له الرسـول ﷺ « ما رأيك فى هذا ؟ » قـال : هذا رجل من فـقراء المسلـمين ، هذا حـرى إن خطب ألا ينكح ، وإن شـفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسـمع لقولـه فـقال ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض مـثل هذا » وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » وفى روايه لابن مـسـعـود « لو قـال : اللّهم أنى أسـألك الجنة

لأعطاه الله الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا » .

وللإمام الشافعى :

علىَّ ثياب لو يباع جميعها   يفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس بها   نفوس الورى كانت أجل وأخطرا

وليس معنى ذلك أن الاسلام يشجع على أن يكون المسلم رثَّ الثياب ذرى الهيئة ، لكنه ترجيح لجانب التقوى والورع ، وتعويد للمسلم على التواضع والإخبات ، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود أنه كان يجنى سواكا ، وكان دقيق الساقين فجلعت الريح تكفيه ، فضحك القوم منه ، فقال الرسول ﷺ : « مم تضحكون ؟ » قالوا يا نبى الله من دقة ساقيه ، فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أُحد » .

ولذا حرم الإسلام السخرية بالآخرين والاستهزاء بهم قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾** الحجرات ١١ ، ولأن الإسلام دين المساواة ، لا يفرق بين إنسان **وإنسان إلا بالعمل الصالح فقد كان أكثر السابقين إلى الإسلام من المستضعفين والعبيد أمثال بلال وعمار وصهيب وخباب ، وابن مسعود** روى ابن جرير عن ابن مسعود قال : « مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا : يا محمد . أرَضِيتَ بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من

بيننا ؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء ؟ اطردهم ، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك ، فنزلت هذه الاية ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾ الانعام ٥٢ ، ويقول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ الكهف ٥٨ . فكان رسول الله ﷺ يفضل الجلوس مع هؤلاء الضعفاء ويقو لهم : « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أصبر نفسى معهم » رواه الطبرانى . . فالمترفون فى كل عصر ومصرهم أول من يرفضون دعوة الانبياء ويترفعون عن عامة الناس ، وقد عبر عنهم القرآن بالملأ ، قال تعالى ﴿ **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا** ﴾ الاعراف ٨٨ وهم الذين قالوا لنوح ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ الشعراء ١١١ وقالوا ﴿ **ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا** ﴾ هود ٢٧ ويرد عليهم نوح ﴿ **ما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون** ﴾ هود ٢٩ ، وحدث أن كان رسول الله ﷺ مشغولا بدعوة عظيم من أشراف قريش طمعا فى إسلامه ، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم ، وهو صحابى فقير أعمى ، فطلب من رسول الله ﷺ أن يفقهه فى دينه ، فتبرم منه الرسول ﷺ وعبس فى وجهه ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى** ﴾ الآيات عبس ، فعبد الله ابن أم مكتوم وهو فقير أفضل عند الله بإيمانه من أشرف أشراف قريش ، وهو جدير باهتمام رسول ﷺ ، ولذا عاتبه ربه . وقد أبصر رسول الله ﷺ رجلا غنيا جلس بجانبه فقير

فانقبض عنه الغنى (رفع ثيابه) . فقال له الرسول ﷺ « اخشيت أن يعدو عليك فقره » ، ويوم القيامة تلغى هذه الأنساب وتسة لـ تلك الأحساب قال تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه ف أولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ المؤمنون ١٠١ .١٠٤ ، وفى الحديث « **إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان ، فاليوم** أرفع نسبى وأضع نسبكم : أين المتقون ؟ » رواه البيهقى والطبرانى .

وروى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليأتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة . قال : اقرءوا إن شئتم ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ الكهف ١٠٥ ، وقد روى عن ابن مسعود مرفوعا حديث « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب** » فاللّهم اغننا بالإيمان وزودنا بالتقوى واجعلنا من المقبولين .



تحريم السخرية والتهكم بالآخرين

الحمد لله وزع الحظوظ وقسم الأرزاق ، وأشهد أن لا إله إلا الله حرم السخرية بالآخرين وجعل فاعلها من الظالمين ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله حارب المستهزئين واعتبر سلوكهم من عادات الجاهلية ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد

قلت فى خطبة سابقة إن الإسلام ينظر إلى المسلم من حيث خلقه ودينه لا من حيث حسبه ونسبه ، فأكرم الناس عند الله أتقاهم لا أغناهم ، فالله هو الذى يوزع الأرزاق ويقسم الحظوظ ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ الزخرف ٣٢ ، فجعل الله هذا غنيا وهذا فقيرا ، وهذا طويلا ، وهذا قصيرا ، وهذا صحيحا وهذا مريضا وهذا أبيض وهذا أسود ،ورزق هذا البنين والبنات ، وأعطى ذاك البنين فقط وأعطى ذاك النبات فقط ، وحرم هذا من البنين والبنات قال تعالى :﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لم يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾ الشورى ٤٩ / ٥٠ فلا يوجد إنسان كامل خال من العيوب أو من العاهات إلا من عصم ربك ، والإنسان فى مشوار حياته عليه أن ينظر إلى من هو أعلى منه فى الطاعة والأخلاق ليتخذ منه قدوة ، وينظر إلى من هو دونه فى العطاء والحظ ليرضى عن نفسه، لأنه لو نظر إلى من فُضِّل عليه فى العطاء وجلس

يبكى حظه ويندب نصيبه فلن يجنى من ذلك إلا الحسرة وا لخسران ، روى البخارى من حديث لأبى هريرة : « إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه فى المال والخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه » أما لفظ مسلم « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » متفق عليه .

فما يصيب الإنسان ليس له فيه دخل ، فكل الأمور تجرى بالمقادير ، فالذى خلق أسود لم يختر لونه ، والذى أصيب بمرض مزمن أو بعاهة دائمة ليس له دخل فى ذلك ، والذى لم يرزق أبناء ليس له من الامر شىء ، وقد عيَّر بعض كفار قريش رسول الله ﷺ بأنه أبتر ، يعنى مقطوع ، لأن رسول الله مات أولاده الذكور جميعا صغارا فخيل لهم جهلهم أنه بموت الرسول ينقطع ذكره ، فرد الله عليهم ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ وقد خلد الله ذكر رسوله ﷺ على رءوس الأشهاد وإلى يوم المعاد ، فإذا تجرأ إنسان وعير آخر بعيب فيه أو عاهة فهو بذلك يعترض على صنعة الله ، لأنه لو كان الأمر بيد الإنسان لاختار أن يكون أحسن الناس خلقا وعطاء..ولذا حرم الاسلام السخرية والاستهزاء والتهكم بالآخرين ، فقد يكون هذا الذى تتهكم به عند الله أفضل ، يقول ﷺ : « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ويقول : « ان الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواه مسلم ، قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب

فاؤلئك هم الظالمون ﴾ الحجرات ١١ . فهذا نداء من الله لعباده المؤمنين فى كل زمان ومكان ينهاهم عن أن يسخر بعضهم من بعض ، فقد يكون الذى تسخر منه عند الله أفضل ﴿ عسى أن يكونوا خيرا منهم ﴾ وقد كرر الله النهى للنساء عن السخرية مع أنهن داخلات فى النهى الأول ﴿ لا يسخر قوم ﴾ لما يعلم من أن السخرية والاستهزاء طبع فى النساء شائع بينهن ، وكثيرا ما تسخر الواحدة منهن بالأخرى ، وحدث أن عير أبو ذر غلاماً له قائلا له : ياابن السوداء فغضب رسول الله غضبا شديدا ثم قال : « يا أبا ذر أعيرته بأمه : إنك امرؤ فيك جاهلية » .كما ثبت فى الصحيحين . . الحديث ، كما نهت الآية عن اللمز ومعناه: الطعن فكأن من يلمز غيره كأنه يطعنه بسيف ، واللمز يكون باللسان والهمز يكون بالعين أو بالفعل ، فاذا غمزت بعينك أو حركت لسانك أو قمت بأى حركة قاصدا بهذا استصغار أخ لك فهذا هو اللمز والهمز الذى توعد الله صاحبه فقال : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ ، وقد نهى الله عنه بصيغة ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ مع أن اللامز يلمز غيره ، إشارة إلى أن المسلمين كنفس واحدة مثل قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ النساء ٢٩ ، كما نهت الآية عن التنابز بالألقاب ، وهو أن يتعمد الإنسان أن ينادى أخاه بلقب لا يحبه ، فالتنابز بالألقاب هو الفسوق بعينه ، فكيف يليق بالمؤمن وقد منّ الله عليه بالإيمان أن يخرج من إيمانه بهذا السلوك المعيب ، ثم يتوعد من يقع فى هذه الأخطاء ولم يتب فيقول : ﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ فإثم كبير أن يحتقر المسلم أخاه ،روى مسلم من حديث لأبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ونصح الرسول ﷺ صحابيا فقال « إن امرؤ شتمك وعيرك بما لا يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه ، فإنما

وبال ذلك عليه » رواه أبو داود وشيوع هذه الأخطاء فى مجتمع يؤدى إلى تغير النفوس وخلق العداوات وظهور الكراهية والبغضاء وكثرة المنازعات والشحناء ، ثم بعد ذلك هو سلوك يتنافى مع الأدب والذوق ، وإن المستهزئين بالناس فى الدنيا يُستهزىء بهم يوم القيامة ، و رد « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم فى الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم فيجىء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه ، ثم يفتح باب آخر فيقال هلم فيجىء بكريه وغمه ، فإذا جاء أغلق دونه ،فما يزال كذلك ، وإن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الإياس » رواه البيهقى. . فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ..** ﴾ الآيات المطففين ٢٩/٣٦ . فاحذر أخى المسلم أن تهزأ بإنسان أو تسخر منه أو تعيره بعاهة فيه ، بل احمد الله أن عافاك مما ابتلى به غيرك،روى الترمذى عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك ».



الاغترار بالنعمة

الحمد لله صاحب النعم وواهب المنن بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، لا راد لفضله ، ولا مانع لعطائه ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أول الشاكرين وإمام الحامدين ، اللّهم صل وسلم وبارك عل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ،

قلت فى الخطبة السابقة إن الله هو الذى يوزع الحظوظ ويقسّم الأرزاق ، فيعطى هذا مالا ويعطى ذاك صحة ، ويعطى آخر أولادا ، فالله هو الذى ينعم على العباد ، فهو المتفضل المعطى ، وهو المالك الحقيقى **﴿ قل اللّهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير ﴾** آل عمران ٢٦ ، وعلى من أُنعم عليه أن ينسب النعمة إلى المنعم ، فإذا أنعم الله على إنسان بنعمة سواء كانت فى المال أو البنين أو الصحة أو العلم أو غير ذلك فعليه أن يشكر النعمة بلسانه **﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾** فيقول **﴿ هذا من فضل ربى ﴾** النمل ٤٠ ، ويشكر النعمة أيضا بقلبه **﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾** النحل ٥٣ ، **فكل نعمة أنعم الله بها على عبد فعليه أن يعتقد بقلبه أنها من الله ، فلا يدعى لنفسه الشطارة أو العلم أو الذكاء فى تحصيل هذه النعمة ،** وينسى المنعم المتفضل ، فشكر النعمة إيمان وضمان لدوامها ، وجحودها كفر ونذير بزوالها ، فاذا اغتر العبد بما أنعم الله عليه ونسى المنعم المتفضل استدرجة الله ثم أخذه ، قال تعالى : **﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم**

أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ الأنعام ٤٤ ، وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك . منها ما جاء فى سورة الكهف حين ضرب الله مثلا لرجلين أحدهما غنى مغرور والآخرين مؤمن صادق . الأول المغرور أنعم الله عليه بحديقتين من أعناب محفوفتين بالنخيل وفى خلالهما الزورع والاشجار المثمرة التى توتى أطيب الثمر واكثره وقد جرت فيهما الأنهار . . هذا المغرور يحاور المؤمن فيقول له مفتخرا :

أنا أكثر منك فى المال والولد والخدم . وينساق فى غروره فيدخل إلى حديقته فيرى الخير الوفير والرزق الكثير فبدلا من أن يحمد الله ويشكره يقول : لا يمكن لهذه النعم أن تزول وتفنى ، لقد قال ذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله واغتراره بالحياة الدنيا ، ثم يدفعه هذه الغرور إلى إنكار يوم القيامة ، ويرد عليه المؤمن واعظا زاجرا يقول له : أول خطأ ارتكبته أنك كفرت بالله الذى خلقك ، وفرق كبير بينى وبينك ، فأنت كافر وأنا مؤمن وإن كنتَ تملك هذه الخيرات فأنا أفضل منك بإيمانى وكان الواجب عليكَ حين رأيت ما أنت فيه من خير أن تحمد الله وتقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهذا مطلوب من كل مؤمن إذا رأى ما يعجبه من مال وولد فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ثبت فى الصحيح أن رسول الله قال : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » ، ثم يقول المؤمن للكافر : إن كنتُ أنا أقل منك فى المال والولد فإن الله يدخر لى الخير فى الآخرة والله قادر على أن يرسل آفة على زرعك الذى تغتر به فيهلك وأنت تظن أنه لا يفنى ، وفى الحال يقع بالكافر ما كان حذره منه المؤمن ، فقد أرسل الله على زرع الكافر سيولا عارمة قلعت

الزروع وأتلفت الثمار وأفسدت الأرض فأصبحت غير صالحة للزراعة ، ويفيق الكافر من غروره ويضرب كفا بكف أسفا على ما بذل فى حديقته ويندم حيث لا ينفع الندم ، قال تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا** ﴾ الكهف ٣٢/ ٤٤ . ومن الأمثلة أيضا ما حكاه الله عن قارون الذى عاش فى عهد موسى عليه السلام وقد أعطاه الله مالا كثيرا حتى إن مفاتيح خزائنه تحتاج إلى مجموعة من الرجال لحملها ، وقد نصحه قومه ألا يبطر النعمة وألا يغتر بماله ، لكنه أجابهم بقوله : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ القصص ٧٨ ، أى إنما أعطيت هذا المال لعلم الله أنى استحقه أو لأنى عالم . .

فماذا حدث لهذا المغرور ؟ يقول تعالى : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾ القصص ٨١ . و قال ابن عباس : لما شكا موسى إلى الله أمر قارون ، أمر الله الأرض أن تطيع موسى . ولما أقبل قارون وشيعته . قال موسى : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أوساطهم ثم قال: يا أرض خذيهم إلى أعناقهم، ثم قال : خذيهم، فخسف الله بهم وبدار قارون وكنوزه .

وقد توهم بعض الكفار أن الله أعطاهم الأموال والأولاد وأن يعذبهم فى الأخرة قال تعالى : ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذَّبين** ﴾ سبأ ٣٥/ ٣٧ ، فإذا أنعم الله على قوم ووسع لهم فى الرزق ، فليس هذا دليلاً على حب الله . وإذا ضيق على آخرين فليس ذلك دليلاً على بغض الله لهم ، قال تعالى: ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه**

فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ﴾ الفجر ١٥ / ١٦ والمعنى أن الله إذا وسع على عبداعتبر ذلك إكراما له ، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ﴾ المؤمنون ٥٥/٦١ ، وكذلك إذا ضيق الله على عبد فى الرزق اعتقد أن ذلك إهانة من الله له ، وليس الأمر كذلك فقد قال الله بعد الآيتين السابقتين : كلا . فالله يعطى المال من يحب ومن لا يحب وقد روى عن ابن مسعود مرفوعا « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب » . فالمؤمن لا يغتر بما يصيبه من متاع الدنيا الزائل ولا يفرح ، بل الفرح الحقيقى يكون على ما منّ الله به عليه من إيمان صادق وخلق قويم قال تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ يونس ٥٨ . .



الشكر (١)

الحمد لله أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو فضل على الناس ولكن أكثر اناس لا يشكرون ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله شكر أنعم ربه عليه واعترف بآلائه لديه ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد .. فنعم الله على عباده كثيرة لا تحصى ولا تعد ، نعمة الصحة والمال وراحة البال والأمن فى الأوطان وفى الأهل و الولد ، وأول نعمة منّ الله بها علينا نعمة الإيمان ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ آل عمران ١٦٤ وقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ المائدة ٣ ، ومن نعم الله على المؤمنين أن ألف بين قلوبهم قال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ آل عمران ١٠٣ ويقول تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ النحل ١٨ ومعنى الآية أن العباد عاجزون عن إحصاء نعمة من نعم الله فكيف بشكرها ولو أمرهم الله بشكر جميع النعم لعجزوا ، فالعبد لو شكر ربه ليلا ونهارا ما قام بشكر نعم الله عليه ، كما قال الشاعر :

ولو أن لي فى كل منبت شعرة　　لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

قال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادى الشكور** ﴾ سبأ ١٣ ، وقال : ﴿ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون** ﴾ النحل ٨٣ وقال ﴿ ولكن

أكثر الناس لايشكرون ﴾ يوسف ٣٨ ، ولأن الشكر قمة العبادة فقد قرنه الله بالذكر فقال : ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ البقرة ١٥٢ كما قرنه بالإيمان فقال : ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ﴾ النساء ١٤٧، كما قابل الشكر بالكفر فقال : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ إبراهيم ٧ ، وقال : ﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ﴾ النمل ٤٠ .

والشكر يكون باللسان كما يكون بالقلب والجوارح ، فشكر اللسان أشار إليه قوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ الضحى ١١ ، روى مسلم عن أنس أن الرسول ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها » فالمسلم حين يقوم من النوم يقول « الحمد لله الذي رد إلىَّ روحى بعد ما أماتنى وإليه النشور ».

واذا انتهى من الطعام قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» وعند الخروج من الخلاء يقول : « الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى». وكذلك إذا عطس يقول: « الحمد لله » ويردد ما رواه أبو داود من أن رسول الله ﷺ كان يقول:« اللّهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر».

فالعبد دائما يذكر نعم ربه عليه ، روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « من لم يشكر على القليل لم يشكر على الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعمة شكر »

ورد فى الأثر أن موسى قال : يا رب كيف أشكرك ؟ قال له ربه : تذكرنى ولا تنسانى فإذا ذكرتنى فقد شكرتني واذا نسيتنى فقد كفرتنى ،

وكان رسـول الله ﷺ يقول : « أفـلا أكون عبـدا شكورا » وشكر القلب أشار إليه قـوله تعالى ﴿ **وما بكـم من نعمـة فمن الله** ﴾ النحل ٥٣ فكل نعمة تنعم بهـا هي من الله لا تنسب إلى غـيـره ، أمـا شكر الجـوارح فهـو أن تستعمـل كل جارحة من جـوارحك في الخير، فشكر العين ألا تنظر إلى ما حـرم الله ، وشكر اليد ألا تمتـد إلى ما حرم الله، وشكـر اللسان ألا ينطق بما يغضب الله، وهكذا كل الجـوارح ، قال تعـالى : ﴿ **إن السمع والبصـر والفـؤاد كل أولئك كـان عنه مسـئولا** ﴾ الإسراء ٣٦ ،والله أنعم علي عـباده وطلب منهم أن يشكروه قـال تعالى : ﴿ **يايها الذين أمنوا كلوا من طيـبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعـبدون** ﴾ البقرة ١٧٢ ، وقال :﴿ **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ النحل ١١٤ ، وقـد انعم الله على لقمان بالحكمـة وطلب إليـه شكـره فقال : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كـفر فإن الله غني حميد** ﴾ لقمان ١٢ ،كما منّ الله على سليـمان بنعـمة النبـوة والملك وحكم الجن والإنس ومـعرفـة لغـة الطير،ثم قال الله لآل داود :﴿ **اعملوا آل داود شكرا** ﴾ سبأ ١٣ .

ويحكى الله عن داود وسليمان فـيقول ﴿ **ولقد آتينا داود وسليـمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين** ﴾ النمل ١٥ ، كما حكي عن سليمان حين وجد عرش بلقيس مستقرا عنده أنه قال :﴿ **هذا من فضل ربى ليبلوني أأشكر أم أكفر** ﴾ النمل ٤٠ ، وقد دعا سليمان ربه أن يلهمه شكره فـقال : ﴿ **رب أوزعنى أن أشكر نعـمـتك التى أنعـمت علىّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحـمتك فى عبادك الصالحين** ﴾ النمل ١٩ ، وقال النبى ﷺ لمعـاذ : « والله يا معـاذ إني لأحبـك فـلا تنس أن تقـول دبر كل صلاة :« اللّهـم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »

رواه أبو داود والنسائي .

ولقد حكي القرآن الكريم عن أقوام قابلـوا النعمة بالكفر فأبد لهم الله بالأمن خـوفا وبالشـبع جوعا ، وحـول ديارهم إلي خراب ومـصيرهم إلى هــلاك ، قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمـة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ إبراهيم ٢٨ ، وقال تعــالى : ﴿ وضرب الله مثـلا قرية كانت آمنة مطمـئنة يأتيها رزقهـا رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لبـاس الجوع والخـوف بما كانوايصنعون ﴾ النحل ١٢ ، وقال : ﴿ وكم أهلكنا من قـرية بطرت معـيشـتها فـتلك مسـاكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾ القصص ٥٨ .



الشكر (٢)

الحمد لله بشكره تدوم النعم ، وبحمده تبقى الآلاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا تُحْصَى هباته ، ولا تُعَدُّ عطاياه ، وأشد أن سـيدنا محمدا رسول الله شكر على القليل والكثير ، وكان يقول : « أفلا أكون عبدا شكورا » اللهم صل وسلم وبارك على سيـدنا محمد وعلى آله وصحـبه . . وبعد . .

أشرت فى الخطبـة السابقـة إلى أن نعم الله على عـباده كثيـرة لا تحصى ولا تعد ، ومهما شكر العبدُ ربَّه فلـن يوفيَه حقه ، وقلت إن الشكر عبادة . .

واليوم أقـول : بالشكر تدوم النعم وبالجـحود تزول ، وكل نعـمة يقابـلها شكر ، فإذا أنعم الله على عبد بنعـمة المال أو الأولاد أو الصحة أو الجاه أو المنصب فلابد أن تُقَـابَل كل نعمة بشكر يناسـبها ، فنعـمة المـال شكرها أن يعتقد الإنسان أن المال مال الله وأنه مُسْتَخْلَف فيه ، فلا يطغيه ، ولا يُسرف فيه ، ولا ينفقـه فى حرام ، ولا يَحرم الفقراءَ حقَّهـم منه ، وكذلك بقية النعم ، فإذا حجد العبد نعم ربه عليه سلبهـا منه وكانت عاقبته الخسران ، وقد جاء فى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية ما يؤكد ذلك ، روى أبو هريره الحديث المتفق عليـه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، أراد الله أن يبتليـهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقـال : أى شىء أحب إليك ؟ قال لون حـسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قـذرنى الناس ، فمـسحـه فذهب قـذره ، وأُعطى لونا حسنا . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال :الإبل ، فأعطى ناقةً عُشَراء ، فقال : بارك الله لك فيهـا ، فأتى الأقرع ، فقال : أى شىء أحب إليك ؟

قال : شعر حسن ، ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا ، قـال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر ،

فأعطى بقرة حاملا ، وقال بارك الله لك فيها ، فأتى الأعمى فقال : أى شيء أحب اليك ؟قال : أن يرد الله إلىَّ بصرى فأبصر الناس ، فمسحه فرد الله إليه بصره . قال : فـأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم ، فأعطى شاة ولدا ، فـأنتج هذان وولد هذا ، فـكان لهـذا واد من الإبل ولهـذا واد من البقـر ، ولهذا واد من الغنم . . ثم إنه أتى الأبرصَ فى صورته وهيـئته ، فقال : رجل مـسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفـرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحـسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتَبَلَّغ به فى سفرى فقال : الحقـوق كثيرة ، فقال كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيـرا ، فأعطاك الله ؟! ، فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيَّرك الله إلى ما كنت ،

وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقـال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليـه مثـل مارد هذا ، فقال له : إن كنت كـاذبا فصيرَّك الله إلى ماكنت ، وأتى الأعمى فى صـورته وهيئـته فقـال : رجل مسكين وابن سبـيل انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم إلاَّ بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها فى سفرى ؟ فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلىَّ بصرى ، فـخذ مـا شـئت ودع ماشـئت ، فوالله مـا أجهـدك اليـوم بشئ أخذتَه لله عز وجل ، فـقال : أمسك مالك فإنما ابتليـتم ، فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك » .

فإذا اغتنى العبد بعد فقـر أو عوفى بعد ابتلاء ، فلا يتنكر للماضى ولا ينسى فقره ولا عجزه ، فذلك ضمان لدوام النعمة ، كما حكى الله فى

القرآن الكريم قصة سبأ وهم قوم كانوا يسكنون اليمن وكانوا يعيشون فى نعمة وغبطة ، فقد كثرت أرزاقهم واتسعت زراعتهم حتى كانت المرأة تحمل على رأسها المكتل أو الزنبيل وتمشى تحت الأشجار فيمتلىء بالثمار دون جنى أو قطف ، وذلك لكثرته ونضجه ،ولم يكن ببلدهم ذباب ولا بعوض ، ولا براغيث ولا هوام لاعتدال جوها وعناية الله بهم ، وكانت القرى متواصلة بحيث لا يحتاج المسافر إلى زاد أو ماء ، فحيث حلّ وجد الظل والماء والثمر ، فعاشوا عيشة رغيدة ، وقد طلب الله إليهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه ﴿ **كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ لكنهم بطروا النعمة فحق عليهم العقاب فأرسل الله عليهم سيل العَرِم فهدم سدَّهم وأفسد زرعهم وخرَّب ديارهم ، فتفرقوا فى البلاد ، وأصبحوا حديثا فى أفواه الناس ، قال تعالى : ﴿ **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ...** ﴾ الآيات « سبأ ١٥/ ٢١ » .

كما حكى القرآن قصة ثعلبة التى رواها ابن عباس فقال : إن ثعلبة قال للرسول ﷺ: ادع الله أن يرزقنى مالا ،فقال له الرسول :« ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه » . ثم قال : « أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ، فوالذى نفسى بيده لو شئتُ أن تسير معى جبال مكة ذهبا وفضة لسارت » قال ثعلبة : والذى بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقنى مالا لأعطين كلَّ ذى حق حقه ، فقال الرسول : « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال : فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود ، فلما كثر غنمه وضاقت عنها المدينة نزل واديا من أوديتها وبدأ يتخلف عن الصلاة إلا الظهر والعصر ثم تخلف عن جميع الصلوات ماعدا الجمعة ثم ترك الجمعة

وانشغل بما لـه فلما نزل ﴿ **خذ من أموالـهم صدقة** ﴾ التـوبة : ١٠٣ وفُرِضَتْ الزكاة بعث إليـه الرسولُ جامعى الزكـاة فاغتاظ وقـال : هذه جزية ، هذه جزية ولم يدفع زكاة ماله ، فلما بلغ ذلك الرسولَ قال : « ياويح ثعلبة » فنزل : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ التوبة : ٧٥/٧٧ وكان قريب لثعلبة عند الرسول فسمع ذلك فأخبر ثعلبة فـجاء إلى الرسول يعـتذر ويقدم صدقـته فلم يقبلهـا منه الرسول ولا الخلفاء من بعده ، وهكذا كـان المال سببا فى هلاك ثعلبـة لانه تَنكر لماضيه وبخل بحق الله ، وصدق الله ﴿ **وما يغنى عنه ماله اذا تردّى** ﴾ الليل : ١١ .



نظرة الإسلام إلى المال

الحمد لله مالكِ الملك يرزق من يشاء بغير حساب ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل المال من زينة الحياة الدنيا ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله دعا إلى كسب المال من حلال وإنفاقه فى وجوه الخير ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد فالرزاق هو الله والمعطى هو الله ، يوزع الأرزاق ويقسم الحظوظ ، لكنه جعل لكل شىء سببا ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، من أجل ذلك دعا القرآن الكريم إلى السعى فى الأرض للحصول على رزق حلال ، قال تعالى : **﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾** الجمعة : ١٠ وقال **﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾** الملك : ١٥، والمال عصب الحياة ومن أعز ما يملك الإنسان وقد اعتبره الله من زينة الحياة الدنيا **﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾** الكهف : ٤٦ ، وقال تعالى **﴿ زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ..﴾** آل عمران : ١٤ .

ويقول الرسول ﷺ : « المال خضرة حلوه من أخذه بحقه بورك له فيه » « رواه مسلم فى صحيحه بلفظ (إن الدنيا حلوة خضره) وكذا رواه الترمذى » والمؤمن يسعى للحصول على المال من حلال وينفقه فى وجوه الخير ، فقد قال ﷺ لعمرو بن العاص: « نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح » « رواه البخارى » ، وقال أحد الصالحين : (حبذا المال أصون به عرضى وأرضى به ربى) ، فللمال دور خطير وشأن عظيم فى حياة

الناس فهو يُنطق الأبكم ويُسكت الفصيح ، فالفلوس كما يقولون هى اللسان لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالا ، وببذل المال تُكْسَب القلوب وتَطيب النفوس، قال بعضهم : (الدراهم مراهم يُداوى بها كل جرح ويطيب بها كل صلح) وصاحب المال يكثر خلاَّنه ويقصده إخوانه ، فإذا ذهب ماله انفض من حوله الخلان وجفاه الأصدقاء . .

إن قلَّ مالى فلا خلٌّ يصاحبنى وإن زاد مالى فكل الناس خلانى
فكم عدو لأجل المال صاحبنى وكم صديق لأجل المال عادانى

والمال يملأ القلب بالأمان ، حيث يقول بعضهم : (المال فى الغربة وطن والفقر فى الوطن غربة) .

أما الفقر فهو العدو اللدود للإنسان ، يذل من كبريائه ، ويحطم من كرامته ، ويهين إنسانيته ، وكذلك يفعل بالدول والشعوب ، ولذا حُكِى عن على بن أبى طالب أنه قال : (لو كان الفقر رجلا لقتلته) ويقول الرسول ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة » رواه أبو داود ، وروى أيضا أن الرسول ﷺ قال :« كادت العين أن تسبق القدر وكاد الفقر أن يكون كفرا » ، من أجل ذلك تكالب الناس على جمع الأموال بأى طريق ، لا يبالون أجمعوه من حرام أم كسبوه من حلال ؟ قد يسرق الإنسان ، ويرتشى ويحتال ويغتصب ويغش فى البيع والشراء ، وقد يَقْتُل أو يُقْتَل من أجل المال ، وقد يكون المال سببا فى طغيان الإنسان قال تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ العلق : ٦/٧ ، والإنسان نَهِمٌ لا يشبع ولا يقنع ، جاء فى الحديث المتفق عليه (لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له

واديان ولن يملأ فاه ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)، ثم هو أخيراً سيترك ما جمعه من مال لورثته ولن ينفعه منه إلا ما أنفق في وجوه الخير، روى مسلم أن الرسول ﷺ قال: « يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » وقد سأل الرسول ﷺ صحابته: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله)؟ فقالوا: يارسول الله، ما منّا أحد إلا ماله أحب إليه، فقال: « إن ماله ما قدّم ومال وارثه ما أخّر » والأموال والأولاد فتنة، قال تعالى: ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ الأنفال: ٢٨، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: « إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى المال » لكن.. ما موقف المسلم من قضية الغنى وتحصيل الثروة؟ هل الإسلام يكره للمسلم أو للدولة المسلمة أن تكون غنية؟. بالطبع.. لا.. فالإسلام أولا يهتم بغنى النفس وغنى القلب، جاء في الصحيحين من حديث لأبى هريرة: (ليس الغنَى عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس) أما الغنى فى متاع الحياة الدنيا فلا يَغْفُله الإسلام، فلا يعرف الإسلام نظامَ تحديد الملكية بل للمسلم أن يكسب من المال ما يشاء بشروط:

١) أن يجمع هذا المال من حلال.

٢) أن ينفق منه على نفسه وأهله وقراباته بالمعروف.

٣) أن يُخرج الزكوات والصدقات.

٤) ألا يتخذ من ماله وسيلة للفخر والخيلاء والكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء.

٥) ألا يلهيه ماله عن ذكر الله.

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ النور : ٣٧ ، ويُفْهم من الآيتين أن الغنى ليس محرما بل الحرام أن يشغل المال عن ذكر الله ، وحين خفف الله عن الرسول والمؤمنين قيام الليل كان من أسبابه السعى فى الأرض لتحصيل الرزق : ﴿ علم أن سيكونُ منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ المزمل : ٢٠ ، ونلحظ أن الله فى هذه الآية قدّم السعى على الرزق على الجهاد ، وروى مسلم عن سعد بن أبى وقاص حديث « إن الله يحب العبد الغنى التقى الخفى » ، وورد أن (الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر) وورد أن (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، والمقصود بالقوة ، القوة فى كل شىء ، كما ان الله أمر بالإنفاق ، فكيف يكون إنفاق بلا مال ؟ ثم إن الله أمرنا بإعداد العدة لمحاربة الكفار ، قال تعالى : ﴿ وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ الانفال ٦٠، وإعداد العدة لا يكون إلا بالمال والرجال ، وليت المسلمين يكونون على وعى بهذه القضية ، فيجمعوا إلى غنى القلب الغنى فى متاع الحياة الدنيا ، أى يجمعون بين الدين والدنيا . قال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاسَ بالرجل

روى ابن ماجة أن الرسول ﷺ قال : « أشقى الأشقياء من جُمع عليه كفر الدنيا وعذاب الآخرة » .

لو فعلوا ذلك لتصدروا ركب الحياة ، وعادوا إلى ما كانوا عليه فى سالف عهدهم . ولو حاول المسلم جمع المال ولم يوفق فليحمد الله على ما أعطاه ولا يبتذل ، روى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن الرسول ﷺ

قال : « قد أفلح من أسلم ورُزِق كفافا وقنعه الله بما أتاه » والله يختار لعبده الأفضل ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ..** ﴾ الشورى ٢٧ وفى الحديث « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه

دينه ، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » وأخيرا على المسلم فى مشوار جمعه للمال أن يذكر أن الله سائله عن ماله : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟، روى الترمذى عن أبى برزة أن الرسول ﷺ قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن عمله فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، و عن جسمه فيم أبلاه » ؟ .



العلاقة بين الدائن والمدين

الحمد لله دعا المؤمنين إلى التعاون ، وتقديم المساعدة للمحتاجين ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر بتوثيق الديون والإشهاد عليها وأدائها ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله دعا إلى فك كرب المكروبين ، وإنظار المعسرين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي قائمة على الأخوة في الدين ، وهذه الأخوة تستلزم التعاون بين المسلمين ، والمسلمون بعضهم أولياء بعض ، فقد يقع مسلم فى ضائقة ماليه تضطره إلى الاقتراض والإستدانه من إخوانه الموسرين ، ولكن الإسلام يقدر هذه الظروف وتلك المواقف ، فيدعو الموسرين إلى فك كرب المكروبن ، والتيسير على المعسرين ، ويرتب على ذلك الأجر العظيم والثواب العميم ، روى مسلم وأبو دادود والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، وقد نظم الإسلام المعاملات المالية بين المسلمين ، بحيث لا يظلم الدائن المدين ، ولا يطمع المدين فى مال الدائن فحرم الربا ، كما حرم المماطلة ، إلى غير ذلك من الضوابط التى تحفظ لكل ذى حق حقه ، وتقيم جسراً من العلاقات الطيبة بين المسلمين .. فقد أمر الإسلام بكتابة الدين والإشهاد عليه وتحديد موعد السداد ، وذلك منعا

للمنازعات وضمانا لحق الدائن ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين أمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ الآية البقرة ٢٨٢ ، كذلك طلب إلى المدين حين يأخذ أموال الناس أن ينوىَ السداد ، فإن فعل ذلك فإن الله سيعينه وإلا أهلكه الله ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » ولقد بلغ من حرص الإسلام على أداء الدَّين أن من مات شهيداً لا يسقط عنه ما استدانه ، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين » ، كما أمر بحسن الأداء ، فخير الناس أحسنهم قضاء ، كما جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبىَّ ﷺ يتقاضاه - أى يطلب منه دينا عليه - فأغلظ له ، فهمَّ به أصحابُه ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوه فإن لصاحب الحق مقالا » ثم قال : « أعطوه سنا مثل سنه » قالوا : يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه ، قال : « أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء » ، وروى الطبرانى من حديث طويل أن زيد بن سعفة — وكان يهوديا — جاء إلى رسول الله يطلب منه دينا كان عليه ، فأمسك بمجامع قميص النبى ﷺ وقال : « ألا تقضينى حقى . . ؟ إنكم يا بنى عبد المطلب مُطل ، فاغتاظ عمر وكاد يضربه بسيفه ، فقال الرسول ﷺ لعمر : « أنا وهو كنا أحوجَ إلى غير هذا ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن الطلب ، اذهب يا عمر فاعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رُعته » وقد روى الإمام أحمد عن أبى هريرة وكذا رواه البخارى أن رسول الله ﷺ ذكر أن رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال أئتنى بشهداء أشهدهم ، قال كفى بالله شهيداً ، قال : أئتنى بكفيل ، قال : كفى بالله

كفيلا ، قال : صدقتَ ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج فى البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبا ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها إلى البحر ثم قال : اللهم إنك قد علمت أنى استسلفت فلانا ألف دينار . فسألنى كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلاً ، فرضى بذلك ، وسألنى شهيدا ، فقلت كفى بالله شهيدا ، فرضى بذلك ، وإنى قد جهدت أن أجد مركبا أبعث بها إليه بالذى أعطانى فلم أجد مركبا، وإنى استودعتكها ، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف ، وهو فى ذلك يطلب مركبا إلى بلده ، فخرج الرجل الذى أسلف ينظر ، لعل مركبا تجيئه بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حطبا ، فلما كسرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فأتاه بألف دينار ، وقال : والله ما زلتُ جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك ، فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه ، قال : هل كنتَ بعثت إلىَّ بشىء ؟ قال : ألم أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل هذا الذى جئتُ فيه ؟ قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت به فى الخشبة ، فانصرف بألفك راشدا » وهذا الحديث أسناده صحيح ، وفيه دلالة على أن من صدق الله النية فى أداء ما عليه وفّى الله عنه . .

وقد حرم الإسلام المماطلةَ فى سداد الدين إذا حلَّ أجله ، روى عن أبى هريرة الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « مَطْل الغنى ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على ملىء - غنى - فليتبع » كما حذر من أن يموت مسلم وفى ذمته دين ، فمن مات وهو مدين فهو محبوس بدينه ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن أخيه

مات وعليه دين ، فقال « هو محبوس بدينه فاقض عنه » فقال يا رسول الله : قد أديت عنه إلا دينارين أدعتهما امرأة وليس لها بينة ، فقال : « أعطها فإنها محقه »[1]، حتي ولو كان المدين مات شهيدا فلن يعفيه ذلك ، قال ﷺ : « والذى نفسى بيده لو أن رجلا قُتل فى سبيل الله ثم عاش ، ثم قُتل فى سبيل الله ثم عاش ، ثم قتل فى سبيل الله ، ما دخل الجنة حتى يقضى دينه » « رواه أحمد » ، وكان رسول الله ﷺ لا يصلى على رجل مات وعليه دَيْنٌ ، فأتى بميت فقال : « أعليه دين » ؟ قالوا : نعم ، ديناران ، فقال « صلوا على صاحبكم » فقال أبو قتادة الأنصارى : هما علىَّ يا رسول الله ، فصلى عليه رسول الله ﷺ . فلما فتح الله على رسوله قال : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فمن ترك دَيناً فعلىَّ قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته » أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ، وضمانا لسداد دين الميت أمر الله بإخراج الدين والوصية من تركة المتوفىَّ قبل توزيعها على الورثة ، وقد أجمع العلماء على تقديم الدَّين على الوصية لما رواه على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ قضى بالدَّين قبل الوصية ، قال تعالى : ﴿ من بعد وصيه يوصَى بها أو دَيْن ﴾ النساء ١١ .

كذلك أمر الإسلام الدائن بحسن الطلب، روى البخارى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » ، كذلك أمره أيضا بإنظار المعسر - أى تأجيل موعد السداد - أو وضع الدَّين أو بعضه عنه . قال تعالى : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ البقرة ٢٨٠

(١) وأخرج أبو داود فى سننه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال (إن من أعظم الذنوب عند الله أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء) .

وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ تدعو إلى ذلك ، منها . . ما رواه مسلم عن أبى قتـادة أن رسول الله ﷺ قال : « من سرَّه أن ينجيَه الله من كرب يوم القيـامة ، فلينفس عن معسر ، أو يضعْ عنه » ، ورُوى عن أبى هريرة الحديث المتـفق عليه أن رسول الله ﷺ قـال : « كان رجل يداين الناس ، وكان يقول لفتـاه : إذا أتيتَ معسرا فتجـاوز عنه لعل الله أن يتجاوزَ عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه » ، وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه ، يوم لا ظـل إلا ظله » . بهـذا النظام الإســلامى تقوم روح التـعـاون بين المسلمين ، وتنـتهى المـنازعات بـين الدائن والمدين ، ويرتاح القـضـاة من قضاياهم التى شغلت رجال العدل ، وملأت أدراج المحاماة .



الزكاة تكافل اجتماعى

الحمد لله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام ، وفرضها على الأغنياء طهرةً لأموالهم ، وتطيبا لقلوب الفقراء ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله دعا إلى بذل المال للمحتاجين من ذوى القربى واليتامى والمساكين ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد

فالزكاة ركن من أركان الإسلام . رُوى عن ابن عمر الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « بُنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وقرن الله بينها وبين الصلاة فى إثنتين وثمانين آية، وإذا كانت الصلاة حقٌ الله فإن الزكاة حقٌ الفقراء ، ومن أجل ذلك حارب أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ وقال : (والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال) ، والله هو الذى أعطى المال ، فهو الرازق يرزق من يشاء بغير حساب ، والمال فى الحقيقة ملك لله ، والأغنياء مستخلَفون فيه قال تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلَفين فيه** ﴾ الحديد ٧ .

والله هو الذى أنبت الحبَّ والبقلَ ، وأخرج الزرع والثمر قال تعالى : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ الواقعة ٦٣/٦٧ وهو الذى فرض الزكاة فى هذا المال الذى ملكه للأغنياء، وحرم منه

الفقــراء ، ولو شاء لسلبــه منهم ،فالله يختــبر الأغنيــاء بهذا المال فيــأمرهم بتطهيره ، وذلك بإخــراج زكاته إرضاء للفقراء ، وجــلبا لمودتهم ، ومظهرا للتعاون بين فئات المجتــمع الإسلامي ، وقد حدد القرآن الذين تُصرف لهم الزكاة فى قوله تعالى ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمســاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الـرقاب والغارمين وفى سبـيل الله وابن السبيل فـريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ التوبة ٦٠ ، والقيمه التى تخرج زكاة من المال قليلة ففى أمـوال التجـارة ربع العشــر بعد أن يَحُــول عليها الحــول وفى الزروع والثمــار نصف العشر ويـؤدى يوم الحصاد قــال تعالى: ﴿ **وآتوا حـقـه يوم حصاده** ﴾ الانعام ١٤١ وقال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفـقوا من طيّبـات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيـمـمـوا الخبيث منه تنفقون** ﴾ البقرة ٢٦ ، أما زكاة الأنعام فتحتــاج إلى تفصيل ، ويمكن الرجوع إلى كتب الفقه أو إلى العلماء ، والقيــمة التي تُخرج عنها قليلـة أيـضا ، والزكاة لا تُنقص المال ، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقـص مال من صدقة » ، فلا تبخل يا أخـى المسلم بأخـراج زكاتك ، فهى تطهير لمالك قال تعالـى : ﴿ خذ من أموالهم صــدقة تطهرهم وتزكيهم بهــا وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ التوبة ١٠٣ ، روي الطبــراني ان الرسول ﷺ قــال : « من أدى زكاة مــاله ذهب عنه شره » ، وبها تدفــع عن نفسك البلاء بقــول الرسول ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمره » وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « حصنوا اموالكم بالزكــاة ، وداووا مرضاكم بالصدقه ، واستــقبلوا أمواج البــلاء بالدعاء والتــضرع » وروى الطبــرانى حديث « صنائع المعــروف تقى مصارع السؤ ، وصدقــة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر » ويروى مسلم أن رسول الله ﷺ قــال : « ما من يوم يصبح العباد

فيه إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر :اللهم أعط ممسكا تلفا » ، وتمحو ذنوبك « الصدقة تطفىء الخطيئه كما يطفىء الماء النار » والمسلم يوم القيامة يستظل بظل صدقته كما جاء فى الحديث، ويضاعف لك الله الأجر ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة** ﴾ البقرة ٢٦١ ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى الانفاق وتحث على البذل والعطاء ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا** ﴾ المزمل ٢٠ ، فالله يستحثك على البذل ﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخلْ فإنما يبخل على نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ محمد ٣٨ ، والله يطلب منك أن تقرضه فيضاعف لك الثواب ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم** ﴾ الحديد ١١، وقال تعالى: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ سبأ ٣٩ ، وإياك أن تستجيب لوسوسة الشيطان فإنه يخوفك بالفقر، قال تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** ﴾ البقرة ٢٦٨ . وإذا بخل الأغنياء بأموالهم وعطَّلوا فريضة الزكاة ، فذلك نذير شؤم عليهم فى الدنيا والأخرة ، ففي الدنيا يمحق الله بركة المال ويقل خيره ، وتكثر الآفات والأمراض ، ويمنع المطر كما جاء فى الحديث الذى رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى « ولولا البهائم لم يمطروا » وورد أيضا حديث « لولا شيوخ ركّع وصبية رضَّع وبهائم رتَّع لصُبَّ عليكم العذاب صبّا » مع ما ينتظر هؤلاء الممسكين من سوء الخاتمة ، أما ما ينتظرهم فى الآخرة فآيات القرآن صريحة فى وعيدها لهؤلاء يقول تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله**

من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ آل عمران ١٨٠ ويقول ﷺ : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعا أقرع - الحية التي ليس برأسها شعر لكثرة سمها - له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - شِدْقيه - يقول أنا كنزك أنا مالك ثم تلا قوله تعالى : **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ..﴾** التوبة ٣٤/٣٥ رواه الشيخان وروي مسلم حديث « ما من صاحب ذهب ولا فضه لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائحَ من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضىَ الله بين العباد » ، فيا أخى المسلم لا يكن مالك سبب عذابك ولا تبخل على الفقراء بحقهم ، وعلى حكام المسلمين أن يحيوا هذه الفريضة ويكوِّنوا لجانا لجمع الزكوات ويرغموا الممتنعين على دفعها . . فقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .



العمل فى الإسلام عبادة

الحمد لله جعل العمل طريقا للرزق الحلال وسبيلا للكسب الشريف ، وأشهد أن لا إله إلا الله يثيب العاملين ويعاقب المقصرين ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ الزلزلة ٨/٧ ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سعى من أجل اللقمة الحلال والكسب الطيب ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد فالله خلق هذا الكون وسخره للإنسان وأمره بالسعى فيه وتعميره ابتغاء فضل الله وعطائه الطيب قال تعالى : ﴿ **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ الملك ١٥ ، وقال : ﴿ **والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا** ﴾ نوح ١٩/ ٢٠ ، وقال : ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** ﴾ الأعراف ١٠ ، فالأجازة الاسبوعية هى ساعة نداء الجمعة فإذا انتهت الصلاة انطلق المؤمنون إلى أعمالهم شريطة ألا ينسوا ذكر الله فى كل حال ، قال تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ ثم قال : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾ الجمعة ٩/ ١٠[1] فالسعى في الارض مطلوب شرعا ، وهو عمل صالح ، والقرآن الكريم يجمع دائما بين الإيمان والعمل الصالح ، وليس المقصود بالعمل الصالح العبادات وحدها كالصلاة والصدقة والصيام ولكن العمل الصالح تتسع دائرته ليشمل كل عمل دنيوى أو أخروى إذا توفرت النية الطيبة ، فمن يذهب إلى المسجد

---

(١) ويقول ﷺ (التمسوا الرزق فى خبايا الأرض) .

لأداء الصلوات فهو يقوم بعمل صالح ، والذى يقف وراء الآلة أو يزرع فى الحقل يقوم بعمل صالح ، فالزراعة والصناعة والتجارة ، وكل عمل شريف يقف على قدم المساواة مع العبادات التي تَعَبَّدَنَا بها ربنا إذا خلصت النية ولم تلهنا هذه الأعمال عن ذكر الله ، وَرَدَ فى الحديث « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » فلا فرق بين أن يقام مسجد للعبادة أو يُبْنى مصنع أو يفتح متجر أو تُسْتَصلح أرض ، فجميع هذه الأعمال داخلة فى نطاق العبادة فالسعى على العيال صدقة ، ففى الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة » والجماع بقصد الإعفاف وطلب الذرية الصالحة صدقه يقول ﷺ : « وفى بضع أحدكم صدقة » رواه مسلم وابن ماجه . فلا بطاله فى الإسلام ، يقول ﷺ : « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس » ، ومن اجل ذلك جعل الله السعى بالنهار طلبا للرزق الحلال سببا فى التخفيف من قيام الليل ، بل قدَّمه على الجهاد ، قال تعالى: ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه** ﴾ المزمل ٢٠ ، وسئل رسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟ قال (عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) وكل الأنبياء كانت لهم حرف ، فداود كان حدادا وزكريا كان نجارا وكذلك نوح وهو الذى صنع السفينة ، وادريس وهو أول من خاط الثياب ورسولنا ﷺ رعى الغنم ثم اشتغل بالتجارة وهو الذى قال « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » ويقول ﷺ « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » متفق عليه ، وقد أثنى الصحابة على رجل يصوم

النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال الرسول ﷺ : « ا ي يكفيه طعامه وشرابه ؟ » فقالوا : كلنا ، فقال : « كلكم خير منه » ، وكان ر ل الله ﷺ إذا رأى ـ رجلا أعجبه ـ يعنى عبادته ـ سأل : « أله حرفة ؟» فإن قيل : لا ، سقط من عين رسول الله ﷺ ، ولما سُئِل عن ذلك قال : « لأن الرجل بلا حرفة يتكسب بدينه » ، ورأى عمر رجلا أعجبه فلما علم أنه عاطل سقط من عينه ، ورأى ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون ، قال : كذبتم ، ما أنتم متوكلون ، إنما المتوكل من ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله . من أجل ذلك دعا الإسلام إلى استصلاح الأرض ، روى البخارى عن عائشة « من عمَّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها » وفى رواية « من أحيا أرضا مواتا فهى له » ، كما دعا الإسلام إلى الزرع والغرس واعتبر ذلك من الصدقات الجارية ، روى البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه » وروى أحمد عن أنس أيضا أن رسول الله ﷺ قال « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل » والفسيله النخلة الصغيرة ، وروى البزاز عن أنس أيضا أن النبى ﷺ قال : « سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته ، من علَّم علما ، أو كرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورَّث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » ، والسعى على الأهل والعيال فى نظر الإسلام يزيد فى الأجر ويكفر الذنوب ، روى مسلم عن أبى هريرة حديث « دينار أنفقته فى

سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » وروى أحمد حديث « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة . . . » ومرّ على مجلس الرسول ﷺ شاب ذو صحة وعافية ، فقال بعض الصحابة « ويح هذا » لو كان شبابه وجَلَدُه فى سبيل الله ، فرد عليهم الرسول ﷺ : « لا تقولوا هذا ، إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء وسمعة فهو فى سبيل الشيطان » (رواه الطبرانى) ، وروى « من أمسى كالاً من عمل يده أصبح مغفورا له » (رواه الطبرانى) وروى « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولكن يكفرها السعى على العيال » رواه ابن عساكر ، وحين صافح رسولُ الله ﷺ سعدَ بن معاذ فوجد يده خشنة من أثر العمل قال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » ، فالمسلم مطلوب منه أن يعمل لدنياه وأخراه وقال تعالى : ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ القصص ٧٧ ، وروى « أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا » ، والعمل الذى يأمر به الإسلام لابد أن يؤدَّى على أكمل وجه فقد ورد « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » (ذكره البيهقى فى الشعب ، وضعفه علماء الحديث) ، فالإسلام دين عبادة وعمل يدعو إلى استغلال الطاقات وتسخير الإمكانيات والتقدم فى جميع المجالات الزراعية والصناعية والتجارية والسيطرة على البر والبحر والجو من أجل تسخير كل ذلك لخدمة المجتمع الإسلامى حتى لا يعيش

عالة على دول أجنبية يستــورد منها كل شيء من غذاء أو صناعات ، وبلاد المسلمين عامرة بالخيرات ولا ينقصنا إلا العمل تحت شعار « العمل عبادة » ، فمن الشيء المؤلم أن ما نراه فى الدول الإسلامية من سيارات أو ثلاجات كل ذلك صنع فى دول أجنبيه . . وكنا نحن المسلمين أولى بهذا انطلاقا من فهــمنا لديننا . . أما آن للمســلمين أن يستغلــوا خيرات بلادهم فى نهــضة أوطانهم عزة للاسلام ورفعة لأهله ؟ .



محاربة الإسلام للتسول

الحمد لله كتب العزة لذاته ولرسوله وللمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله أذن أن تُرفع بيوته ويُذكر فيها اسمه ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله نهى عن المسألة ، ودعا إلى الكد من أجل اللقمة الحلال ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

المسلم عزيز بدينه ، كريم بعقيدته ، قال تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ المنافقون ٨ ، فهو لا يقبل المهانة لنفسه أو الإذلال لشخصه ، ومهما بلغت به الحاجة ، أو فعل به الفقر ، فهو يتعفف حتى يحسبه الجاهل بحاله أنه من الأغنياء ، قال تعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ البقرة ٢٧٣ وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين الذي يتعفف ، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ . فالمسلم لا يأكل إلا من عمل يده ، وعرق جبينه ولا يمد يده للناس ، روى البخارى عن الزبير بن العوام أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يأخذ أحدكم أحبله ، ثم يأتى الجبل ، فيأتى بحزمه من حطب على ظهره ، فيبيعها ، فيكفّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ، وكان أنبياء الله يأكلون من عمل يدهم ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده » وروى البخارى أيضا عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله

داود كان يأكل من عمل يده » ويقول الرسول ﷺ عن زكريا :« كان زكريا عليه السلام نجارا » وكذلك كان نبينا ﷺ يرعى الغنم ثم اشتغل بالتجارة ، وتلك روح الإسلام يدعو إلى العمل والكد ، قال تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾ الجمعة١٠ ، لكن هناك بعض الناس اتخذوا من التسول مهنة ، واستمرءوها لأنها تدر عليهم دخلا دون تعب ، وتملأ جيوبهم بالمال الحرام والسحت ، وتَرْكُ هؤلاء تشجيع لهم على البطالة والكسل ، والإسلام يريد لكل مسلم أن يكون صاحب اليد العليا وهى التى تعطى ، لا صاحب اليد السفلى وهى التى تأخذ ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن حكيم بن حزام أن الرسول ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى،ومن يستعف يعفه الله ، ومن يتسغن يغنه الله » ، ومما يزيد الأمر سوءا أن المتسولين اتخذوا من بيوت الله مكانا لممارسة هوايتهم ، وكلنا نعلم أن بيوت الله إنما بنيت للعبادة وذكر الله قال تعالى : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها أسمه** ﴾ النور ٣٦ ، فالمساجد هى أحب بقاع الله إلى الله فى الأرض ، واحترامها واجب على كل مسلم ، فلا ينبغى أن تكون مكانا للتسول ، أو نشدان الضالة ، أو سوقا للبيع والشراء ، روى أحمد وأهل السنن أن رسول الله ﷺ « نهى عن البيع والابتياع وعن تناشد الأشعار بالمساجد » ، وروى الترمذى عن ابى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فى المسجد ، فقولوا : لا ردها الله عليك » ، فالمسلم تأبى عليه عزته ويمنعه دينه من أن يتسول وهو قادر على الكسب لأنه يعلم أن ذلك سحت وليس فيه بركة ،

روى مسلم عن سفيان أن رسـول الله ﷺ قال : « لا تلحفوا فى المسألة ، فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئا فتُخـرج له مسألتُه منى شيئا وأنا له كاره ، فيبارك له فيما أعطيته » ، وجاء فى الحديث المتفق عليه عن حكيم بن حزام قال : سألت رسـول الله ﷺ فأعطانى ، ثم سألته فـأعطانى ، ثم سألته فـأعطانى ، ثم قال ﷺ : « يا حـكيـم إن هـذا المال خـضر حلـو فـمـن أخـذه بسخـاوة نفس بورك له فيـه ، ومن أخذه بإشراف نفـس لم يبارك له فيه ، وكـان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليـد العليا خير من اليـد السفلى ـ الحديث » . . فـالذى يتعرض لسؤال الناس تكثـرا وطمعا فـيمـا عندهـم يلقى الله وهـو عليه غضبان ، قد ذهب لحم وجـهه ، وفقد كرامة الإيمان ، روى عن ابن عمر الحديث المتـفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة « قطعة لحم » ، والمتسول يفرح بما جمعه من مال ، وهو لا يعلم أن ما يأخذه من الناس إنما هو نار والعياذ بالله تعـالى ، روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من سأل الناس تكثرا ، فإنما يسأل جمـرا فليستقل أو ليستكثر » ، والمسلم إذا نزلت به فـاقه شديدة ، أو اضـطرته ظروفه إلى طلب المسـاعدة فليستعن بالله أولا فهـو الذي يفك كرب المكروبين ، روى أبوداود والترمذى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « من أصـابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَّد فاقته ، ومن أنزلها بالله ، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » ، وليأخذ بالأسـباب فيلجأ إلى الجـهات المسئولة ، فالدولة تكـفلت بمساعدة المحتاجين الذين يتعـرضون لظروف قهرية لا يستطيعـون دفعها ، ومن أجل ذلك أنشئت الجـمعيات الخـيرية لمساعـدة أصحاب الحاجـات، فعلى طالبى المساعدة أن يتقدموا لهذه الجمعيات ان كانوا بحاجة إلى المساعدة الحقيقية ،

روى الترمذي عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال : إن المسألة كدٌ يكدُ بها الرجل وجهه ـ أى يخدشه ـ إلا أن يسأل الرجل سلطانا ، وفي أمر لابد منه » ، وقد بين الرسول ﷺ ـ الحالات التي تُلجىء صاحبها إلى أن يمد يده لطلب المساعدة ، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « إن المسألة لا تجوز إلا لذى فقر مدقع أو غرم مفظع أو دم موجع » وروى مسلم عن قبيصة ، قال : تحملت حمالة ـ أى تحمل ديات قتلى بين فريقين بغرض الإصلاح بينهما ـ فأتيتُ رسول الله وأسأل فيها ، فقال ﷺ : « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » ثم قال : « يا قبيصه : إن المسأله لا تحل إلا لأحد ثلاثه ، رجل تحمَّل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيب ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى « العقل » من قومه : لقد أصابت فلانا فاقةٌ ، فحلت له المسأله حتى يصيب قواما من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْت ، يأكلها صاحبها سحتا » فالإسلام لا يمنع أصحاب الحاجات من طلب المساعدة وليكن ذلك من السلطان أو من إخوانه المسلمين . . وليكن بعيدا عن المسجد احتراما له .



الفم : ما يخرج منه وما يدخل فيه

الحمد لله أمر عباده بالكلم الطيب ، وبالأكل من الحلال الطيب ، وأشـهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسـان علمـه البيـان ، وأشهـد أن سيـدنا محمدا رسول الله حفظ لسانه فلم ينطق إلا خيراً وحفظ بطنه فلم يأكل إلا حلالا ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . .

وبعد . . خلق الله الإنسان فى أحـسن صورة قال تعالى : ﴿ يأيها الإنسان ما غـرك بربك الكريم الذى خلقك فـسواك فـعدلك فى أى صـورة ماشـاء ركبك ﴾ الانفطار ٦/٨ ، وخصه بالـنطق والبيان ، وركب فيـه من الحواس ما ميـزه عن الحيـوان ، ومـن هذه الحواس الفم وفـيـه اللسان والشـفتـان قال تعالى : ﴿ ألم نجعل له عـينين ولسانا وشـفتين ﴾البلد ٨/٩ ، ولكى يشكر العبد ربه على نعمة الفم عليه أن يحاسب نفسه على كل ما يخرج من فمه، وأعنى به الكلام وعلى كل ما يدخل فى فمـه وأعنى به الطعام والشراب ، فلا يسـمح لفمه أن يُفتح إلا لـيخرج منه كلام طيب أو يدخل فيـه طعام أو شراب طيب ، فأما الشق الأول وهو الكلام فـالقرآن نبه المسلم إلى أن عن يمينه وشماله ملائكةً تكتب كل كلمة يقولها ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمـال قعيـد ، ما يلفـظ من قول إلا لديـه رقـيب عتيـد ﴾ ق ١٧/١٨ ﴿ وإن عليكم لحـافظين ، كـرامـا كـاتبين ﴾ الانفطار ١٠/١١ ، وقد أمـرنا الله بالقول الحسن ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ البقرة ٨٣ ، ﴿ ادفع بالتى هى أحسن ﴾ فصلت ٣٤ ، ﴿ وقل لعـبادى يقـولوا التى هى أحـسن ﴾ الإسـراء ٥٣ ، وعلمنا رسولنـا ﷺ ألا نقول إلا خيـرا « من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فلـيقل

خيـرا أو ليصـمت » متفق علـيه ، « رحم الله امرءا تكلم فـغنم أو سكت فسلم » (رواه الطبرانى) روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ نصح أبا ذر فقال « عليك بطول الصمت ، فـإنه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك » واعتـبر سلامـة اللسان دليلا على سـلامة الإيمان روى أحمـد والطبرانى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يستقيم إيمان عبد حـتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حـتى يستـقيم لسانه »[1] فـالمسلم لا يُتكلم إلا إذا كانت هناك مـصلحة وفائدة ، روى التـرمذى أن رسول الله ﷺ قال : « من حُـسْن إسلام المرء تركه مـالا يعنيه » فإن استـوى الكلام وتركه فالسنة الإمـساك عن الكلام ، لأنه قد يجر صاحبه إلى ما هو حرام أو مكروه ، فليس لدى المسلم وقت ينفقه فى الكلام الفارغ أو اللغو الضار ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ المؤمنون ٣ ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ الفرقان ٧٢ ، فإذا تكلم المسلم فليكن كلامه ذكرا « لا تكثـروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثـرة الكلام بغير ذكر الله تعـالى قـسـوة لـلقلب ، وإن أبعـد الناس من الله القـلب القـاسى » رواه الترمذي ، وقد بين الله وجوه الخير فى الكلام فقال ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمـر بصدقه أو معـروف أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء ١١٤ ، وفى هذا المعنى يقول فيما يرويه الترمذي وابن ماجه : « كل كلام ابن آدم عليه لا لـه إلا أمرا بمعروف أو نهـيا عن منكر ، أو ذكـرٌ الله تعالى » كـما حرم رسـولنا صلى الله ﷺ أن يصـخب أو يلعن أو يسب مـسلمـا « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولاالبـذىء » رواه الترمذي « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » متـفق عليه ، فالمسلم كما يقول الرسول ﷺ : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » متفق عليه ، فلا يسخر من الناس ولا يغتابهم ولا يكن نماما ولا يعيِّر الآخـرين بعيوب فيهم قال تعالى : ﴿ يأيها

---

(1) وفى الحديث (إن ابن آدم إذا أصبح ، فإن الأعضاء كلها تذكر اللسـان وتقول : يالسـان اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا) .

الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان كونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ..﴾ الحجرات ١٢/١١ ، **فقد يقول العبد كلمة ترفعه عند الله درجات ، وقد يقول كلمة ترمى به فى جهنم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من** رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالايرفعه الله بها درجات ، وان العبدليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » رواه البخارى .

أما بالنسبة لما يدخل فى فم الإنسان فهناك بعض المطعومات والمشروبات التى حرمها الإسلام كالميتة والدم ولحم الخنزير وما ذُبِح علي غير الطريقة الأسلامية والخمر وكل المسكرات ، قال تعالى : **﴿ إنما حَرَّم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير اللهبه ..﴾** النحل١١٥، وقال : **﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾** المائدة ٩١/٩٠ ، وقد دعانا الله إلى الأكل من حلال **﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾** النحل ١١٤ ، كما أمر الإسلام كل مسلم ألا يُدْخَل من فمه إلى بطنه إلا ما كان من كسب حلال **﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾** البقرة ١٧٢ ، روى ابن عباس أنه عندما تلي قوله تعالى **﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ﴾** البقرة ١٦٨ ، فقام سعد بن ابى وقاص فقال يا رسول الله : ادع الله ان يجعلنى مجاب الدعوة فقال : « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل

منه أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به » .

وفى الحديث الآخر يقول الرسول ﷺ : « أيها الناس : إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم ، وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذى بالحرام فأنَّى يستجاب له » ؟ رواه احمد ومسلم . .

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ، واجعل نطقنا ذكرا وصمتنا فكرا ونظرنا عبرا .



من هفوات اللســـان

الحمد لله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله لايحب الجهر بالسوء مــن القول إلا من ظُلِمَ ، وأشهد أن سيدنا محـمدا رسولُ الله كان صمته فكرا ونطقه ذكـرا وبصره عِبَرا ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد . . فى الخطبة السابقة تكلـمت عن الفم وما يخرّج منه وما يدخل فـيه ، وأعنى بما يخرج منه الكلام ، وأعنى بما يدخل فيه الشراب والطعام ، وأكدت على أن يلتزم المسلم بالكلمـة الطيبة وأن يتـحرى الحلال الطيب من الطعـام والشراب ، ونظرا لخطورة اللسان ولأهميـة ما يصدر منه من كلام فقد جـعلت موضوع الخطبة اليوم عن بعض هفوات اللسان ، فأهم مافى المرء هو قلبه ولسانه ، يقول ﷺ : « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ، وهناك أخطاء يقع فيها الإنسان من هفـوات تصدر عن اللســان ، منها الحلف فـإذا أراد المسلم أن يحلف فليحلف بالله أو بصفة من صفاته ولا يحلف إلا صادقا ، فلا يحلف بأبيه أو أمه ولا بأولاده ولا بالـكعبة الشـريفة ولا بالنبى ولا بالـولى ، ولا يقول : أكون بريئـا من دين الإسلام أو نصرانيـا أو يهوديا ، فقـد سمع النبى ﷺ عمر يحلف بأبيه فى ركب فنادى عليهم وقال لهم : « ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحـلفوا بآبائكم ، فمن كـان حالفـا فليحلف بالله أو ليـصمت » وكان رســول الله إذا أقسم يقول « ومـقلب القلوب ، والذى نفس محـمد بيده » فإذا حلف المسلم على شئ وأراد التحلل من يمينه فهذا جائز ومن يسر الإسلام قال تعالى: ﴿ قد فـرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ التحريم ٢ ، وذلك

بان يمر عن يمينه إما باطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، قال تعالى : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** ﴾ المائدة ٨٩ .

ويقول ﷺ : « من حلف على شيء فرأى خيرا منه فليفعل الذى هو خير وليكفر » رواه مسلم ، وهذه هى اليمين المنعقدة ، أما اليمين الغموس فهى من الكبائر ، وهى أن يحلف صاحبها كاذبا متعمدا أو يحلف ليقتطع حق أمرىء مسلم بيمينه ، وهذا قد حرم الله عليه الجنة ، وسميت يمين غموس لأنها تغمس صاحبها فى الاثم أو فى جهنم ، روى البخارى من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: « الكبائر ، الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وعن ابن أبي أوفى : أن رجلا أقام سلعة فى السوق فحلف بالله ، لقد أعطى بها مالم يُعْطَ - ليوقع فيها رجلا من المسلمين - فنزلت ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أؤلئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ آل عمران ٧٧ ، ويُلحق باليمين الغموس شهادة الزور، لأن فيها ضياعَ حق إنسان. قال ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » متفق عليه ، ومن هفوات اللسان أيضا أن تقول شفانى الطبيب فلان ، فالذى يشفى هو الله قال تعالى : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ الشعراء ٨٠ ، لكن يقول : جعل الله الطبيب سببا فى شفائى . ومن هفوات اللسان أن تقول ما شاء الله وشئت ، ففى الحديث « لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل : ماشاء الله ثم شاء فلان » ،

روى ابن عباس أن رجلا قال للنبى ﷺ ما شاء الله وشئت . فقال : « أجَعَلْتنى لله نداً ؟ قل ماشاء الله وحده » ، ومن هفوات اللسان أيضا أن ينسب إلى مخلوقات الله ما هو من صنع الله كما جاء فى موطأ الإمام مالك عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صلّى بالمسلمين صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء - عقب مطر - كانت من الليل . فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » ومن هفوات اللسان أيضا أن يلعن الإنسان الزمن أو يسب الدهر فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : « يؤذينى ابن آدم بسب الدهر وأ نا بيدى الأمر ، أقلب ليله ونهاره » رواه أبو داود وفى رواية لمسلم « لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر » ومعنى أن الله هو الدهر يعنى أن ما يقع فى الزمن من أحداث هى من صنع الله ، كذلك من هفوات اللسان أيضا أن يسب الإنسان مالا يعقل ، فقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ ، روى جابر أن الرسول دخل على أم السائب فقال لها مالك تزفزفين - ترتعدين - قالت : الحمى لا بارك الله فيها ، فقال لا تسبى الحمى فانها تُذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » رواه مسلم ، كما نهى الرسول ﷺ عن سب الريح كما رواه الترمذى ، فقد رأى ﷺ رجلا تنازعه الريح رداءه ، فلعنها ، فقال له الرسول ﷺ : « لا تلعن الريح فإنها مسخرة ، ومن لعن مالا يعقل ردت عليه اللعنة » روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء ، فتُغلَق أبواب السماء

دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابهـا ، ثم تأخذ يمينا وشمالا ، فإن لم تجد مسـاغا رجعت إلى الذى لُعن ، فإن كـان أهلا ، وإلا رجعت إلى قائلهـا » وروى أبو داود أيضا أن رجـلا قال لرسول الله ﷺ : أعـهد إلىّ فقال له ﷺ : « لا تـسبن أحدا » يقول الصحـابى : فما سببـت بعده حرا ولا عبـدا ولا بعيرا ولاشاة ، فـكثيرا ما يحـدث أن يقود الإنسان دابتـه فلا تستجيب فيلعنها ، أو يلبس نعله فيتعثر فيلعنها ، وورد أيضا النهى عن سب الديك فإنه يـوقظ للصلاة كمـا رواه أبو داود ، كما ورد النـهى أيضا عن سبب الأموات لمـا رواه البخارى عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدموا » أما من عرفوا بفسق أو بدعة فيباح ذكر مساوئهم إن كان فـيه مصلحة ، ولا حرج فى سب أموات الكفار ولعنهم ، فقد لعنهم الله فى القرآن : ﴿ لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسـان داود وعيسـى بن مريم ﴾ المائدة ٧٨ ، وهفوات اللسان كـثيرة إنما ذكرت بعـضها للتنبـيه والتذكـير وقد حـذر منها القرآن الكريم ونهـانا عنها رسولنا العظيم ، والغرض من كل ذلك أن يتعود المسلم على عفة اللسان ، وحلو الكلام ، فلا يصدر عنه ما يؤذى أو يسىء بل يلتزم القول اللين الذي أمر الله به موسى وهارون حينمـا أرسلهما إلى فرعون ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ طه ٤٤ ، وأن يعتمد فى حواره على الحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنـة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ النحل ١٢٥ ، وأن يركن إلى القول الـسديد تنفيـذا لأمر الله ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقـوا الله وقولوا قولا سـديدا يصلح لكم أعـمالكم ويغـفر لكم ذنوبكم ﴾ الأحزاب ٧٠/٧١ ، وقال تعـالى : ﴿ وليـخش الذين لو تركـوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾ النساء ٩ .

إفشاء السر

الحمد لله يعلم السر وأخفى ، والجهر وما يخفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ستّير يحب كل ستير ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ربًّى صحابته على أداء الأمانات وحفظ الأسرار ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .... وبعد ..

لكل إنسان أسراره الخاصة التى يجب أن يحتفظ بها ولا يُطلع عليها أحدا من الناس ، وهذا شيء مرغوب فيه ، فقد ورد فى الأثر « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة مغبون » لكن بعض الناس لا يستطيع حفظ سره ، فينفلت لسانه به إلى من لا يُوثَق بهم ، فتتكشف أسراره وتذاع أخباره ، وهو المسئول عما حدث ، قال الشاعر :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

لكن الإنسان أحيانا يحتاج لمشورة غيره فى أمر يخصه ، وحينئذ عليه أن يختار المؤمنَ الذى يثق برأيه ، ويطمئن لأمانته ، فيفضى إليه بسريرته ، ويطلب منه الرأى والمشورة ، فقد ورد « لا خاب من استخار ولا ندم من استشار »[1] والإسلام يلزم كل مسلم أؤتمن على سر أن يحفظه

(١) أخرجه الطبرانى

ولا يذيعه ، فإن إذاعة أسرار الناس خيانة ، وتلك صفة المنافقين « وإذا أؤتمن خان » متفق عليه ، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « المستشار مؤتمن » ، ومن كتمان السر أيضا أنك إذا رأيت رجلا على فاحشة ، وطلب إليك الا تفضحه وأخذ على نفسه عهداً أنه لن يعود ، ووثقت من صدقه ، فالواجب عليك أن تستر عليه ، لقوله ﷺ : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » رواه مسلم ، والحديث « ان الله ستِّير يحب كل ستير » فلعل الله يجعل توبته على يديك ، فهناك بعض الناس يحلو لهم الحديث عن الناس، والتسلية بإذاعة أسرارهم وكشف سوآتهم وتتبع عوراتهم لكى يَظْهروا أمام الناس بأنهم مْن العالمين ببواطن الأمور ، وقد توعَّد رسول الله ﷺ هذا الصنف فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورات المسلمين يوشك الله أن يفضحه ولو فى عقر داره » رواه أبو داود ، لكن هناك حالات ينبغى على المسلم أن يذيع السر ولا حرج عليه ، وذلك إذا ترتب على كتمانه وقوع جريمة ، كمن علم أن جماعة تدبر لقتل إنسان أو سرقة بيته أو ماشابه ذلك عملا بقوله ﷺ : « المجالس بالأمانه إلا مجلسا يسفك فيه دم حرام ، ومجلسا يستحل فيه فرج حرام ، ومجلسا يستحل فيه مال بغير حق » رواه ابو داود ، والبيوت أسرار ولها حرمتها ، فلا ينبغى المسلم أن يقتحم بيتا على أهله دون أن يستأذن ويُسمح له بالدخول ، فقد يكون سكان هذا البيت فى وضع لا يسمح بدخول إنسان غريب عليهم أو أنهم يتحدثون فى موضوع خاص لا يحبون أن يطلع عليه أحد ، ولذلك أمر الله بالاستئذان قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم

تذكرون فإن لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾ النور ٢٧/٢٨ ، وقد أفتى جماعة من العلماء بأنه لو اطلع إنسان فى دار غيره من غير إذنه ، فطعنه صاحب الدار ففقأ عينه فلا قصاص عليه لحديث « من أطلع فى دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، كذلك من إذاعة الأسرار ان يرتكب عبد ذنبا وقد ستره الله فيصبح فيقول : فعلت كذا وكذا البارحة بقصد التفاخر بالمعصية ، وفي هذا وأمثاله يقول ﷺ : « كل امتى مُعَافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عليه » متفق عليه ، ومن الوقاحة وإساءة الأدب وسوء التربية أن يذيع الزوج أو تذيع الزوجة ما يحدث بينهما فى الفراش ، روى مسلم من حدث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها » وعن أسماء بنت يزيد : أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده ، فقال « لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها » فأزمَّ القوم ـ سكتوا وجلين ـ فقالت : إى والله يارسول الله إنهم ليفعلون ، وإنهم ليفعلن ، قال : « فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون » رواه احمد ، فذلك من إشاعة الفاحشة .

والله يقول : **﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** النور ١٩ ، ومن الخيانة الكبرى أن يذيع المسلم أسرارا خاصة بالدولة ..سواء عن قصد أوغير

قصد ، قال تعالى : ﴿ واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ...﴾ النساء ٨٣ ، ويروى مسلم عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : « كفى بالمرء كذبا أن يُحَدثَ بكل ما سمع »، وقد حدث ذلك فى عصر رسول الله ﷺ حين عزم على فتح مكة عندما نقضت قريش العهد ، وكتم الخبر ، فالحرب خدعة ، ودعا ربه فقال : « اللهم عمِّ عليهم خبرنا » ، لكن أحد الصحابه واسمه « حاطب بن أبى بلتعه » كتب كتابا إلى قريش فى مكة يخبرهم بما عزم عليه الرسول ﷺ وأرسله مع أمرأة من قريش ، فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث الرسول ﷺ عليا بن أى طالب والزبير والمقداد فلحقوا بالمرأة واخرجوا منها الكتاب فإذا فيه : من حاطب إلى ناس من قريش يخبرهم فيه بخبر الرسول ، فجيء بحاطب فسأله الرسول ﷺ : ما حملك على هذا ياحاطب ؟ فقال : يارسول الله إنى قد تركت أهلى بمكة وليس لهم من يحميهم ، أما من معك من المهاجرين فإن لهم قرابات يحمون أهليهم وأنا ـ كما تعلم ـ لست من قريش ، فأردت إن فاتنى نسبى إلى قريش أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال ﷺ : « إنه صدقكم » ، فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال ﷺ : إنه شهد بدرا ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم (البخارى) فلم ينقذ حاطبا إلا شهوده غزوة بدر . . وفى هذا نزل صدر سورة الممتحنة ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. الآية ﴾ .



كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا[1]

الحمـد لله أودع فى كل قلب ما أشغله ، وأشـهد أن لا إله إلا الله قلوب العباد بين إصـبعين من أصابعه يقلبـها كيف يشاء ، وأشهـد أن سيدنا محـمدا رسول الله ﷺ كـان يمزح ولا يقول إلا حـقا ، وكان أكـثر الناس خشيـة لله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحـبه .. وبعد..

الحياة مليئة بالهمـوم والأحزان ومشكلاتها لا تنتهى ، ولا يمكن للإنسان أن يقضىَ حياتَه عابسا مقطِّب الحاجـبين ، لا يبتسم للحياة ولا يفتح قلبه للأمل والتفاؤل ولا يحسن الظن بخالقه تعالى ، ومصحات الأطباء النفسيين ملأى بهذا الصنف مـن الناس ، لكن المسلم لا يعرف طريق هذه المصـحات لأنه يكيف نفـسه مع الحيـاة ، فيتـأقلم مع ظروفه ، ويتـجاوب مع أوضـاعه ، ويستروح النفس بـاللهو البرىء ، قابل حنظلة وهو من صـحابة رسول الله ﷺ - أبا بكر فـقال له : هـلك حنظلة ، قال لـه : وما أهلكك ؟ قـال : نكون مع رسول الله ﷺ فيحدثنا عن الجنة فكأننا نراها ، ويحدثنا عن النار فكأننا نحس بهـا ، ثم إذا تركناه وذهبنا إلى الأهل عافـسنا النساء ولاعـبنا الأولاد ونسينا مـا قال الرسول ﷺ ، فقـال أبو بكر : هلك أبو بكر ، هيا بنا إلى رسـول الله ﷺ فقـال أبو بكر للرسـول مـا قاله حـنظلة ، فقـال الرسول ﷺ لحنظلة : « والله لو بقيتم على مـا أنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة ، ولكن يا حنظلة سـاعة وسـاعة »[2] ، فـرسولنا ﷺ يدعـو إلى التفاؤل فهو يقـول : « وأحب الفأل الصالح » ، ويروى عنه أنس الحديث المتفق عليه « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) اخرجه احمد والترمذى . (٢) رواه مسلم .

يستعيذ من الهم والغم ، ويحكى أنس أيضا أنه ما رأى أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ والله نهانا عن اليأس فقال : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ الزمر ٥٣ وقال : ﴿ لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف ٨٧ ، وورد عن على أنه قال : « روحوا القلوب بطرائف الحكم فإنها تمل كما تمل الأبدان » ، ومع أن رسول الله أكثر الناس خشية لله إلا أن له مواقفَ كان يمزح فيها ولا يقول إلا حقا ، من ذلك ما رواه أحمد والترمذى أن صحابيا اسمه زاهر كان يعيش فى البادية ، وكان الرسول إذا أراد الخروج إلى البادية خرج إلى زاهر هذا ، وحدث أن مرَّ الرسول فى المدينة فوجد زاهرا فجاءه من خلفه ووضع يديه على عينى زاهر وقال : من يشترى هذا العبد ؟ فعرف زاهر أنه رسول الله يداعبه فقال : يارسول الله ، لا تجدنى إلا كاسدا ، فقال له الرسول : « ولكنك عند الله ربيح » ، وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بطلب بعيرا ، فقال له الرسول ﷺ : « لأحملنك على ابن ناقة ، فاندهش الرجل وقال لا يستطيع ابن الناقه ان يحملنى ، فقال له : « وهل هناك بعير إلا وهو ابن ناقة ؟ » (رواه الترمذى) وقد جاءت امرأة اسمها أم أيمن إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، فقال لها : من زوجك ؟ قالت : فلان ، فقال : الذى بعينيه بياض ؟ فقالت : يارسول الله ، ما بعينيه بياض ، قال : بلى : إن بعينيه بياضا ، فأسرعت تنظر فى عين زوجها ، وحكت له ما قاله الرسول ﷺ فقال لها :اما ترين بياض عينى؟ (إحياء علوم الدين ٣/ ١٢٩)، وروى الترمذى أن عجوزا قالت يارسول الله : ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال : يا أم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولَّت تبكى ، قال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء

فجعلناهن أبكارا عربا أترابا ﴾ الواقعة ٣٥/٣٨ ، دخلت زينب بنت أم سلمة ربيبة رسول الله ﷺ على الرسول ﷺ في مغتسله وكانت طفلة فنفخ فى وجهها الماء فبقيت النضارة فى وجهها حتى بعد أن صارت عجوزا ببركة نفخة رسول الله ﷺ ، وقد مر صحابى اسمه « نعيمان » ببيت رسول الله ﷺ فوجد بائع عسل فأخذ منه العسل ، ودخل به على رسول الله ﷺ وتركه وخرج من مكان لا يراه فيه صاحب العسل ، وظل صاحب العسل ينتظر ثمن العسل حتى خرج رسول الله ﷺ فوجده فسأله فحكى له ، فعرف الرسول أنها من « هَنَات » نعيمان ، فلما التقى بنعيمان قال له : ما صنعتَ يانعيمان ؟ فقال : يارسول الله أردتُ أن أبرك وليس عندى شيئ (إحياء علوم الدين ٣/ ١٣١) ، وروى الإمام أحمد أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ البقرة ١٨٧ ،عمد أحد الناس إلى عقالين أى خيطين أحدهما أسود والآخر أبيض ، فجعلهما تحت وسادته وظل ينظر إليهما ، فلما تبين له الأبيض من الأسود أمسك عن الطعام والشراب ، فلما أصبح حكى لرسول الله ﷺ فقال له الرسول : « إن وسادك إذاً لعريضة إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل » ، وفى رواية أنه قال له : « إنك لعريض القفا » وكان رسول الله ﷺ يداعب أبا هريرة فيقول له : يا أبا هر .

وإذا كان لرسول الله ﷺ هذه المواقف فإنما هى دليل على أن فى ديننا فسحة ، وليس معنى ذلك الدعوة إلى التهريج وفتح باب الفوضى والضحك بسبب أو بغير سبب والتمادى فى اللهو .. بالطبع ليس ذلك مقصوداً ، بل المقصود باللهو اللهو البرىء الذى لا يخل بالآداب ولا يخدش الحياء ولا يُتهكم به على الاخرين ، ويكون بقدر ما يساعد على

تحمل اعباء الحياة والتغلب على مشكلاتها ، فالرسول يقول : « إياكم وكثرةَ الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » رواه الترمذى ، ويقول تعالى : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ الزمر ٢٢ وقال عمر بن الخطاب : « من كثر ضحكه قلت هيبته » وهذه المواقف طارئه فى سلوك رسول الله فهى الاستثناء أما القاعدة فكان رسول الله أكثرَ الناسِ خشيةً لله وكان بكّاء وكان يقول لصحابته كما يروى أنس فى الحديث المتفق عليه : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ، قال : فغطّى أصحاب رسول الله ولهم خنين ، وكان يقول لصحابته « إن لم تبكوا فتباكوا » وكان يطلب من صحابته أن يذكروا الموت ، روى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أكثروا من ذكر هادم اللذات » يعنى الموت . . فالحياة قد تحتاج لموقف فيه دعابة ، لكنها ومضة فى حياة المسلم ، فهو مشغول بالآخرة يتخذ من دنياه معبرا إليها .



الجـرأة فى قـول الحـق

الحمد لله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، وأشهد أن لا إله إلا الله أحق أن تخشوه إن كنتم مـؤمنين ، وأشهد أن سيدنا محـمداً رسول الله لا يخشى فى الحق لـومة لائم ، اللهم صل وسلم وبارك على سـيدنا محـمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

كل مسلم مطالب بـأن يقـول الحـق ولـو علـى نفسـه ، أو والديـه أو الأقربـين ، لا يميل عنـه بسبب حب أو بغض ، ولا يجـامل فيـه لأجل قرابـة أو جاه . قال تعـالى : ﴿ **يأيهـا الذين آمنوا كـونوا قوامين بالقسـط شهداء لله ولو على أنفسكم** ﴾ النساء ١٣٥ ، وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ﴾ المائدة ٨ ، فالمسلم لا يخشى فى الحق لومة لائم ، فـقد ورد : « **لا يمنعن أحدكم هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه** » ، كما جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبي عبادة أنه قال : بايعنا رسولَ الله ﷺ على أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائـم ، وروى عنه ﷺ أنه قال : « **أمرت أن أقـول الحق ولو كان مرا** » وقال : « **أمـرت أن أقول الحق ولا أخشى في الله لومة لائم** » .

فالإسلام يعتبر المسلم الذى يكتم الحق شيطانا، يقول أبو على الصوفى : «الساكت عن الحق شيطان أخرس» . ولذا كان من (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) (ضـعيف) رواه أنفـسائى فـمن الواجب على كل مـسلم أن يقـدم النصيحة الخالصة لكل مسلم ، روى مسلم حديث « **الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتـابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعـامتهم** » ، لقـد قال

أحـد الرعيـة لعـمر ـ خليـفـة المسلمين ـ اتق الله يا عـمـر ، فنهـره أحـد الحاضرين ، فقال عمر : « لا خـير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فيَّ إن لم أسمعها » ، ومن الواجب على المسلم أيضا الا يكتم شهادة ، فقد نهانا الله عن ذلك واعتبـر كاتمها من الآثمين ﴿ **ولا تكتموا الشهـادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ البقرة ٢٨٣ وقال : ﴿ **ولا نكتم شـهـادة الله إنَّا إذًا لمن الآثمين** ﴾ المائدة ١٠٦ ، ففي كتمان الشهادة مجافاة للعدل ، واقتطاع لحق امرىء وشيوع للباطل والفساد ، ويدخل في قول الحق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد جـعل الله ذلك من مميزات الأمة الإسـلامية فـقال : ﴿ **كنتم خيـر أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ آل عمران ١١٠، وقال : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقـيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيـعون الله ورسوله** ﴾ التوبة ٧١ ، كما دعا القرآن إلى تكوين جماعـة من المسلمين ، مهمتها الدعوة إلى الخير والأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..** ﴾ آل عمران ١٠٤ ، وقد جعل الإسـلام تغيير المنكر درجات ومراحل على حـسب الاستطاعة ، روى مسـلم أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فلبـسانه فإن لم يستـطع فبقلبه ، وذلك أضـعف الإيمان » ومعنى ذلك أنه يجب على كل مـسلم فى كل مـوقع أن يقـاوم المنكر وألاَّ يسكت على خطأ أو يرضـى بباطل وذلـك في حدود اسـتطاعـتـه كـمـا ذُكـرَ فى الحديث ، لأن المخطىء إن لم يجد من ينبهه إلى خطئه تمادى ، بل قد يظن أنه على صـواب ، لذا وجب ردع المـنحـرفين والمخـالفين حـتى لا تشـيع الفاحـشة أو يطغى الباطل ، والخطـر كل الخطر فى أن تهمل الأمة قـاعدة

الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر فقد لعن الله بنى إسـرائيل لإهمالهم هذه القاعدة ، روى أبو داود والـترمذى من حديث لابن مسـعود رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : « لما وقعت بنـو إسرئيل فى المـعاصى نهـتـهم علماؤهم فلم ينتـهوا ، فجالسـوهم فى مجالسـهم ووالوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعـضهم ببعض ، ولعنهم ﴿ على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ الآيات من سـورة المائدة ٧٨ - ٨١ ، فجلس رسول الله وكـان متكئـا ، فقال : لا والـذى نفسى بيده حتى تأطروهم - تُجبـروهم - على الحق أطرا » والواجب عـلى من يأمـر الناس بالمعـروف وينهى عن المنكر أن يكون قـدوة فلا يخالف قـولُه فعلَه وإلا كـانت الطامة الكبرى قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتـنسون أنفسكم ﴾ البقرة ٤٤ ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ الصف ٢/٣ ، ويصور مصـير هذا الصنف من الناس يوم القيامة الحديث المتفق عليـه الذي يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق أقـتاب بطنه - تخرج أمعاؤه - فيـدور بها كما يدور الحمار في الرحا ، فـيجتمع إليه أهل النار فيـقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تك تأمر بالمعـروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمـر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » ، فـعلى المسلم أن يقول كلمة الحق لينجىَ نفسه قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ﴾ الأعراف ١٦٥ ، والخطر كل الخطر أيضا فى أن تتكاسل الجماعـة الإسلامية عن القيام بـفريضة الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر بحجة أنها تلـتزم بما شرع الله ، فإن الخطر إذا وقع لا يصيب المنحرفين وحدهم ، بل سـيدمر المجتمعَ كلَّه ﴿ واتقوا فـتنة لا تصيبن الذيـن ظلموا منكم خـاصة ﴾ الأنفـال ٢٥ ، وقد

صور رسول الله ﷺ ذلك في الحديث الذى رواه البخارى عن النعمان بن بشير وفيه يقول : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا :لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أديهم نجوا ونجوانا جميعا » ، وفي حديث آخر للترمذي يقسم الرسول ﷺعلى أن الأمة إذا أهملت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فسيرسل الله عليها عقابا ولا يستجاب دعاؤهم : يقول الحديث : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .



معنى الرجولة فى الإسلام

الحمد لله جعل المؤمن القوى خيرا وأحبَّ إليه من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وصف المؤمنين بأنهم : ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله علَّم أصحابه معنى الرجولة والمروءة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . نلحظ أن القرآن الكريم كرر كلمة (رجال) وكلمة (رجل) فى أكثر من موضع بقصد المدح والثناء لا بقصد بيان الجنس ، قال تعالى : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا** ﴾ التوبة ١٠٨ وقال : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ النور ٢٦/٢٧ ، وقال : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾الاحزاب٢٣ ، وقال : ﴿ **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى** ﴾ القصص ٢٠ ، وقال ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى** ﴾ يس ٣٠ - ومعنى ذلك أن الإسلام يهتم بالرجولة ويدعو أتباعه إلى التحلى بها لكن الرجولة التى يعنيها الإسلام ليست مخصوصة بقوة العضلات ، وضخامة الجسم ، وحسن الهندام ، لكنها سلوك راق وموقف إنسانى ، ينبع من تعاليم الإسلام ، ويترجم أحكامه ومبادئه إلى واقع ملموس مشاهد ، روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « لا يكن أحدكم إمَّعة : يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ،

فكم من أناس يشد انتباهك مظهرهم ويروقك منظرهم لما يتميزون به من وسامة فى الوجه ، وطلاقة فى اللسان ، وضخامة فى الجسم ، وبهاء فى الهندام ، لكنك سرعان ما تغير رأيك فيهم إذا خبرتهم وعرفت ما تنطوى عليهم صدورهم ، فستجدهم إما ذئابا بشرية تفتك بالضعيف ، لا ترعى فيه حرمة ولا تحفظ له عهدا ، وإما حملانا ضعيفة لا تقوى على مواجهة الحق ومقاومة الباطل ، فتؤثر الجبن وتركن إلى السلامة ، وهذا الصنف من الناس لا يؤمل خيره ولا يؤمن شره كما أشار الرسول ﷺ في الحديث الذى رواه الطبرانى ، فضخامة الأجسام وحدها لا تعبر عن الرجولة ، روى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « ماتعدون الصرعة فيكم ؟ » قالوا : الذى لا تصرعه الرجال ، قال : « ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب » وقد قيل :

لابأس بالقوم من طول ومن عرض   جسم البغال وأحلام العصافير

وروى البخارى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « إنه ليأتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، قال : اقرءوا إن شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ الكهف ١٠٥ ، وقد ترى الرجل لا يلفت النظر إليه ، ولا يُؤبَهُ له ، لكنه عند المواقف التى تحتاج للمروءة سباق ، روى الأصبهانى أن رسول الله ﷺ قال : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبّت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » ، وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رب أشعثَ أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه » ، لذلك علّم الإسلام أتباعه ألا يكونوا أقزاما فى المواقف التى تحتاج للرجال ، وهذه بعض الأمثلة فقد نهى

الإسلام عن كتمان الشهادة واعتبر كاتمها من الآثمين الظالمين ، قال تعالى ﴿ **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ البقرة ٢٨٣ ، وقال : ﴿ **ولا تكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين** ﴾ المائدة ١٠٦ ، وقال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** ﴾ البقرة ١٤٠ ، كما نهى عن شهادة الزور واعتبرها من الكبائر ، جاء فى الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثا ـ قلنا : بلى يارسول الله قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال « ألا وقول الزور وشهادة الزور » ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » ، ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور ، قال تعالى : ﴿ **والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾ الفرقان ٧٢ ، كذلك اعتبر الإسلام اليمينَ الغموسَ من الكبائر ، وهى التى يحلفها صاحبها كاذبا متعمدا ، وسميت غموسا لأنها تغمس الحالف فى الإثم ، وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » ، كما أمر بالعدل فى الحكم قال تعالى ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ النساء ٥٨ ، وقال : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ﴾ الأنعام ١٥٢ ، وقال ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله** ﴾ النساء ١٣٥ ، وقال ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط** ﴾ المائدة ٨ ، وقال لنبيه داود ﴿ **ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ ص ٢٦ ، وربى فى المسلم الخوف من الله وحده ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشون** ﴾ المائدة ٤٤ ، ويقول ﷺ « لا يمنعن رجلا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه » ويعتبر الإسلام أن الرجل هو الذى يتحكم فى نفسه عند

الغضب ، رُوى عن أبى هريرة الحديث المتفق عليه « ليس الشديد بالسرعة ـ الذي يصرع الناس ـ إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » ، وغير ذلك كثير مما يخلق الرجال ، ويبعث فى النفس المروءة ، وقدوتنا فى ذلك رسولنا ﷺ حين عرض عليه عمه أبو طالب أن يترك أمر الدعوة قائلا له : ابق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلنى من الأمر مالا أُطيق ، فرد عليه الرسول ﷺ : « ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ماتركته » ، ولنا فى صحابته الأسوة الطيبة وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ الاحزاب ٢٣ ، روى عن البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم أن هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر وفى أصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، وكان أنس لم يشهد يوم بدر مع الرسول ﷺ فشق ذلك عليه ، وقال : لئن أشهدنى الله عز وجل قتالا للمشركين ليَرَيَنَّ الله تعالى ما أصنع ، فلما انكشف المسلمون يوم أحد قال : اللهم إنى أعتذر اليك مم صنع هؤلاء ـ يعنى أصحابه ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، فوجد فى جسده بضع وثمانون ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم ، وليس هذا مستغربا من هؤلاء الذين تربوا على قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴾ الانفال ١٥/١٦ ، وقوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثرا لعلكم تفلحون ﴾ الانفال ٤٥ ، وقد وصف الله المصرى الذى جاء لموسى يخبره بأن فرعون سيقتله بأنه رجل ﴿ وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من

الناصحين ﴾ القصص ٢٠،كمـا وصف من جاء إلى أهل قريتـه يطلب منهم أن يتبـعوا المرسلين بأنه رجل ، قـال تعالى ﴿ **وجـاء من أقـصى المدينة رجـل يسعى ، قال ياقـوم اتبعوا المرسلين** ﴾ يس ٢٠ ، ففى مدرسـة الإسلام وعلى مـائدة القرآن ينـشأ الرجـال الذين ينصـرون الحق ، ويقـاومون البـاطل ، ويدافعـون عن الإسلام حتى يلقوا الله وجـوههم بيضاء ، وقلوبهم نقـية ، لأنهم صدقوا الله فصدقهم ورضى عنهم ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ المجادلة ٢٢ .

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجـــال فلاح



عناية الإسلام بالأخلاق

الحمد لله رغَّب فى الخلق الحسن ، ونفَّـر من الطبع السيء وأشهد أن لا إله إلا الله يجزى على الخلق الحسن مالا يجـزى على غيره ، وأشهد أن سيـدنا محـمدا رسول الله وصـفه ربه بالخلق العظيم والطـبع القويم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه . . وبعد فإن الإسلام مـا ترك فضيلة إلا وحث عليـها ، ولا رذيلة إلا ونفَّـر منها ، ولذا فقد اهتم الإسلام بقضية الأخلاق ، وجعلها أساس دعوته وصلب شريعته ، وجاءت النصوص تدعو إلى تثبيـت دعائـم الأخلاق ، وروى مسلم وأحمد « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» وورد أيضا « أتق الله حيثما كنت وأتبع السـيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حـسن » رواه التـرمذى ، فـرسول الإسـلام بُعثَ من أجل قـضيـة الأخلاق « إنما بعـثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك ، فالرسـول جاء إلى الإنسانية ليعلم الناسَ الاخلاقَ الفاضلة والسلوك الحميد من خلال قوله وفعله ﷺ ، ولذا وصفـه ربه فقال : ﴿ وإنك لعلى خـلق عظيم ﴾ القلم ٤ ، وقالت عنه عائشة : « كـان خلقه القرآن » ، أى كان سلوكه تطبيـقا عمليا لما جاء به القـرآن ، يقول له ربه : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفـضوا من حولك ﴾ آل عمران ١٥٩ ، ويروى أنس فى الحـديث المتـفق عليه : كـان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خلقا .

ولقد اعتـبر الإسلام أن الأخلاق هى الهدف من كل مـا شرعه الله من عبـادات ، فكأن العبـادات بمثابة تمرينات للمـسلم تعوده على التـجمل

بالأخلاق ، والتحلى بالفضيلة ، فالصلاة مثلا ليست حركات تؤدى أو تسبيحات يتمتم بها المسلم ، لكنها ضبط لسلوك المسلم وكبح لجماحه عن المنكر من القول والفاحش من الفعل ، قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ العنكبوت ٤٥ ، وروى عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له** » وفى الحديث القدسى : « **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب** » (ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٣٦٥) رواه البزار ، والصوم أيضا ليس الهدف منه تعذيبَ المسلم وحرمانَه من الطعام والشراب ، ولكن الهدف الأسمى منه هو التقوى قال تعالى : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ البقرة ١٨٣ ، والتقوى هى جماع الخلق الفاضل ، روى أبو هريرة : « **ليس الصيام من الأكل والشراب ، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابَّك أحد أو جهل عليك ، فقل إنى صائم إنى صائم** » رواه ابن خزيمة ، وروى الجماعة إلا مسلما : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » ، وروى النسائى وابن ماجه والحاكم : « **رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر** » رواه احمد ، والحج أيضا ليس رحلةً سياحيةً يشاهد فيها المسلم معالم مكة وجبال الحجاز ، لكنه تطهير للنفس من الرفث والفسوق ، قال تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ البقرة ١٩٧ ، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة حدث : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيومَ**

ولدته أمه » ، والزكاة أيضا فوق أنها تطهير للمال فهى تزكية للنفس ، قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهـرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ﴾التوبة ١٠٣ ، أى تطهـرهم بها من دنس البـخل والطمع والدناءة والقسـوة على الفـقراء والبائسين ، وتزكى أنفسـهم بالخيـرات والبركات - فإذن الهدف من كل هذه العبادات هو تربية المسلم على الخلق الفاضل ، ولهذا يقول ﷺ فى الحديث الذى رواه الترمذى عن أبي هريرة « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا » .

فقد يكون المسلم كـثيرَ صلاة وصيـام وصدقة لكنه فقيـر فى رصيده من الاخلاق ، وسيىء السمعـة فى المجتمع ، لا يسلم الناس من شروره ، أضاع مـاقدم من طاعـات بسوء خلقـه ، وقد يكون هناك مسلـم مُقِلٌ فى العبادات لكنه يشفع ذلك بسـمعة طيبة وسلوك حميد وخلق قـويم ، فيرفعه خلقه إلى منزلة عليا ، روى أبو داود من حـديث لعائشة « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقـه درجةَ الصائم القائـم » وورد « إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » رواه البيهقي ، وقد ذكرت أمام الرسول امرأتان إحداهما تصوم كثيرا وتصلى كثيرا وتتصدق بالكثيـر لكنها تؤذى جيرانها ، فقال :« هى من أهل النار » وأما المرأة الأخـرى فتذكر من قـلة صلاتها وصيـامها وتتـصدق بالأثوار من الأقط ، فقـال « هى من أهل الجنة » رواه أحمد وورد : « خيـر ما أعطى الإنسان خلق حسن » ، فـصاحب الخلق الحسن يوم القيـامة يحظى القرب من رسـول الله ﷺ كما جـاء فى الحديث الذى رواه الـترمذى عن جـابر رضى الله عنهـما أن رسول الله ﷺ قـال : « إن من أحبكم إلىَّ وأقـربكم منى مجلسا يوم القيـامة أحاسنكم أخلاقا » كما أن حـسن الخلق يثقل ميزان المؤمن يـوم القيامـة بالحـسنات روى الترمذى عـن أبى الدرداء أن النبى ﷺ

قال : « ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذىء » .

فكثير من المسلمين يكثرون من التردد على المساجد لأداء الصلوات ويصومون كما يصوم المسلمون وقد تمكنهم أحوالهم من حج بيت الله الحرام لكنهم يُغْفِلون أساساً قضية الأخلاق ولا يهتمون بها ، قد يخرج من المسجد بعد الصلاة فيغتاب الناس ، أو يظلم بعضهم ، فهل هذا المسلم فهم دينه وعرف أن الأخلاق الفاضلة صفة أصيلة لا غنى عنها لكل مسلم ؟، إن هذا الصنف من المسلمين هم الذين سماهم الرسول ﷺ المفلسين ، فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس من لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح به فى النار » .



العلاقة بين الإيمان والسلوك

الحمد لله جعل الإسلام دين عبادة وسلوك وعقيدة وأخلاق ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر عبادة بالاستقامة على دينه والالتزام بمنهجه ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله دعا الناس إلى الخير، وأرشدهم إلى الفلاح ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . .

وبعد . . فالإسلام ليس دينَ مظاهر وشكليات يهتم بجانب ويهمل آخر فهو يهتم بالعبادات والشعائر من صلاة وزكاة وصيام وحج ، كذلك يهتم بالعلاقات الإنسانية كحسن الجوار وإكرام الضيف وصدق الحديث ، وعلى المسلم الصادق أن يجمع بين أداء الشعائر الدينية المفروضة وبين تكوين علاقات طيبة وصلات وطيدة بالناس، وهذا شئ طبيعى ، فلو أدّى المسلم شعائر الله المفروضة عليه بإخلاص وتجرد لله فسيظهر ذلك عليه فى سلوكه وعلاقاته ، ولأن الإسلام منهج متكامل ، فلا يقبل من مسلم أن يؤدىَ ما عليه من عبادات ويهمل جانب العلاقات الإنسانية أو العكس ، لأن العبادات والمعاملات فى الإسلام وجهان لعملة واحدة لا ينفك أحدُهما عن الآخر ، وهذا ظاهر من نصوص الدين ، ملموس في سلوك الرسول ﷺ وواضح من روح الشريعة الإسلامية . . وهذه أمثلة فالإسلام يربط بين الإيمان والاستقامة ، يقول تعالى :﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..﴾ فصلت ٣٠ ، ولكى يظل المسلم على استقامته فإن الله يأمره أن يدعوه فى كل صلاة بالهداية إلى الصراط المستقيم ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ، ويدعونا الله إلى صراطه المستقيم فيقول :﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ الانعام ١٥٣ ، ويقول الله لرسوله ﷺ وللمؤمنين : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ﴾ هود ١١٢ ، وروى الترمذى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : مرنى بأمر فى الإسلام لا أسأل عنه أحدا فقال : ﴿ قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ قال : فماذا أتقى ؟ فأومأ إلى لسانه . .

كذلك ربط الإسلام بين الإيمان واللسان ، فاللسان يترجم عما فى القلب ، ويعبر عما فى الوجدان :-

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالقلب العامر بالإيمان لا ينطق لسانه إلا بخير ، ولا يتحرك إلا بمعروف ، يقول ﷺ : « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه » رواه احمد والطبرانى ، وروى الترمذى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » ، وروى أبو هريرة الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » وورد : « رحم الله امرءا تكلم فغنم أو سكت فسلم » (رواه الطبرانى والبيهقى) وروى عبد الله بن عمرو الحديثَ المتفقَ عليه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » ، ويقول الرسول ﷺ لأحد الصحابة من حديث طويل : « ليكن نطقك ذكرا وصمتك فكرا ، فهفوات اللسان وسقطاته هى التى ترمى بصاحبها في قعر جهنم ، ويروى الترمذى من حديث لرسول ﷺ « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » كذلك ربط الإسلام بين الإيمان والكرم ، فلا يمكن أن نقول عن إنسان عُرِف بالبخل

بأنه مؤمن ، لأن الإيمان عدو البخل[1]. والكرم صفة ملازمة للمؤمنين ، والله كريم يحب كل كريم ، روى أبو هريرة الحديثَ المتفقَ عليه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل » ، كذلك ربط الإسلام بين الإيمان والأمانة ، روى أنس أن الرسول ﷺ قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » رواه أحمد ويقول : « المؤمن من أمنه الناس » ، فهل بعد ذلك نضفى على الخائن شرف الإيمان ؟ روى أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » ، وهل يمكن أن يجتمع فى قلب إيمان وحسد ؟ بالطبع : لا ، يقول ﷺ : « لا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد » رواه ابن حبان والبيهقى ، كذلك ربط الإسلام بين الإيمان وحب الخير للآخرين ، فمن صميم الإيمان أن المسلم يهتم بشئون غيره كما يهتم بشئون نفسه ، فقد ورد : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الطبراني ، كما أنه من علامة الإيمان أيضا أن يحب المسلم الخير للآخرين كما يحبه لنفسه ، روى أنس الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . . » كذلك ربط الاسلام بين الإيمان وحسن الجوار ، فالمسلم الحقيقى لا يصدر عنه سلوك يؤذى جاره ، والجار يعنى الجار فى السفر أو فى العمل أو فى السكن ، روى أبو هريرة الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » وعنه أيضا أن رسول الله

(1) يقول ﷺ (لا يجتمع إيمان وبخل فى قلب واحد) .

ﷺ قال : « والله لا يؤمن - ثلاثا - » قيـل : مـن يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائـقه » أى أذاه - متـفق عليه - وقد يكثـر المسلم من الصلوات ، ويتردد على بيـت الله الحرام لأداء الحج مرات ويصوم رمـضان وأياما كـثيرة فى غـير رمضـان ، ويتصدق بالكثـير لكنه فاشل فى عـلاقاته بالآخرين ، لا يرون منه خيرا ، ولا يصدر عـنه إلا ما يسوءهم ، فهل يعد هذا من المسلمين ؟ وهل أثمرت فيه هذه العبادات ؟ روى أبو هريرة أنه ذُكِر عند رسول الله ﷺ امرأتان ، إحداهما تصوم كثـيرا وتصلى كثيرا وتتصدق بالكثير ، لكنهـا تؤذى جيرانها ، فقـال الرسول ﷺ هى من أهل النار ، وذكرت أمـرأة أخرى لا تكثر من الصـلاة أو الصيام وتتـصدق بالأثوار من الأقط - اللبن منزوع الدسم - لكنهـا لا تؤذى جيـرانها ، فـقال : هى من أهل الجنة » رواه أحمـد . . فالمرأة الأولى لم تنفعـها صلاتها الكثـيرة ولم تفدها صـدقاتها المتكررة لأنهـا أفسدتهـا بسلوكها ، ولماذا نذهب بعـيدا ؟ فالرسول ﷺ اعتبر بعض الأعمال السلوكية أعظم أجرا من العبادات - طبعا المسنونة - روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أخـبركم بأفضل من درجة الصيام والصـلاة والصـدقة » ؟ قالوا : بلى يا رسـول الله ، قـال : « إصـلاح ذات البين ، فإن فـساد ذات البين هى الحـالقة ، لا أقـول تحلق الشعـر ولكنها تحلق الدين » ، وفى سورة الماعـون يربط الله تعالى بين من ينكر البعث وهو أمر يتعلق بالعقـيدة وبين الذى يدفع اليتيم بعنف ويؤذيه ، ولا يحض على إطعام المسكـين ورعايته ، وهذا أمر يتـعلق بالسلوك ، فلو صدَّق الإنسان بيوم الدين لما حدث منه ذلك ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ، فـذلك الذى يدع اليـتيم ولا يحض على طعـام المسكين ﴾ ، وفى السـورة نفسها يربط الله بين الصـلاة وبين موقف الإنسـان من تقديم العـون للآخرين

﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون ﴾ . . فهناك كثير من المسلمين لم يفهموا حقيقة الإسلام ، فهم يرون أنه طقوس وشعائر فيصلون ويزكون ويحجون ، لكنهم في معترك الحياة ومن خلال تعاملهم مع الآخرين لا ترى منهم إلا ما يسيء ، فهم يؤذون الجار ويغشون فى البيع والشراء ويذكرون الناس بالسوء ويرتشون ولا يتقنون ما أسند إليهم من عمل . .الخ ، ثم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون نعم : إنهم مسلمون لكنهم مقلسون .

فالإسلام لا يرضى عن المسلم أن يراه متردداً على بيوت الله ، متمتماً ببعض الأذكار بل لا بد مع ذلك من سلوك مهذب فى كل مناحى الحياة . جاء رجل أمام عمر يدلى بشهادة ، فقال له عمر : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل أثنى عليه خيراً ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال :لا ، قال : كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا ، قال : عاملته بالدرهم والدينار الذى يستبين به ورع الرجل ؟ قال : لا ، قال : أظنك رأيته فى المسجد قائماً يهمهم بالقرآن ، يخفض رأسه تارة ويرفعه أخرى ، قال : نعم ، فقال له عمر : اذهب فلست تعرفه . . وقال للرجل اذهب فأتنى بمن يعرفك . رواه البغوى .

هذا هو إسلامنا المصفى وتلك هى شريعتنا الغراء. . فهل آن الأوان لنفهم ديننا فهماً صحيحاً يجعلنا نطبقه على أنفسنا فى حياتنا اليومية فى المسجد وفى الشارع وفى المصنع والمتجر . . وفى كل مكان ؟ ورد فى الأثر « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مرؤته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته » .

حقوق الجيران

الحمد لله جعل الإسلام دين المحبة والمودة ، وأشهد أن لا إله إلا الله أوصى بالجيران خيرا ، وأمر بالإحسان إليهم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ما زال جبريل يوصيه بالجار حتى ظن أنه سيورثه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدو على آله وصحبه .. وبعد ..

هناك أمور من الإسلام قصَّرنا فيها ونسيناها ، رغم عناية الإسلام بها وتركيزه عليها ورغم ما لها من أثر فى حياة الناس ، وعلاقتهم بعضهم ببعض ... ومن هذه الأمور .. حقوق الجيران ..

فمن هو جارك ؟ جارك الذي يجاورك فى السكن أو فى العمل أو فى الحقل أو في السفر ، حتى زوجتك محسوبة ضمن جيرانك ، وقد وسَّع الإسلام دائرة الجيران فجعلهم أربعين من كل جهة كما جاء فى الحديث الذي رواه الطبراني عن عائشة ، وعليه فالمجتمع الإسلامى تربط بين جميع أفراده صلة الجوار ، والجيران تتفاوت درجاتهم كما جاء فى الحديث الذي رواه البزار عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران ، فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق الرحم » ، كان ابن عمر اذا ذبح شاة أهدى منها إلى جاره اليهودى ،

وكان يردد الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، « كان لرسول الله ﷺ جار يهودى يضع الأذى أمام بيت رسول الله ﷺ فانقطع ثلاثة أيام فذهب رسول الله ﷺ يسأل عنه لعله مريض ، فلما كلَّم الرسولُ اليهوديَّ قال له : أدينك يأمرك بهذا يا محمد ؟ قال وأكثر من هذا ، فقال اليهودى أشهد إن لا إله إلا الله وأنك رسول الله » ، وقد قرن القرآن مانع الماعون مع منكرى البعث فقال ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ وقد اهتم القرآن الكريم بحقوق الجيران وحث عليها الحديث الشريف قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ﴾ الآيةالنساء ٣٦، وروى أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ».. وقد اعتبر الإسلام رعاية حقوق الجيران دلالة على الإيمان ، روى عن أبى هريرة الحديث المتفق عليه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » وفى رواية « فليحسن إلى جاره » وروى أحمد والبزار حديث « لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع » وروى الشيخان وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال :« والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. قيل من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه ـ أذاه ـ » وهذا النوع المؤذى من الجيران سماه الرسول جار السوء واستعاذ بالله منه، وهو الذى إن رأى خيرا من جاره دفنه وإن رأى شرا أذاعه كماجاء فى صحيح ابن حيان عن أبى هريرة ، وإيذاء الجيران يحبط العمل ويدخل فاعله النار ، روى أحمد عن أبي هريرة قال .. قال رجل يارسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها

غير انها تؤذى جيرانها بلسانها » ، قال :هى فى النار، قال يا رسول الله، فإن فلانة تُذْكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها ، قال : هى فى الجنة » ، وقد اتبع رسول الله ﷺ أسلوبا تربويا مع هذا الصنف المؤذى من الجيران ، روى أبو داود عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره ، فقال له : اذهب فاصبر ، فأتاه مرتين أو ثلاثة ، فقال : اذهب فاطرح متاعك فى الطريق ففعل ، فجعل الناس يمرون ويسألون ، فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فعل الله به وفعل . فجاء اليه جاره فقال : ارجع فإنك لن ترى منى شيئا تكرهه » . وإذا كانت الاساءة إلى الناس حراما فهى إلى الجار اشد حرمة حيث روى أحمد والطبرانى عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال : « ما تقولون فى الزنا ؟ ، قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال ﷺ « لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزنى بحليلة جاره » قال : ما تقولون فى السرقة ؟ قالوا حرام حرمها الله ورسوله فهى حرام إلى يوم القيامة ، فقال : لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت أيسر عليه من أن يسرق جاره » . وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت يا رسول الله ،أى الذنب أعظم : قال :أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قلت ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ؟ ، قال : أن تزانى حليلة جارك » . هذه منزلة الجار في الإسلام وتلك حقوقه . . لكن كثيرا من المسلمين لا يرعون هذه الحقوق ، ويتعمدون إساءة الجار ومضايقته فى البيت أو في العمل .

فهل أنت أيها المسلم تقوم بحقوق جيرانك ؟ تسأل عن غائبهم وتعود مريضهم وتقف معهم فى افراحهم وأحزانهم ؟ فجارك أقرب الناس

إليك ، إذا استغثت أغاثك ، وإذا استعنت اعانك وسيكون اول خصم لك يوم القيامه ، روى أحمد حديث « أول خصمين يوم القيامة جاران » .
فمن الضروره أن تحسن علاقتك به إرضاء لله وراحة لنفسك وتحقيقا لحياة آمنة قائمة على المحبة وحسن الجوار . . روى الترمذ والبيهقى والبزار أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم بهن فقال أبو هريرة أنا يارسول الله فأخذ بيدى فعد خمسا فقال « اتق المحارم تكن أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .



الإسلام والذوق العام

الحمد لله الذى هدانا للإيمان ، ومنّ علينا بالإسلام : وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الإسلام دين الإنسانية المهذبة والآدمية الراقية ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، ربىّ أمته على الأدب الرفيع ، والسلوك المهذب ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . قلت فى الخطبة السابقة : إن الإسلام يربط بين الإيمان والسلوك ، فالكرم وحسن الجوار ، والكلمة الطيبة ، وحب الخير للآخرين ، وغير ذلك من أنواع السلوك المهذب له علاقة قوية بالإيمان ، ذلك لأن الإسلام يضبط سلوك المسلم حيثما حل وأينما سار ، فى البيت مع أهله ، وفى الشارع مع الناس والجيران ، وفى المصنع أو المزرعة مع رفاقه فى العمل ، فالمسلم فى أى مجتمع له سلوكه المتميز الذي طبعه عليه الاسلام ، فلا ترى منه تصرفا غير لائق، أو سلوكا يتنافى مع الذوق ، أو يجافى قواعد الأدب ،لأنه تربى في مدرسة الإسلام ، وعلى مائدة القرآن ، وعلى يد معلم البشرية رسول الله ﷺ . . وأول أدب يلتزمه المسلم أدبه مع الله في صلاته ، فمطلوب منه أن يذهب إلى الصلاة في خشوع ووقار كما جاء في الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعَون ، وأتوها وأنتم تمشون ، عليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » فإذا وقف المسلم بين يدى الله للصلاة استحضر عظمته تعالى وتلك منزلة الإحسان التى أشار إليها رسولنا ﷺ من حديث رواه الترمذي ومسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وتلك صفة المؤمنين قال تعالى

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ المؤمنون ٢١١ ، كذلك إذا توجه المسلم إلى ربه بالدعاء خشع قلبه قال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ الأعراف ٥٥ ، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعرى قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول الله ﷺ : « أيها الناس أربعوا على أنفسكم . فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إن الذي تدعون سميع قريب » . . الحديث ، وأيضا إذا قُرِىء القرآن استمع له المسلم في خشية وتدبر ، قال تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ الأعراف ٢٠٤ ، كذلك علم الإسلام المسلم الأدبَ مع رسول الله ﷺ فقد نهى الله المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ وتوعدهم بحبوط أعمالهم ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ الحجرات ٢/٣ ، وقد استنبط العلماء من ذلك وجوبَ خفض الصوت عند قبره ﷺ إجلالا له حيا وميتا ، قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ النور ٦٣ .

كذلك يعوِّد الإسلامُ المسلمَ على الأدب منذ نشأته فى مطعمه ومشربه وتعامله فى محيط أسرته أو مع الآخرين ، فالطفل إذا بلغ الحلم عليه أن يستأذن على أبويه ، قال تعالى : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ النور ٥٩ ، كما علم جميع المسلمين آداب الزيارة ودخولَ بيوت الآخرين ، فعليهم أن يستأنسوا ويسلموا على أهلها قبل الدخول ، وحفاظا على أسرار البيوت فإن من اطلع فى بيت دون إذن فرماه أهله بشيء أصابه بعاهة فلا دية له ، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح » ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين

آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾ النور ٢٧/ ٢٩ ، ويُروى في سبب نزول هذه الآية أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد ، وأنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فنزلت ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا ...﴾ ، كذلك ربى الإسلام الابن على أن يحترم أبويه ويعطف عليهما ويدعو لهما بالرحمة ويصل قراباتهما ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ الإسراء ٢٣/ ٢٤ ، كذلك ربى الإسلام المسلم على أن يحترم الكبير ويعطف على الصغير ، روى الترمذي وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا » وروى أبو داود عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » ، كذلك من الأدب الإسلامي أن يسلّم المسلم على من عرف ومن لم يعرف ، ويرد التحية بأحسنَ منها أو مثلها قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ النساء ٨٦ ، كذلك على المسلم أن يشمّت العاطسَ ويعودَ المرضى ، روى البخاري عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « عودوا المريض ، وفكوا العاني ـ الأسير ـ وأطعموا الطعام » ، وعلى المسلم أيضا أن يلقي الناس بوجه طلق ، فلا

يعبس فى وجوه الناس ولا يتكبر عليهم ، وروى مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » ، لما فى ذلك من الإيناس ودفع الإيحاش وجبر الخاطر ، وعلى المسلم أيضا أن يكون لين الجانب سهلا فى معاملاته فى المبايعة وقضاء الديون ، روى البخارى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى وإذا اقتضى » أى طلب ماله من دَيْن ، وعليه أيضا أن يجامل الناس فى أفراحهم ويشاركهم فى أحزانهم ، ويتعاطف معهم فيما يعرض لهم من مشكلات فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الطبرانى . . ولقد بلغ الإسلام قمة الذوق فى مراعاة شعور الآخرين حين يأمر رسولُ الإسلام ﷺ المجموعة المكونة من ثلاثة أفراد ألا يتناجى اثنان مع إهمال الثالث ، حيث يؤثر ذلك فى نفسيته ، وقد يظن بهما الظنون فإن زادوا عن ثلاثة فلا حرج ، روى ابن مسعود الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل ان ذلك يحزنه » ، والنهى على سبيل التحريم ، لما فى ذلك من الإيذاء ، قال تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ الاحزاب ٥٨ ، ومن الأدب الإسلامى ألا يتقدم مسلم لخطبة فتاة تقدم إليها غيره ، كما لا يتقدم لشراء شىء سبقه إليه غيره ، إلا أن يأذن له ، روى ابن عمر الحديث المتفق عليه : « لا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له » ، وذلك منعا لوقوع المشاحنات ، وخلق روح العداوة بين المسلمين ، كما أن على المجتمع الإسلامى ألاَّ يُشعر صاحبَ العاهة بعجزه ، فقد ورد « الضعيف

امير الركب » ، كما أن الإسلام يعتبر تكليف الضيف بعمل خروجا عن آداب الضيافة حيث ورد « سخافة بالمرء أن يستخدم ضيفه » ، وليس من الأدب الإسلامى أن يفرح المسلم لضر نزل بأخيه ، روى الترمذى حديث : « لا تظهر الشماته لأخيك فيرحمَه الله ويبتليك » . كذلك ليس من الأدب الإسلامى أن يكون المسلم مصدر إزعاج للآخرين ، فيُعلى صوته أو صوت المذياع أو التلفاز أو بوق سيارته فيزعج الآمنين ، قال تعالى : ﴿ **واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ لقمان ١٩ ، أو يكون سببا فى مضايقة إخوانه المسلمين فى أماكن تجمعهم كأن يذهب إلى المسجد ورائحة البصل أو الثوم تفوح من فمه أو عليه ملابس قذرة تؤذى جيرانه من المصلين ، روى جابر الحديث المتفق عليه : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلْ مسجدَنا » ويقول تعالى : ﴿ **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ الأعراف ٣١ ، روى النسائى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال ؟ » قال : نعم قال : « من أى المال ؟ » قال : من كل المال قد أعطانى الله تعالى ، قال : « فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » ، وروى أبو داود أنه ﷺ قال : « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته » ، كذلك المسلم مطالب بأن يعامل غير المسلمين معاملة طيبة ، إن كانوا أهلا لذلك ، قال تعالى : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن** ﴾ العنكبوت ٤٦ ، وقال : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم** ﴾ الممتحنة ٩/٨ ، وهناك الكثير من الأمثلة ، إنما ذكرت نماذج فقط ليعرف المسلم أن دينه خير الأديان ، قال ﷺ : « ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه » .

الإسلام دين النظافة

الحمد لله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله طهر نفسه قلبا وقالبا ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد .

فالإسلام دين يهتم بالنظافة ويحرص على الطهارة ، ويعتبرها جزءا من الإيمان يقول ﷺ : « الطهور شَطر الإيمان » رواه مسلم ، وقد دعا الإسلام إلى الطهارة بشقيها المعنوى والحسى ، فالطهارة المعنوية هى طهارة العقيدة من الشرك والنفاق والأهواء ، وطهارة القلب من الحقد والحسد والغل ، وطهارة السلوك من الخصام والغش والخداع ، وطهارة المطعم والملبس من الكسب الحرام ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ البقرة ٢٢٢ ، أما الطهارة الحسية فتتمثل فى طهالرة الجسد والثوب والمكان والطعام والشراب والمرافق العامة ، وقد اهتم الإسلام بكل ذلك حتى إنه جعل طهارة المكان والثوب والجسد واجبةً لصحة الصلوات ، فاشترط الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر ، والحدث الأصغر هو الذى يزول بالوضوء ، روى الشيخان وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » ، والحدث الأكبر هو الذى يزول بالغسل ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم إلى الكعبين** ﴾ المائدة ٦ ، فالمسلم إذا اراد الصلاة توضأ ،

فيغسل أطرافه ، وينظف أعضاءه خمس مرات فى اليوم ، فيحافظ على نظافة جسمه ، ويقيه مما يتعرض له فى حركاته اليومية من أتربة أو ذباب أو جراثيم ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه - قذره - شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » ، فالمسلم يغتسل من الجنابة .. قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم جنبا فاطهروا** ﴾ ، وكذلك يجب الغسل على الحائض والنفساء بعد ارتفاع الدم وانقطاع الحيض ، قال تعالى : ﴿ **يسألونك عن المحيض قل هو أذى فأعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن** ﴾ البقرة ٢٢٢ ، وكذلك أكد الإسلام على الغسل يوم الجمعة لأنه عيد المسلمين الأسبوعى وفيه يجتمعون ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ، وروى أبو داود والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » ، بل لقد قال جماعة من العلماء بوجوب الغسل للجمعة مستدلين بحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » رواه البخارى ومسلم ، ويسن الغسل أيضا للطواف وعند دخول مكة ، كذلك استحب العلماء الغسل للعبدين وقد أمر الله بأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد قال تعالى : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ الأعراف ٣١/٣٢ ، كما نهى الرسول ﷺ كلاً من أكل ثوما أو بصلا أو أى طعام

له رائحة كريهة تؤذى الناس أن يقرب المسجد ، روى عن جابر الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مسجدنا » ، كذلك اهتم الإسلام بنظافة الأسنان قبل أن يُخْتَرَعَ المعجون والفرشاة ، فقد حث الإسلام على استعمال السواك فهو ينظف الأسنان ويقوى اللثة ويطيب رائحة الفم ، روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم ، وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » رواه أحمد والنسائى والترمذى ، وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليس أشد على الملَكيَن من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى » ، وروى البزار حديث « من بات وفى يده ريح غمر - اي زهومة اللحم - فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » ، كذلك دعا الإسلام إلى نظافة الثياب وحسن الهندام ، فقد رأى رسول الله ﷺ رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : « أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه » ؟ وروى أبو الاحوص أن الرسول رأى عليه أطمارا ، فسأله الرسول ﷺ ألك مال ؟ . قال : نعم ، قال من أى المال ؟ قال : من كلٍّ قد آتنى الله من الشاء والإبل قال : « إذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمته وكرامته عليك » رواه البخارى ، ويقول الله تعالى لرسوله : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ المدثر ٤ ، وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » ، كما دعا الإسلام إلى العناية بالشعر ، روى أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله

ﷺ قال : « من كـان له شعـر فليكرمه » وروى مالك عن عـطاء بن يسار قال : اتى رجل النبى ﷺ ثائر الرأس واللحـية فأشار إلـيه رسول الله ﷺ كأنه يأمره بإصــلاح شعره ولحيته ، ففـعـل ثم رجع ، فقال ﷺ : « أليس هذا خـيرا من أن يأتى أحـدكم ثائر الرأس كـأنه شيطان » روى مـالك فى الموطأ عن أبى قـتادة قـال : « قلت يا رســول الله : إن لى جُمَّةً ـ شعـر طويل ـ أفَأُرَجِّلُها ؟ قـال : « نعم وأكرمها » ، واكرام الشـعر يكون بغسله ودهنه وترجيله ، ولم يهتم الإســلام بدعوة المسلم إلى طهارة بدنه وثوبه بل أمر أيضا بنظافة البيوت والطرقات والأفنية والمرافق العامة والمياه ، روى عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجواد فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » رواه الترمذي ، واعتبر إمـاطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان ، روى عن أبى ذر الحـديث المتـفق عليـه أن رسول الله ﷺ قـال : « الإيمان بضع وسبعون أو بـضع وستون شعبة فأفـضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحـياء شعـبة من الإيمان » . كمـا نهى رسول الله ﷺ عن التبرز فى طريق الناس وظلهم ، روى أحـمد ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « اتقـوا اللاعنين » قالوا : وما اللاعنان يا رســول الله ؟ قال : « الذى يتـخلى فى طريق الناس وظلهم » ، وروى عن جابر أن رسول الله نهى عن التبول فى الماء الراكد ، رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن مـاجه ، وعنه أيضا أن النبي ﷺ نهى أيضـا أن يبال فى الماء الجـارى ، رواه الطبرانـى ، وروى البيهقـى حـديـث « مـن سـل سخيمتـه « البراز » على طريق من طرق المسلمين ، فـعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وهكذا نجد أن النظافة شعار الإسلام ، اهتم بها ظاهرا وباطنا ،

لأن الإسلام دين الفطرة السليمة والإنسانية الراقية ، فهو يعود أتباعه على طهارة أجسامهم وملابسهم ونظافة بيوتهم وطرقاتهم حتى يبدو المجتمع الأسلامى فى أجمل صورة وأبهى منظر ، حسن المظهر والمخبر ، قال ﷺ « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » رواه ابن حبان .



حـق الطـريق

الحمـد لله توعد الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بـالعذاب المهين ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الأمة الإسلاميـة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وأشـهد أن سيدنا محـمدا رسول الله القائل : « لا ضرر ولا ضرار » ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد .

من عـادة الناس أن يجلسوا فى الطريق فى مـقهى أو أمـام بيت أو على شاطىء ترعة للتحدث أو لقضـاء بعض مصالحهم أو لغير ذلك ، فهل الجلوس هذا حرام أم حلال ؟ أجاب عن ذلك رسول الله ﷺ حين قال فى الحديث المتـفق عليه المروى عن أبي سعيـد الخدرى : « إياكم والجلوسَ فى الطرقات » فقالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها ، فقال ﷺ : « فإن أبيـتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حـقه » . قـالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهـى عن المنكر » ، وروى مسلم عن أبي طلحـة : قال : كنا قعودا بالأفنيـة ، أى فى متسع أمام بيت ـ نتحدث فيـها ، فجاء رسول الله ﷺ فقـام علينا فقال : « مـا لكم ولمجالس الصعـدات » ؟ أى الطرقات، فقلنا قـعدنا لغير مـا بأس ، قعدنا نتذاكـر ونتحدث ، قال « أمَّـا لا فأدوا حقها : غض البصـر ، ورد السلام ، وحسن الكلام » إذن : فالجلوس فى الطريق ليس حراما لذاته ، ولكنه حرام لما يقع فيه من مخالفات أشار إليها الرسـول ﷺ ، فإذا جلس النـاس ولم يترتب على جـلوسهم هذا ضـرر كتعطيل عمل أو لهو عن صلاة أو وقوع مخـالفة شرعية فهذا جائز ولا إثم

فيه ، أما إذا حدث ضرر فهذا محظور وممنوع : مثل اولئك الذين يجلسون فى الطريق ينظرون إلى الغاديات والرائحات ، مع أن الله أمر بغض البصر قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ النور ٣٠ ، وقال الرسول ﷺ لعليٌّ : « **لاتتبع النظرةَ النظرةَ فإنما الأولى لك ، وليست الآخرة لك** » وروى مسلم عن جرير انه سأل رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فقال ﷺ : « **اصرف بصرك** » ، **وليعلم كل مسلم أن الله سيسأله عن كل ما اقترفت جوارحه قال تعالى** : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ الإسراء ٣٦ ، كذلك هؤلاء الذين لا يكفون أذاهم عن الناس ، فيذكرون سوآتهم ، ويفتشون عن عوراتهم ، ولهم يقول الرسول ﷺ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عورات المسلمين يوشك الله أن يفضحه ولو فى عقر داره » ، فهم يجلسون ليغتابوا الناس ، وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** ﴾ الحجرات ١٢ ، وكل ما يقولونه مسجل عليهم قال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ ق ١٨ ، روي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » قيل : **أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » ، وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « أى الربا أربى عند الله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم، قال :« أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم » ثم قرأ ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا**

بهتانا وإثمـا مبينا ﴾ الاحـزاب ٥٨ ، وأيضا حـرم الله النميمـة وهى نقل الكلام بقصد الإفساد بين الأحبة وحرم الله الجنة على النمام ، روى حذيفة الحديثَ المتفقَ عليه أن رسـول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة نمام » ، وقد طلب الرسول ﷺ من كل مـسلم أن يمسك لسانه عن الشر ، روى التـرمذى عن عقـبة قال : قلـت يارسول الله : ما النجـاة ؟ قال « أمسك علـيك لسانك وليسعك بيتُك وابك على خطيئـتك » ، وطلب الرسول أيضا من كل مسلم الا يخلو حديثـه من ذكر الله ، روى الترمذى عن ابن عـمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فـإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » ، ومن آداب الطريق أيضا رد السلام فإلقاء السلام سنة ورده فرض ، قال تعالى : **﴿ وإذا حييتم بتحيـة فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾** النساء ٨٦ ، وقد وضع الإسلام للسلام آدابا أشار إلى بعضهـا الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى عن أبى هريرة : « يسلم الراكب على الماشى والماشى على القـاعد والقليل على الكثيـر والصغيـر على الكبير » ، ومن آداب الـطريق أيضا ألا يسكت المسلم إذا رأى ما يخالف الشرع فيـغيره فى حدود قدرته ، روى مسلم عن أبي سعيـد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « مـن رأى منكم منكرا فليغيره بيـده ، فإن لم يستطع فبلسانـه ، فإن لم يستطع فبقلبـه وذلك أضعف الإيمان » ، فإن فى إهمـال قاعدة الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر خطرا عظيـما على المسلمين ، روى التـرمذى عن حـذيفة أن رسـول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بـيده لتأمـرن بالمعروف ولتنهـون عن المنكر أو ليوشكـن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ، والطريق من المنافع العامة فيجب على كل مسلم ألا يكون سببا فى إيذاء المارة ومضـايقتهم وتعريضهم للضرر

انطلاقـا من قـول رسول الله ﷺ « لا ضـرر ولا ضـرار » رواه ابن ماجـه والدارقطني ومالك ، ومن أمثلة ذلك إراقة الماء أمام البيوت ، أو حفر بئر فى الطريق ، أو إلقاء القـاذورات أو الزجاج المكسـور أو الشوك أو الأحجار أو غـير ذلك مما يؤذى النـاس فى طريقـهم ، أو إطـلاق كلب عقـور يهدد المارة أو قيـام الأطفال الصغار بالتـبرز أمام البيوت كمـا يحدث فى بعض الأحياء الشعبـية والقرى الريفية ، وقد نهى الإسلام عن التبرز فى طريق المسلمين وفى ظلهم ، روى مسلم عن أبى هريـرة أن رسول الله ﷺ قال : « اتقـوا اللاعنين » قالوا : ومـا اللاعنان ؟ قـال : « الذى يتـخلَّى فى طريق الناس وظلهم » ، كـمـا نهى الإسلام عن التـبول فى الماء ، روى مسلم عن جـابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد » ، ويشبـه ذلك ما يقوم به بعض الناس فى القرى من إلقاء القاذورات كحيوان ميت أو مـخلفات الذبائح ونفايات المصانع وغيرها فى الترعة فيلوثون ماءها العذب الطاهر ، وهناك بعض الشباب يلعبون كرة القدم فى الشارع ويعرضون أنفسهم والمارة للخطر .

وقد اعتبر الإسـلام إماطة الأذى عن الطريق صدقة ، رُوى عن أبى هريرة الحديث المتـفق عليه وفـيه : « وتميط الأذى عن الطريق صـدقـة » ، ورفع الإسلام من قدر هذا العمل فاعتبره شعبة من الإيمان ، روى عن أبى هريرة أيضا الحديـث المتفق عليه : « الإيمان بضع وسبـعون أو بضع وستون شـعبة فأفضلهـا قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شـعبة من الإيمان » ، وإماطة الأذى عن الطريق سبب فـى دخول الجنة ، روى مسلم عن أبى هريرة حديث « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » وفى رواية للبخـارى ومسلم « بينمـا رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له » .

العفو و الصفح

الحمد لله جعل العفو من صفات المحسنين ، والصفح من علامات المتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله قال : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال له ربه : ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد .. فالعفو من شيم الكرام ، وإن دل على شىء فإنما يدل على علو فى النفس وورع فى الدين ، وحب للمسامحة والصفح ، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن عرف ثواب العافين عن الناس ، فإن الله سبحانه وتعالى ادخر أجر العافين لهم عنده ، قال تعالى : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين** ﴾ الشورى ٤٠ ، وقد اعتبر القرآن العفو علامةً على قوة العزيمة ، قال تعالى : ﴿ **ولَمَنْ صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ الشورى ٤٣ ، وقال تعالى : ﴿ **وأنْ تعفوا أقرب للتقوى** ﴾ البقرة ٢٣٧ ، وقد أخبر الصادق أن العفو يرفع الدرجات ، روى الحاكم أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **من سره أن يشرف له البنيان ، وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ويصل من قطعه** ﴾ ، وروى ابن عباس أن الرسول ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس ؟ هلموا إلى ربكم ، وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرىء مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة » ، وروى ابن جرير أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ **خذ العفو وأمر بالمعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾ الاعراف ١٩٩ ، قال الرسول ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ، ويقول الله لرسوله :﴿ **فبما رحمة**

من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ آل عمران ١٥٩، ولذا فقد كـان العفو من خلق رسول الله ﷺ فحين فتح مكـة ، وكان أهلها قـد آذوه ـ قال لهم : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم » ؟ قالوا : خيرا ،أخ كريم وابن أخ كريـم ، قـال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »، وفى غزوة أحد استشهد عمه الحمزة ومثل به الكفار ، ولمـا رآه الـرسول حزن وأقسم لئن أظفره الله بهم ليمـثلن بسبـعين منهم ، فنزل عليه جـبريل بقـوله تعالى : ﴿ وإن عاقـبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبـتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ النحل ١٢٦، فقال الرسول:« نصبر ولا نعاقب » ، روى جـابر الحديث المتفق عليه أن الرسول فى غزوة نزل تحت شجرة عـند القائلة يستظل بها وقد علق سيـفه ، فجاء رجل فأخذ سيف الرسول وقال له من ينقذك منى ؟ فقال الرسول : الله ، فوقـع السيف من يده فـأخذه رسـول الله وقال : من ينقـذك منى ؟ وعفـا عنه،وعفا عن المرأة اليهودية التى قدمت شاةً مـسمومةً إليه ﷺ يوم خيبر ، ولما نهش من الذراع لم يلكه ولفـظه وقـال :« إن هذا الذراع يخبـرنى أنه مسموم ». .الخ ، وتلـك صفة الأنبياء فقد عـفا نبى الله يوسف عن إخوته وقد فـعلوا به ما فـعلوا ـ يحكى القـرآن الحوار الذى دار بير أخـوة يوسف ويوسف ﴿ قـالوا تا لله لقد آثرك الله عـلينا وإن كنا لخاطـين ، قال لا تثـريب عليكم اليوم يغفـر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ يوسف ٩١/ ٩٢ ، ويروى أبو هريرة أن رجـلا شتم أبا بـكر رضى الله عنه والنبي ﷺ جـالس ، فجـعل النبي يعجب ويبتـسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله فـغضب النبى وقام ، فلحقه أبو بكر ، فقال يارسول الله : إنه كان يشتمنى وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قـوله غضبت وقـمت ، قال : « إنه كـان معك ملك يرد

عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان » ثم قال : « يا أبا بكر : ثلاث كلهن حق ، ما من عبد ظُلم بمظلمة فيُغضى عنها إلا أعزه الله تعالى ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة » وكان لجعفر الصادق غلام يصب عليه الماء من إبريق ، فوقع فى الطست فأصاب جعفرا رشاشُ ، فنظر إلى الغلام مغضبا ، فقال له الغلام ، والكاظمين الغيظ ، قال قد كظمت غيظى ، قال والعافين عن الناس ، قال قد عفوت عنك ، قال : والله يحب المحسنين . قال : اذهب فأنت حر لوجه الله ، وروى عنه أنه قال : إذا قال لك إنسان : إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل له : إن قلت عشرا فلم تسمع منى واحدة ، ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقا فأسأل الله لى المغفرة ، وإن كنتَ كاذبا فاسأله لكِ المغفرة ، ومما ورد عن الإمام على أنه قال : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه » ، وورد عن لقمان أنه قال : « لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه » ، ومع أن الإسلام قد حبب في العفو إلا أنه جعل من حق المعتَدَى عليه أن يقتص لنفسه كما وردت بذلك الآيات ، قال تعالى :﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم منتصرون ﴾ الشورى ٣٩ ، وقال : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأوْلئك ما عليهم من سبيل ﴾ الشورى ٤١ ، وقال: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم ﴾ البقرة ١٩٤ ، لأن العفو مع اللئيم يجعله يتمادى فى عدوانه فلابد من ردعه منعا له ولأمثاله من التطاول على المسالمين ، لقد حدث أن أمر رسول الله ﷺ بقتل شاعر جاهلى كافر أسمه أبو عزة وكان قد هجا رسولَ الله ﷺ ،

فوقع فى أيدى المسلمين فى غزوة بدر فطلب العفو من الرسول فعفا عنه ، لكنه عاد وهجا الرسول والمسلمين ، فلما وقع فى قبضة المسلمين مرة أخرى لم يعف عنه رسول الله وأمر بقتله وقال : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .



الحياء خير كله

الحمد لله جعل الحياء والإيمان قرناء ،وأشهد أن لا إله إلا الله مُطَّلع علينا عالم بنا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كان أشد حياء من العذراء فى خدرها ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . .

الله مطلع علينا يعرف سرنا ونجوانا وظاهرنا وخفايانا قال تعالى : **﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم ﴾** المجادلة ٧ ، وقال : **﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾** ق ١٦ ، فما دام الله مطلعا علينا فيجب على كل مسلم أن يخشى الله ويراقبَه فى كل زمان ومكان ، فقد قيل : استح من الله بقدر قربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك ، فيستحضر عظمة ربه ويحسن علاقته به ، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ولذا انتفى الإيمان عن المذنب وقت إرتكابه الذنب ، قال ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » متفق عليه ، وإذا راقب العبد ربه فى كل اعماله فقد تجمل بالحياء الذى يحث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، ومن وصايا الصالحين : اجتهد ألا يراك ربك حيث نهاك وألا يفقدك حيث أمرك ، ولذا اهتم الإسلام بتربية المسلم على خلق الحياء ، واعتبره خلق

هذا الدين ، ورد فى الحـديث : « إن لكل دين خلقـا ، وخلق هذا الدين الحياء » رواه مـالك ، وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « الحيـاء خير كله » ، ولقـد شبه الـرسول ﷺ الحيـاء بالرجل الصـالح وشبه الـفحش بالرجل السوء حين قال : « لو كان الحيـاء رجلا لكان رجلا صالحا ، ولو كان الفحش رجلا لكان رجلا سـوءا » رواه الطبرانى ، والحياء زينة المؤمن كما ورد : « ما كان الفحش فى شىء إلا شانه ولا كان الحياء فى شىء إلا زانه » رواه الترمذى ، والله يحب عبده الحيى ، ويبغض المتبجح قال ﷺ : « إن الله يحب الحليم الحـيى ويبغض الفـاحش البذىء » ، فـالحيـاء طريق المؤمن إلى الجنة ، روى الإمـام أحمـد قوله ﷺ : « الحيـاء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفـاء فى النار » ، والحياء شعبة من الإيمان ، روى أبـو هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : « الإيمـان بضع وسبعـون أو بضع وستون شعـبة فأفضلها قـول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحيـاء شعبة من الإيمـان » مـتفق عليه ، فالحيـاء صفة أصيلة فى المسلـم لا غنى عنها ، والحياء من الله مطلوب ومرغوب قال ﷺ « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا :إنا نستحى يارسول الله والحمد لله ، قال : « ليس الحيـاء ذلك ، الاستحياء من الله حق الحـياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن ومـا حوى ، وتذكر المـوت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولـى ، فمن فعل ذلك فقد استـحيا من الله حق الحيـاء » رواه الترمـذى ، والاستـحياء من الله يجـعل المسلم يحاسب نفسـه فلا يصدر منه تصرف يغـضب ربه أو يسىء إلى الآخرين ، ولا ينطق بكلمة تـسىء إلى غيره ولا يسلك سلوك المتـبجحين الذين فـقدوا الحياء وتجـرءوا على حرمات الله ، ومن هؤلاء من يرتكب ذنبـا وقـد ستره

الله فيفضح نفسه ويفاخر بما ارتكب ، فقد جاهر بالمعصية وهتك ستر الله عليه ، فاستحق أن يُطرد من رحمة الله ، روى « أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل امتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله » متفق عليه ، ومن الذين فقدوا الحياء أيضا من يُقسم بالله وهو كاذب فاستحق أن يغمس فى جهنم ، لأنه ارتكب كبيرة من الكبائر ، روى البخارى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس واليمين الغموس » وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ آل عمران ٧٧ ، ومنهم أيضا شاهد الزور الذى اجترأ على ربه وضيع حقوق العباد ، إنه هو الآخر أتى كبيرة من الكبائر كما جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : « الإشراك بالله . وعقوق الوالدين . وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور فمازال يكررها حتى قلنا : ليته سكت » ، هؤلاء وكل من نهج نهجهم فقدوا الحياء ، وإذا فقد الحياء فقد الإيمان قال ﷺ :« الحياء والإيمان قرناء ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » رواه الحاكم والطبرانى ، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . . . الحديث » ومعنى ذهاب الحياء من العبد أنه لا يبالى بما يفعل لأنه لا يخاف الله ، قال تعالى : ﴿ **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى**

وأمـا من خاف مـقـام ربه ونهى النفس عن الهـوى فـإن الجنة هى المأوى ﴾ النازعات ٣٧/ ٤١ ، فالعـبد إذا خاف ربـه فى الدنيا أمَّنـه الله يـوم الحساب وإذا لـم يخفـه فى الدنيا أفزعـه الله يوم الحـساب ، ورد فى الحديث القدسى : « لا أجمع على عبدى أمنين ولا خوفين إن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » ، وقد وعد الله عز وجل من يخافه بجنتين قال تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ الرحمن ٤٦ ، فكيف يطمع عبـد تجرأ على محـارم الله بجنة الله ؟ يقول الله في حديث قـدسى : « ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود بجنتى على من بخل بطاعتى » ؟ .

فيـا أخى المسلم : إن أردت النجاة يوم الحـساب فعليك بالحـياء ، فإنه يعصـمك من الوقوع فى المعصيـة ، وينأى بك عن الخطايا ويربى فيك الورع والخوف من الله .



التواضـــع

الحمد لله له الكبرياء فى السـموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله حرَّم الجنة على كل متكبر وجعل مثواه جهنم فبئس مثوى المتكبـرين ، وأشهد أن سيـدنا محمدا رسول الله تـواضع لله فى غير ذلة واعتز بالله في غير كبـرياء ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .

فالكبرياء لله وحده ،فهو المتكبر المتعال ،صاحب العظمة والسلطان والطول والإنعـام ، ﴿ **هو الله الذى لا إلـه إلا هو الملك القـدوس السـلام المؤمن المهيمـن العزيز الجبار المتكبر سـبحان الله عمـا يشركون** ﴾ الحشر ٢٣ ، فصـفة الكبرياء له وحده ، فـإذا تكبر عبد ذلـيل ضعيف فقـد ألصق بنفسـه صفة لا يوصف بها إلا الله، فقد جاء فى الصحيح عن رب العزة أنه قال : (العظمة إزارى والـكبرياء ردائى فمن نازعنى واحـدة عذبتـه) ، ثم علام يتكبر الإنسان ؟ وهو مخلوق عاجـز لا حول له ولا قوة يحتاج إلى الله فى كل أحواله ويحتاج كذلك إلى خلق الله في بعض شئونه ، فهو ضعيف كما قال تعـالى : ﴿ **وخلق الإنسان ضعـيفا** ﴾ النساء ٢٨ ، فـهل يليق بالمخلوق الضعيف أن يتكبر ويتعالى ؟ وهو معرض لأن يصيبَه مرض أو تنزلَ به كارثة فتـحطم كبرياءه وتهـدم غروره فلا يسـتطيع لها ردا ولا دفعـا ولا يملك لها صدا ولا منعا .. إذا كان الأمـر كذلك فعلام يتكبر ؟ مرَّ بـالحسن البصرى شاب يمشى على الأرض تيها وخيلاء ، قد امتلأ كـبرا وعجبا بنفسه ، فقال له الحسن البـصرى : يا بنى هذه مـشية يبـغضهـا الله ورسوله ، فـرد عليه

الشاب ، أولا تعرفنى ؟ قال بلى أعرفك جيدا ، أولك نطفه قذره وآخرك جيفه نتنة ، وأنت بين ذلك تحمل فى بطنك العذرة (القذارة)[1] فأحس الشاب بخطئه وعرف قدر نفسه ثم طأطأ رأسه وانصرف ، والمتكبر مريض، عنده مركَّب النقص ، يحاول أن يكمل ما عنده من نقص عن طريق تكبره وتعاليه على خلق الله ، يُحكى أن رجلا اسمه جذيمة ابن الأبرش عُرف عنه الكبر والتعالى، كان إذا تكلم مع بعض الناس تمضمض ، ومج الماء استكبارا واستقذارا لمن خاطبهم ، كأن فمه أصابته قذارة لمجرد مخاطبتهم إياه ، والمتكبر شخص يكره المجتمع وينبذه الناس ، وقد شبه بعضهم المتكبر كأنه على جبل عال يرى الناس صغارا ويرونه صغيرا

والتواضع صفه المتقين ، وعلامة المؤمنين قال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ الفرقان ٦٣ ، والتواضع يرفع من قدر الإنسان « فمن تواضع لله رفعه » رواه احمد والبزاز ، وفى الحديث « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعه فتواضعوا يرحمكم الله » ، وقف رجل أمام رسول الله ﷺ فارتجف وخاف فقال له الرسول ﷺ : « هوّن عليك فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » وبلغ من تواضعه ﷺ أنه كان يقول لصحابته كما يروى ابن عمر : « إن خرجت عليكم وانتم جلوس فلا يقومن أحد منكم فى وجهى، وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما أنتم ، فإن ذلك خلق من أخلاق المشركين » ، وفى الحديث « من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار » رواه أبو داود والترمذى ، وقد جاء فى السنن أنه لم يكن شىء أحب إلى الصحابه من الرسول ﷺ ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك (رواه أحمد والترمذى) ، وكان

(١) وفى هذا يقول الشاعر (لو فكر الناس فيما فى بطونهم .. ما استشعر الكبرَ شبان ولا شيب)

ﷺ يجلس حيث ينتهى به المجلس ، جاء رسول من كسرى ملك الفرس يسأل عن عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ، فدلوه عليه ، فوجده نائما بجوار المسجد ، فقال : حكمت فعدلت ، فأمنت فنمت . . وفى هذا يقول الشاعر :

أمنت لما أقمت العدل بينهمو   فنمت نوما قرير العين هانيها

وقد حدث أن أقبل عمر - وهو حاكم المسلمين - يحمل قربة ماء ، فيسأله ابنه فى استنكار . لم فعلت هذا ؟ فيجيب عمر : أعجبتنى نفسى فأحببت أن أذلها ، وكان عمر بن عبد العزيز جالسا مع أصحابه ، وهو يومئذ أمير وحاكم - فَخَفَتَ نور السراج ، فقام عمر فأصلحه ، فقال له أحدهم : يا أمير المؤمنين ، كان أحدنا يكفيك ، فقال وماذا حدث ؟ قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ، وكان بعض الصالحين إذا مُدحَ يقول « اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون » . لذلك حث الإسلام على التواضع وذم الكبر ، جاء فى الحديث : « أفضل العبادة التواضع » ويروى مسلم وأبو داود حديث « إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » ، قال تعالى : ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ الاسراء ٣٧ ، وقال : ﴿ ولا تصعِّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ لقمان ١٨ ، والنعيم الأخروى لا يكون إلا للمتواضعين ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ القصص ٨٣ ، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثلا الذَّر فى صور الرجال ،

يغشاهم الذل من كل مكان » وروى البخارى حديث : « بينما رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه مرجِّل رأسَه ، يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامه » ، وإذا كان الإسلام نفّر من الكبر فإنه يريد من المسلم أن يكون عزيزا ، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهناك خيط رفيع بين الكبر والعزة ، فالكبر تسلط وتعال ، والعزة بالنسبة للمؤمن حفظ لكرامته وصيانة له من الاستكانة أو الخنوع . روى مسلم والترمذى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبْر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ؟ قال : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » ، وأيضا فهناك فرق بين التواضع والذلة ، فالمؤمن يتواضع لكن لا يذل نفسه إلا لله ، جاء فى الحديث الصحيح « لا ينبغى للمسلم أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يحملها ما لا تطيق » ، ويقول ﷺ : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير » رواه ابن عساكر ، فالأرزاق والآجال بيد الله وليس لأحد سلطان عليها ، والتكبر سبب فى خسران الدنيا والآخرة ، فقارون بغى على قومه فكانت عاقبته كما قال الله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ القصص ٨١ ، والمتكبرون يوم القيامة تُملأ بهم النار . روى مسلم أن الرسول ﷺ قال : « احتجّتْ الجنة والنار ، فقالت النار فىَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فىَّ ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما ، إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء ، ولكليكما علىَّ ملؤها »

الحرص والطمع

الحمد لله يكره الشح ويبغض الطمع ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله كتب لكل عبد رزقه ، كما كتب عليه أجله ، فلن تموتَ نفس حتى تستكملَ رزقها ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ملأت القناعةُ أركانَ نفسه ، ورضى بما أعطاه الله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . كل نفس خُلقَت مجبولةً على الحرص والشح والطمع قال تعالى : ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح** ﴾ النساء ١٢٨ ، ويقول : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين** ﴾ المعارج ٢١/٢٢ ، وجاء فى الحديث « يشيب ابن آدم ويشيب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل » رواه مسلم ، وروى ابن عباس وأنس بن مالك رضى الله عنهما الحديثَ المتفقَ عليه : « لو أن لابن آدم واديا من ذهب ، أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » ، فكثير من الناس يطمع فى حق غيره ، يطمع فى جاره ، وفى قريبه وفى صديقه وفى كل من تربطه به معاملات فى البيع أو الشراء أو الشركة أو القسمة أو غير ذلك حتى عند حصوله على دَيْن لا ينوى سداده وهو قادر عليه وذلك ظلم لما رواه أبو هريرة فى الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « مَطل الغنى ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على ملئ - غنى - فليتبع » ، والإسلام لا يحب من المسلم أن يطمع فى حق غيره فرسولنا ﷺ يستعيذ من : « نفس لا تشبع » كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن زيد بن أرقم ، ويدعو إلى المسامحة فى البيع والشراء ووفاء الدين ، روى البخارى عن جابر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » ، وقال : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » وتوعد الله المطففين فقال : **﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أؤلئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾** المطففين ٦/١ ، **كما أمر بوفاء الكيل والميزان ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾** الإسراء ٣٥ ، وحذرنا رسولنا من الظلم والشح فقال : **« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح** أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم عن جابر ، وورد أيضا « شر ما في الرجال جبن خالع وشح هالع » رواه أبو داود ، وروى عن الحسن البصري أنه قال : **« ملاك الدين** الورع ، وفساد الدين الطمع » ، **فالمسلم الذى وفقه الله لفهم دينه ،** **وتطبيق أحكامه يقاوم الشح فى نفسه ، ويحارب الطمع فى جبلّته ،** **ويرضى بما قسم الله له ، لانه يعلم أن رزقه يطلبه كما يطلبه أجله ، روى** الطبرانى حديث : **« إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله »** ، ولن يخرج **من هذه الدنيا إلا بعد أن يستكمل كل ما قدّره الله له من رزق رغم أنف** كل معارض ، روى الحاكم عن ابن مسعود حديث « ليس من عمل يقرب **إلى الجنة إلا أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ،** **فلا يستبطئن أحدٌ منكم رزقه ، فإن جبريل ألقى فى روعى أن أحدا منكم** لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيهاالناس وأجملوا فى الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا يُنال فضلُه بمعصية » .

وروى أبو هريرة الحديث المتفق عليه أن الرسول ﷺ قال :

« اشترى رجل من رجل عقارا ، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة من ذهب فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك ، إنما اشتريت منك الأرضَ ولم أشتر الذهب ، وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما اليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، قال : انكحا الغلامَ الجاريةَ ، وانفقا على أنفسكما منه وتصدقا » ، وحُكِيَ أن ثلاثة كانوا يمشون ، فعثروا على كنز ، ثم إنهم ارسلوا أحدَهم ليشترى لهم طعاما ، وهو فى الطريق طرأت له فكرة ، وهى ان يضع لهما السمَّ فى الطعام فيموتا ويفوز بالكنز وحده ، أما هما ففكرا فى قتل صاحبهما الذى أرسلاه لإحضار الطعام حتى يفوزا بالكنز وحدهما ، فعاد صاحب الطعام بالطعام وقد وضع فيه السم ، فقاما إليه فقتلاه ، ثم جلسا يتناولان الطعام الذى جاء به فماتا ، قتلهم طمعهم ، وبقى المال !!! فالطمع ـ كما يقولون ـ يقل ما جمع ، كذلك يحكى علينا القرآن الكريم قصة أبطالها أبو وثلاثة أبناء ، أما الأب فكان رجلا صالحا ، وكان يملك مزرعة بها ثمار ، فكان عند الحصاد يجمع الفقراء والمساكين ليأخذوا حقهم من هذه الثمار يوم حصادها ، وينصرف الفقراء راضين داعين له بالبركة حتى مات ، فقال أولاده : إن ابانا كان أحمق ، يعطي الفقراء ، أما نحن فلن نعطيهم بل سنوفر ما كانوا يأخذونه لنا ، واتفقوا عند موعد الحصاد أن يذهبوا ليلا إلى المزرعة دون أن يشعر بهم الفقراء فيلحقوا بهم كما كانوا يفعلون مع أبيهم ، وخرجوا ليلا يتهامسون حتى لا يسمعهم أحد ، ولما وصلوا إلى مزرعتهم كانت نقمة الله قد سبقتهم إليها، فأرسل الله عليها آفة وهم نائمون فصارت

كالهشيم اليابس أتت عليها عن آخـرها ، حتى إن الأبناء ظنوا أنهم ضلوا الطريق إلى مزرعتهم ، لكنهم تأكدوا أنها مزرعتهم ... وهنا فقط عرفوا أنهم طاغون وظالمون ، وبدءوا يتـلاومون بعد أن اعترفـوا بخطئهم ، يقول تعالى فى سورة القلم : ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا أصحـاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبـحين ولا يستثنون ، فطاف علها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم** ﴾ الآيات ١٧/٢٣ .

اخى المسلم : مـا كان لك سـوف يأتيك، فلا تطمع فـيمـا هو لغيرك ، واقنع بما آتاك الله فالقناعة كنز لا يفنى، وعش سليم القلب ، مبرأ من وساوس الضغـينه وثوران الأحقاد ، وأفرح للخـير ينزل بإخوانك وردد دائما قولـه ﷺ الذي يرويـه أبـو داود : « اللهــم مـا أصبح بـى مـن نعمـة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد والشكر » .



الرحمة

الحمد لله الرحمن الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله رحمته وسعت كلّ شيء ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الرحمة المهداة .

﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد . . إن الناس إذا خلت قلوبهم من الرحمة تحولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق ، وسعير لا يحتمل ، وأصبحوا أشبه بالحيوانات التى تعيش فى الغابة ، يفترس القوى الضعيف ، ويبطش القادر بالعاجز ، فلكى تكون الحياة آمنة لابد من أن تسود الرحمةُ المجتمعَ ، فيرحم الإنسانُ نفسَه وأهلَه والناسَ أجمعين حتى الحيوانات ، فمن حُرِمَ الرحمة فقد حُرِمَ الخير كله ، جاء فى الحديث الذى رواه مسلم : « من يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير كله » ، وفى الحديث الذى رواه مسلم أيضا عن عائشة : « ان الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه » .

وقد وصف الله ذاتَه العليةَ باسمين مشتقين من الرحمة « الرحمن الرحيم » وفرّق العلماء بينهما فقالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ الاحزاب ٤٣ ، فالله أرحم الراحمين ، رحمته وسعت كل شىء ، سمع رسول الله ﷺ أعرابيا يدعو فيقول : « اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » فقال له : « لقد ضيقت واسعا » وجاء فى الصحيحين : « إن رحمتى غلبت غضبى » ،

وهو أرحم بعبده من الأم بولدها ، جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبى قد فُرِّقَ بينها وبين ولدها ، فجعلت كلما وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته بصدرها ، وهى تدور على ولدها ، فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها ، فقال « أترون هذه طارحة ولدها فى النار وهى تقدر على أن لا تطرحه ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فوالله أرحم بعباده من هذه بولدها » ، ورحمة الله فى الدنيا جزء من مائة جزء ، روى أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابةُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبَه » ، وروى عن عائشة الحديث المتفق عليه « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » ، ولا ينال رحمةَ الله إلا من كان أهلا لها ، فقساة القلوب مبعدون عنها ، روى أبو داود حديث : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » ، جاء فى الحديث المتفق عليه : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ، إنما يستحق الرحمة الراحمون ، كما جاء فى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمين » رواه الترمذى . وقال تعالى : ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول ﴾ الاعراف ١٥٦/١٥٧ ، وقال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ﴾ الانعام ٥٤ ، ومن أبرز صفات الرسول ﷺ الرحمة كما وصفه ربه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الانبياء ١٠٧ ، ويقول فيه

أيضا : ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ التوبة ١٢٨ ، ويقول له ربه : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ آل عمران ١٥٩ ، لقد بلغ من رحمته ﷺ أنه كان يخفف من صلاته حين يسمع بكاء طفل ، روى البخارى عن أبى قتادة حديث : « إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه » ، رآه الأقرع بن حابس يُقَبِّل ابن بنته الحسن ، فقال الأقرع : إن لى عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : « من لا يَرْحم لا يُرْحَم » متفق عليه ، وتقول عنه عائشة ما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله لنفسه فى شىء قط إلا أن تُنْتَهَكَ حرمةُ الله ، فينتقمَ لله تعالى » متفق عليه فالله رحمن رحيم ، ورسوله رحيم ، فعلى المسلم أيضا أن يكون رحيما يرحم نفسَه ، قال تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ البقرة ١٩٥ ، ويرحم أهلَه ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهلكم نارا ﴾ التحريم ٦ ، والله قد أقام العلاقة الزوجية على المودة والرحمة ﴿ ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ الروم ٢١ ، ويرحم جميع مخلوقاتِ الله من إنسان وحيوان ، فالله وصف المجتمع الإسلامى بهذه الصفة صفة الرحمة قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الفتح ٢٩ ، ويصور الرسول ﷺ طبيعةَ هذا المجتمع فيقول فى الحديث المتفق عليه المروى عن النعمان

ابن بشير : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وروى عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » ، ولكى تعم الرحمةُ المجتمع فعلى ولاة الأمر أن يرفقوا برعاياهم ، يقول ﷺ « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به » رواه مسلم عن عائشة . .

فلو تعود المجتمع على التحلى بصفة الرحمة كما أمر الإسلام ، لما كان بينهم جائع ولا عريان ولا مظلوم ولا محروم ، ولقويت الروابط بين المسلمين وعاشوا بنعمة الله إخوانا متعاونين يجمع الحب بين قلوبهم ، وتملأ المودة نفوسهم . . وتلك سمة المجتمع الإسلامى . . فهل يفهم هذا أولئك الذين خلت قلوبهم من الرحمة ، وغلبت على طباعهم القسوة حتى صاروا ذئابا فى زى آدميين ، وشياطين تحمل رؤسا بشرية ؟ .



صلة ذوى الأرحام

الحمد لله خلق الرحمَ واشتق لها اسما من أسمائه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله أمـر بالإحسـان إلى ذوى القربى والأرحـام، وأشهـد أن سيـدنا محـمدا رسول الله خـير الناس لأهله وأبرهم بقـراباته ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . . .

الناس جميعا يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة آدم وحواء ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكـر وأنثى وجـعلناكم شعـوبا وقـبائل لتـعارفـوا** ﴾ الحجرات ١٣ ، ثم كثر الناس ، وتعددت الشعوب وانقسمت إلى مجتمعات ، وكل مـجتـمع يتكون من عـائلات ، وكل عـائلـة تربط بين أفـرادها صلة القربى ، وأصـبح لكل إنسان أقاربُ ، وهؤلاء الأقـارب يسميـهم الإسلام أولى الأرحام ، وقـد أوصى بصلتهم والبرِّ بهم وإحـسان معـاملاتهم لأنهم منك عصبا ونسبا ، قال تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** ﴾ النساء ١ ، روى أبو هريرة الحديث المتفق عليه أن رسـول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قـامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع مـن قطعك ؟ ، قالت : بلى ، قـال : فذلك لك ثـم قـال رسـول الله : « اقرؤا إن شئـتم : فهل عسـيتم إن توليتم أن تفسـدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم اؤلئك الذين لعـنهم الله فأصمهم وأعـمى أبصارهم » ، واعتـبر الإسلام صلة الأرحام علامـة على الإيمـان ، روى أبو هـريرة أيضا الحديث

المتفق عليه : « من كـان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيـفه ، ومن كان يومن بالله واليوم الآخـر فليصل رحـمه ومن كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فليقل خـيرا أو ليسكت » ، فإن كـان المسلم ذا مال وله أقارب فقـراء فمن حـقهم علـيه أن يبـرهم مـن مـاله مـع تواصـل المودة أيضـا ، فـقـد أمـر الإســلام بذلك ، قال تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ البقرة ٢١٥ ، وقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴾ الاسراء ٢٦ ، وقال : ﴿ فآت ذا القربى حقـه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للـذين يريدون وجه الله ﴾ الروم ٢٨ ، وقال : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى ﴾ النساء ٣٦ ، وقال : ﴿ فلا أقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسـغبةيتـيما ذا مـقربة أو مسكينا ذا متربة ﴾ البلد ١١/١٦ ، وقد ضاعف الإسلام أجـر الصدقة إذا كانت لقريب ، روى الترمـذى « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صـدقة وصلة رحم » ، فقرابتك المحتاجون أولى بصدقتك ، فلو صرفـتها إلى غيرهم لم تقبل منك ، روى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قـال : « يا أمة مـحمد : والذى بعثنى بالحـق لا يقبل الله صـدقةً من رجل وله قرابة محـتاجون إلى صلته ويصـرفها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليـه يوم القيامة » ، وهذا التصرف فيه ظلم لذوى القربى ، وغبن لحقهم وايلام لنفوسهم قال الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

فـإن لم يكن عند المسلم مـال يعطى منه ذوى قـرباه ، فلا يبـخل

عليهم بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة ، ومشاركتهم سراءهم وضراءهم ، وذلك مطلوب مع المسلمين عامة وذوى القربى خاصة ، جاء فى الحديث المتفق عليه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » ، ويقول الرسول ﷺ « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق » رواه البزار . . فصلة الرحم مطلوبة شرعا سواء كانت بالمال أو بالكلمة الطيبة أو بهما معا ، وقد رتب الإسلام على صلة الرحم خيرات كثيرةً ، منها البركة فى العمر والذرية والسعة فى الرزق والعطاء ، روى أنسٌ الحديثَ المتفقَ عليه : « من أحب أن يُبْسَطَ له فى رزقه ويُنْسَأ له فى أثره فليصل رحمه » ، أما من يقطع رحمه فلا يزورهم ولا يبرهم فقد حرَّم الله عليه الجنة ، قال ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » أى رحم « متفق عليه ، وروى أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه حديث : « ما من ذنب حَرِىٌّ أن يعجِّلَ الله تعالى عقوبته فى الدنيا مع ما يدخره لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » ، وعن عائشةَ قالت : قال رسول الله ﷺ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » متفق عليه ، وقد اعتبر الإسلام قطيعةَ الرحم إفسادا فى الأرض وسببا فى اللعنة ، قال تعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾ محمد ٢٢/٢٣ ، فعلى المسلم أن يصلَ ذوى القربى حتى وإن قطعوها وأساءوا ، فلا يمنعه ذلك من برهم ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رجلا قال يارسول الله : إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىَّ ، وأحلُم عنهم ويجهلون علىّ فقال : « لئن

كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملَّ - الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك » ، وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » ، وقد كان لأبى بكر ابن خالة اسمه مسطح كان فقيرا وكان الصدِّيق ينفق عليه ، فلما وقعت حادثة الإفك واتُّهِمَتْ السيدة عائشة فى عرضها كان مسطح ممن خاضوا فى عرضها وانضم إلى طائفة المنافقين ، فأقسم أبو بكر أن لا ينفقَ عليه ، فنزل قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ النور ٢٢ ، فعند ذلك قال الصديق . . بلى والله إنَّا نحب أن تغفر لنا ياربنا ، ثم أرجع إلى مسطح نفقته ، وكانت أسماء بنتُ الصديق هاجرت إلى المدينة ، وبقيت أمها بمكة على الشرك ، ثم ذهبت الأم لزيارة ابنتها بالمدينة فلم تدخلها أسماء بيتها إلا بعد أن أمرَها الرسول : تقول أسماء : قَدِمَتْ علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله قلت : قدمتْ علىَّ أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ « قال نعم : صِلِى أمك » متفق عليه ، وفى هذا نزل قوله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ الممتحنة ٩/٨ .

هذه تعاليم ديننا ، تقيم العلاقات بين الأقارب على المودة والرحمة والحب ، فهل واقع المسلمين اليوم يصدق ذلك ؟ الواقع يقول : إن

الروابطَ الأسرية مفككةٌ والعـلاقاتِ العائليةَ سيـئةٌ ، فالابن يكره أباه والأخ يحقد على أخيه ، وتسمع كل يوم عن ابن قتل أمـه ليتزوج فى شقتها،وعن بنت طَرَدَتْ أمهـا من بيتها ، وعـن أُخ قتل أخاه بسبب قـيراط من الأرض وعن آباء وأمهات بلغوا أرذل العمر رَمَى بهم ابناؤهم فى دور المسنين . ما هذا النكران والجحود ؟ أهذا رد الجمـيل ؟ أين تعاليم ديننا ؟ أين تقاليدنا السمحة ؟ !!!

اللهم أعدنا إلـى ديننا عودا حمـيدا وأصلح فسـاد قلوبنا واملأ قلوبنا رحمة بعبادك .



فئات من المجتمع أوصى الإسلام بهم

الحمد لله جعل الإسلام دين المودة والرحمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله أوصانا بتقديم العون وبذل المعروف ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، رحم الضعيفَ والمسكينَ وذا الحاجة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .. فكل مجتمع فيه القوى والضعيف ، والصحيح والمريض ، والشباب والشيوخ ، وقد أوصانا الإسلام ببذل المعروف مع كل الناس ، إلا أنه خص فئاتٍ معينةً بمزيد من الاهتمام ، لأنها بحاجة إلى عطف أكثر ورعاية أوفر . وقد أشار القرآن إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ البقرة ٨٣ .. وبالنسبة لذوى القربى واليتامى ، فقد تناولت كلا منهما فى خطبة خاصة ، واليوم أتكلم عن فئات أخرى أوجب الشرع إكرامهم والإحسانَ إليهم ، منهم كبار السن والمرضى والأطفال وذوو العاهات والضعفاء والمنكوبون وأصحابُ الحاجات ، فقد أمر الإسلام بتوقير الكبير ورحمة الصغير ، والكبير هذا قد يكون أباك أو أخاك أو عمك أو أحدَ المسلمين فتوقيره واجب ، ومن قصَّر فى ذلك فليس من جماعة المسلمين ، روى عبد الله بن عمرو : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » وورد أيضا : « من أكرم شيخا لسنه قيَّض الله له من يكرمه عند سنه » ، كما أمر الإسلام بملاطفة المرضى وعيادتهم ، روى البخارى عن أبى موسى « عودوا المريض وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى » ،

وعـيادة المريض حق لـه على أخـيـه ، رُوى عن أبى هريره الحديث المتـفق عليـه : « حق المسلم على المسلم خمس ، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز ، وإجـابـة الدعـوة وتشمـيت العـاطس » ، وزيارة المرضى ثوابهـا عظيم ، روى الترمذى عن أبى هريرة : « من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممـشاك وتبـوأت من الجنه منزلا » ، فـإذا مرض أخ مـسلم ولم تعـده عاتبك ربك يوم القـيامـة ، روى أبو هريرة أن رسـول الله ﷺ قال : إن الله عـز وجل يقول يوم القـيامـة : « يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ! قال يارب : كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أمـا علمت أن عبـدى فـلانا مرض فـلم تعده ، أمـا علمت أنك لوعُـدْتَه لوجدتـنى عنده ؟ يا ابن آدم استطعـمتك فلَم تطعـمنى ، قال يارب كـيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قـال : أما علمت أنه استطعمك عـبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعـمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عـبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقـيته لوجدت ذلك عندى ؟ » رواه مـسلم ، وقد خفف الإسـلام عن المرضى وكبـار السن فى العبادات كـالصـوم والصـلاة وأسقـط عنهم الحرج فى الجهـاد قال تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ البقرة ١٨٥ ، وقال : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ النسـاء ٢٨ ، وقـال : ﴿ **ليس عـلى الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** ﴾ الفتح ١٧ ، وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قـال : « إذا صلى أحدكم بالناس فليـخفف ،

فإن فيهم الضعيفَ والسقيمَ والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء » متفق عليه .

وقد يوجد فى بعض بيوت المسلمين ضعفاء أو ذوو عاهات لا يتكسبون ولا دخل لهم ، ويقوم بالإنفاق عليهم أخ أو أب ، فلا يضجر من هؤلاء الضعفة ، فإن الله يوسع عليه رزقه بسبب هؤلاء ، روى البخارى حديث : « وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » كما أن لهذا المنفق الأجر المضاعف ، روى أبو هريره أن النبى ﷺ قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » وأحسبه قال « وكالقائم الذى لا يَفتُر وكالصائم الذى لا يُفطِر » متفق عليه ، فإذا صادفت فى طريقك رجلا أعمى يتعثر فى طريقه ، أو إنسانا يحتاج مساعدةً ، فتقدم لمساعدته شكرا لنعمة فقدها غيرك ومتعك الله بها .

وقد تقع لمسلم كارثة أو تحل به مصيبة ، فهل نتركه وحده ؟ لابد من الوقوف بجانبه والتخفيف عنه وتقديم المساعدة ، بهذا أمرنا ديننا ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، وذلك واجب الأخوة الإسلامية ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن

رسول الله ﷺ قال « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .
وإن كنت صاحبَ جاه أو منصب ، وقصدك إنسان لتقضي له حاجة فلا تتأخر عن خدمته ، فكما أن فى المال زكاةً فكذلك للمنصب زكاة وهى قضاء حوائج الناس ، حتى تكون ممن خلقهم الله لقضاء حوائج الناس فتنعم بالأمن يوم القيامة فقد ورد : « إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أؤلئك الآمنون من عذاب الله » ، فاذا بخل صاحب الجاه على الناس بخدماته نزع الله منه هذه النعمة ، جاء فى الحديث « إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ، مالم يملوهم فإن ملوهم نقلها إلى غيرهم » ، وخطواتك مع أخيك المسلم لتقضىَ له حاجة كأنك فى عبادة بل أفضل : فقد قال الرسول ﷺ :« لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجة أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » ، واعلم أن من أفضل الاعمال إدخالَ السرور على قلب مؤمن ، قال ﷺ :« إن أحب الأعمال إلى الله إدخالُ السرور على المسلم » وورد : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الطبرانى وورد : « أشر الناس من لايؤمل خيره ولا يؤمن شره » .

وهناك فئات أخرى أوصى بها الإسلام كالنساء والجيران وابن السبيل والخدم وغيرهم ، والمسلم مطلوب منه أن يكون أخا لكل المسلمين يبذل لهم معروفه ولا يمنعهم خيره .. فهذا هو ديننا .

رعايــة اليتيــم

الحمد لله أوصى باليتامى خـيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا ألا نقربُ مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال له ربه : ﴿ **فأمـا اليتيم فلا تقـهـر وأما السائل فـلا تنهـر وأمـا بنعمـة ربك فحدث** ﴾ ، اللهم صل وسلم وبارك على سـيدنـا محـمد وعلى آله وصحبـه .. وبعد .. فى خطب سابقة تكلمت عن الرحمـة العامة ، ثم عن الرحمة ببـعض فئات المجتمع مثل المرضى وكـبار السـن ، واليوم أتكلم عن طائفة أخرى من المجتمع تستحق العطف والرعاية وهم اليتامى ..

واليتيم من الإنسان من فقد أباه ومن الحـيوان ما فقد أمه ، وكذلك من كان أبـوه غائبـا مدة طويلـة أو كان مسجونـا مثلا فهو فى حكم اليتيم ، واليتيم حُرِم من حنان أبيه وعطفه ، وهو فى سن مبكرة كان يحتاج فيها إلى أبيه يحـيطه بالعناية ويمنحه الرعـاية ، ويشعره بالحـب ، ولكى يعوضَ هذا الصغيرُ ما فـقده بموت أبيه فعلى كل مسلم أن يعتبر نفـسه أبا له يعامله كابن من أبنائه تنفيذاً لتـعاليم الإسلام التى توصى بكفالة اليتيم ورعـايته وحماية ماله حتى يبلـغ ، بهذا ينشأ الصغيـر لا يشعر بفقـد أبيه ، ولا يُحْرَم عطف الآخرين ، فيحب من حوله ولا يجد فى نفسـه كراهية لأبناء مجتمعه الذين رعوه وكفلوه ، وقد طلب الإسلام إلى الآباء أن يتركوا لأولادهم ما يكفيهم عن مسألة الناس قال تعالى : ﴿ **وليخش الذين لو تركـوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** ﴾ النساء ٩ ، فقد ثبت فى

الصحيحين أن رسولَ الله ﷺ لما دخل على سعد بن أبى وقاص يعوده ، قال يارسول الله : إنى ذو مال ، ولا يرثنى إلا ابنة . أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : « لا » قال : فالشَّطر ؟ قال : « لا » قال : فالثلث ؟ قال « الثلثَ ، والثلثُ كثير » ثم قال رسول الله ﷺ : « إنك إن تذرَ ورثَتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » ، وقد علَّق الفقهاء على هذا الحديث فقالوا : إن كان ورثة الميت أغنياء استُحِبّ للميت أن يستوفى فى وصيته الثلثَ ، وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث ، وقد جاءت نصوص كثيرة فى الكتاب والسنة تحض على رعاية اليتيم وكفالته قال تعالى : ﴿ واعبدوا ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى ﴾ النساء ٣٦ ، وقال : ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى ﴾ البقرة ١٧٧ ، وقال : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ الإنسان ٨/٩، وقال : ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ ، فقد جعل القرآن الذى يدُعّ اليتيم : أى يدفعه بعنف ويؤذيه ويهينه والذى لا يوصى بإطعام المسكين جعلهما من المكذبين بالدين ، ولو كانا مصدقين به فعلا لما حدث منهما هذا السلوكُ تجاه اليتيم والمسكين ، وفى هذا المعنى يقول تعالى : ﴿ كلا بل لاتكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ الفجر ١٧/١٩ ، وكلمة (كلا) تشير إلى نفى الفهم الخاطىء الذى أشارت إليه الآيات السابقة من أن بسط الرزق دليل على إكرام الله للعبد ، وأن تضييقه دليل على مهانته . . أى ليس الأمر كذلك ، ولكنكم تهملون الواجب عليكم

نحو فئات مستضعفة تعيش معكم مثل اليتامى والمساكين ، ولا يشغلكم إلا جمع المال ، وقد اعتبر الرسول ﷺ المعاملةَ الطيبة لليتيم من أعظم القربات حيث يقول : « من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات » ، روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ « امسح رأسَ اليتيم وأطعم المسكين » وفى رواية للطبرانى أنه قال له : « أتحب ان يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك » ، واعتبر خير بيوت المسلمين من فيه يتيم يُكْرَم حيث قال : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحْسَنُ إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » رواه ابن عمر وضعفه الألبانى ، ومن الإحسان إلى اليتيم تربيته وتعليمه ، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ مم أضرب يتيمى ؟ فقال : « مما كنت ضاربا منه ولدك » واليتيم إما أن يكون له مال أولا . . فإن كان له مال فعلى وليه أن يتقى الله فى هذا المال ، فإن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وإن كان غنيا فليستعف قال تعالى : ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ النساء ٦، ولا يقرب مالَ يتيمه إلا بالتى هى أحسن قال تعالى : ﴿ فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ﴾ النساء ٦، وقد اعتبر الرسول ﷺ أكل مال اليتيم من الكبائر ، روى أبو هريرة حديث : « اجتنبوا السبع الموبقات ـ وعدَّ منها أكل مال اليتيم » واعتبر القرآن أن آكل مال اليتيم كأنه يأكل فى بطنه نارا قال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى

ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ النساء ١٠ .

وإن لم يكن له مـال فنفقـته علـى قريبـه أو على المجتـمع أو على الدولة المسلمة قـال تعالى : **﴿ فلا اقتـحم العقبة ، وما أدراك ما العـقبة فك رقبة أو إطـعام فى يوم ذى مسغـبة يتيمـا ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ﴾** البلد ١١/١٦ ، وكافل اليتيم يجـاور رسول الله ﷺ فى الجنة ونعماها من منزلة ، روى البخارى عن سهل بنسعد أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشـار بالسبـابة والوُسطى وفـرَّج بينهمـا . وعلى الدولة المسلمة وعلى أغنياء المسلمين تكـوين جميعات لرعاية اليتـامى حتى لا ينشأ جيل من المشردين يحقد على المجتـمع ويهدد أمنه .. كان عمر بن الخطاب يمشى فى السوق ، فتعلقت به امرأة ، قـال لها ما شأنك ؟ قالت « مؤتمة » أى صاحبة يتامى ، توفى زوجى وتركهم مالهم زرع ولا ضرع ولا يستنضح أكبرهم ـ أى لا يقدر على العمل ـ وأخاف أن يأكلهم الضبع « الضياع » ، فانصرف مـعها عمـر ، فعمد إلى ظهر بعـير فأمر به فَـرُحِل ودعا بغرارتين فملأهما طعاما وَرَدَكًا ـ دهنا ـ ووضع فيه جرة من نفقة ثم انصرفت .

وقد ذاق رسـول الله ﷺ اليتم .. مات أبوه وهـو حمل فى بطن أمـه وماتت أمـه وهو ابن ست سنوات ولكن الله آواه **﴿ ألم يجدك يتـيما فآوى ووجدك ضـالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فـأما اليتيم فلا تقـهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث ﴾** .



الرفــق بالحيــوان

الحمد لله كـرَّم الإنسان وفضّله على كثير من خلقـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الإنســان سيدَ هذا الكون ، وسخـر له مافيه ، وأشـهد أن سيدنا مـحمدا رسول الله الرحـمة المهداة ، والنعمـة المسداة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فى خطب سـابقة ذكـرت أن الرحمـة تكون للإنسـان كمـا تكون للحيوان ، وقد خلق الله الإنسان وميَّـزه على الحيوانات بالعقل وسخرها له يركبـها وتحـمل أثقاله ويأكل لحومـها ويشـرب ألبانها ، وينتـفع بأصوافـها وأوبارها وأشعارها ، قال تعالى : ﴿ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنهـا تأكلون ولكم فيـها جـمـال حين تريحون وحين تسـرحون ، وتحـمل أثقالكم إلى بلـد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفـس إن ربكم لرؤف رحيم** ﴾ النحل ٥/٨ ، وقال : ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتـا تستخفونهـا يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصـوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين** ﴾النحل ٨٠ ، وقال : ﴿ **وجعل لكم من الفُلك والأنعام ما تركبـون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعـمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سـخر لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين** ﴾ الزخرف ١٢/١٣ ، وقال : ﴿ **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عمـلت أيدينا أنعاما فهم لهـا مالكون وذللناها لهم فمنها ركـوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومـشارب أفلا يشكرون** ﴾ يس ٧١/٧٣ ، فتفضيل الله للإنسان على الحيوان هذه نعمة وتسـخير

الحيوان له نعمة أخرى ، وكل نعـمة تستحق شكر المنعم المتفضل ، وشكر الله فى هذه الحيوانات يكون برحمتها والإحســان إليها فى علفها وسقياها ، وألا يحملهـا مالا تُطيق ، وهذا مـا أمرنا به ديننا ، فلقـد بلغ من رحمـته بالحيوانات أن جعلها سـببا فى دخول الجنة أو النار ، روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال : « بينما رجل يمـشى بطريق اشتـد عليه العطش ، فوجد بئـراً فنزل فيها فشـرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : قد بلغ هذا الكلبُ من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقيَ فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له » قالوا يارسول الله: إن لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » متفق عليه ، وفى رواية : « أن امرأة بَغِيًّا رأت كلبا فى يـوم حار يطيف ببئـر، قد أدلع لسـانه من العطش فنزعت له موقها « خفها » فغُفر لها به » ، وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « عُذِّبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتـها وسقتها إذ هى حبـستها ولا هى تركتهـا تأكل من خشاش الأرض » متـفق عليه . فانظر كيـف اهتم الأسلام بالرحمة حـتى إن امرأة دخلت النار بسبب هرة وامـرأة بغى دخلت الجنة بسبب كلب ، فـاذا كانت الرحمة بـالحيوانات تصنع هذا . . فمـا بالك برحمة البشـر عامة ؟ وروى أنس أن رسول الله « نهى أن تُصَبَّرَ البهـائم » أى تحبس حتى تموت ، متفق عليه ، كذلك حرَّم الإسلام أن يُتَّخَذَ مـا فيه الروح هدفا للرمى ، فقد قال ابن عمر : إن رسول الله لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا ، متفق عليه ،

وحرم الإسلام أن يكوى الحيوان على وجهه أو يضرب عليه ، روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر عليه حمار قد وُسم فى وجهه فقال « لعن الله الذى وسمه » وورد أن رسول الله ﷺ نهى عن الضرب والوسم فى الوجه ، رواهما ، مسلم ونهى الرسول ﷺ ان تُفْـزَع الطيور بأخذ صغارها ، أو تحرق الحيوانات ، روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش بجناحيها فجاء النبى ﷺ فقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردُّوا ولدها إليها » ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : « من حرق هذه ؟ » قلنا نحن ، قال « انه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار »رواه أبو داود،حتى فى ذبح الحيوان أو قتله أمر الإسلام بالرحمة ، روى مسلم عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذِّبحة ، وليحدَّ أحدُكم شفرْتَه وليرح ذبيحتَه » ، ورأى رسولُ الله ﷺ رجلا يحدُّ شفرته وقد أضجع شاة يريد ذبحها فقال له : « أتريد أن تميتها مرتين ، هلا أحددت شفرتك قبل ان تضجعها ؟ » فمن الرحمة ألا يذبح الحيوان بسكين بارد ، ولا يذبح حيوانٌ على مرأى من حيوان آخر ، رأى عمر رجلا يجر شاة ليذبحها ، فضربه بالدِّرة قائلا : سقها إلى الموت سوقا جميلا لا أمَّ لك ، دخل رسول الله ﷺ بستانا لرجل من الأنصار فاذا بجمل يحنُّ إليه وعيناه تذرفان الدموع ، فمسح عليه حتى سكن ، ثم سأل : من مالكه ؟ فقال أحد الفتيان إنه لى ، فقال له

الرسول : ألا تتقى الله عز وجل فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ؟ ، فإنه شكا لى أنك تجيعه وتدئبه أى تتعبه رواه مسلم وأبو داود ومر الرسول ببعير ، فلما رآه البعير جرجر : أى رفع صوته ، فطلب الرسول من صاحبه أن يبيعه له ، فقال : أهبه لك ولو أنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ، فقال الرسول « أما إذا ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكا لى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه » ومر الرسول أيضا ببعير لصق ظهره ببطنه فقال : « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » رواه أبو داود ، وضرب عمر رجلا يسوق جملا قد أثقل حمله وقال له : حملت جملك ما لا يُطيق رواه ابن سعد فى الطبقات ، ويقول على : إذا رأيتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل أحدهم ، وهناك حيوانات أمر الإسلام بقتلها لما تسببه من ضرر للإنسان أو خطر على حياته ؛ قال ﷺ : « خمس يُقتلن فى الحل والحرم : الحدأة والغراب والفأرة والكلب العقور والحية » ، ويقاس على هذه كل الحيوانات التى تؤذى الإنسان كالذباب والبعوض والناموس والنمل ودودة القطن أو الحيوانات المفترسة التى تهدد حياة الناس ، فهذه لا يحرم قتلها ، لأن فى قتلها منعا لخطر أو جلبا لمصلحة .



الظلم ظلمات يوم القيامة

الحمد لله حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين الناس محرما ، وأشهد أن لا إله إلا الله قال : ألا لعنة الله على الظالمين ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله عدل فلم يظلم ، وأنصف فلم يهضم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد فقد حرم الله الظلم على ذاته العلية وحرم الظلم بين العباد ، روى مسلم من حديث لأبى ذر عن الرسول ﷺ أن الله يقول « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بين الناس محرما فلا تظالموا ـ الحديث ... » ويقول تعالى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ النحل ١١٨ ، ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ النساء ٤٠ ، ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ فصلت ٤٦ ، روى الإمام مسلم من حديث لجابر أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ، والظلم أنواع ، أعظم أنواعه الشرك ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ لقمان ١٣ ، فقد ورد : الظلم ثلاثة : ظلم لا يُغْفَر وهو الشرك ، وظلم لا يُتْرَك وهو ظلم الآخرين ، وظلم يُغْفر وهو ظلم العبد لنفسه ، قال تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ النساء ١١٠ ، وقال : ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ الطلاق ١ ، وقد حرم الإسلام الظلم وتوعد الظالمين بالعذاب الأليم والعقاب العظيم ، فعلى كل من يفكر فى ظلم الناس أن يتذكر أن الله لن

ينجيه من عقابه « إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك » ومن حق المظلوم أن يدفع عن نفسه الظلمَ والله سيعينه قال تعالى ﴿ **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله** ﴾ الحج ٦٠، ﴿ **ولَمن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك ماعليهم من سبيل** ﴾ الشورى ٤١، ﴿ **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون** ﴾ الشورى ٣٩، لكن الله يحبب فى العفو والمسامحة ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ الشورى ٤٠ ، فإذا كان المظلوم لا يقدر على دفع الظلم عن نفسه فقد فتح الله باب السماء لدعائه ، فالله لا يحب أن يدعو أحد على احد إلا أن يكون مظلوما ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ النساء ١٤٨، ورد عن الرسول ﷺ : دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب » وورد : « ما من عبد ظلم فشخص ببصره إلى السماء إلا قال الله عز وجل : لبيك عبدى ، لأنصرنك ولو بعد حين » وورد : « اتق دعوة المظلوم فإنها تُحْمَل على الغمام - السحاب - يقول الله تعالى : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » **ويقول الشاعر** :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم آخره يأتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وعلى المجتمع بجميع طوائفه وكل فئاته أن يقف فى وجه كل ظالم ويساند كل مظلوم حتى تستقيم الحياة وينتشر فيها العدل ، روى الأصبهانى أن رسول الله ﷺ قال : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » ، فإذا تكاسلت الأمة عن هذه المهمة فقل عليها العفاء ، قال ﷺ: « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على

يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده »[1] وقال : « إذا رأيتم أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّع منها »[2] أى أصبحت لاغناء فيها ، وفى الحديث القدسى : « وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولا نتقمن ممن رأى مظلوما فقد رأن ينصره فلم يفعل » وروى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال « لا يقفن أحدكم موقفا يُضْرَبُ فيه رجل ظلما ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » .

وبعض الناس يتعاون مع الظلمة ويشجعهم على ظلمهم ، فليعلم هؤلاء أن الظلم سيعمهم ، قال ﷺ : « من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام » وفى حديث آخر « من أعان ظالما سلطه الله عليه » ، وصدق الله ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ هود ١١٣ .

فإذا أراد الله بالظالم خيرا وصحا ضميره ، وأراد التوبة فلابد من رد المظالم إلى أهلها فى الدنيا قبل الممات ، روى البخارى من حديث لأبى هريرة رضى الله عنه أن النبى لله ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه » فإن الله يوم القِيامة يقتص من الظالم للمظلوم ، روى مسلم من حديث لأبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامه حتى يقاد للشاة الجلحاء - لا قرن لها - من الشاة القرناء » ، فالله يمهل ولا يهمل ، روى أبو موسى فى الحديث المتفق عليه : « إن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ :

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح .
(٢) صححه الحاكم .

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد ﴾ هود ١٠٢ ، فالظالم يعاقبه الله فى الدنيا ويعاقبه فى الاخرة ، أما فى الدنيا فكم من بيوت خربت ، وعائلات شردت ، وعز ضاع ، وجاهٍ ولَّى ، وذلك بسبب الظلم قال تعالى : ﴿ فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعملون ﴾ النمل ٥٢ ، يُحْكَى أن موسى عليه السلام كان جالسا قريبا من بئر فى الصحراء ، فجاء فارس على فرسه ، فنزل ليشرب من البئر ، فمنعه حزام على بطنه به ماله ، فخلعه ووضعه على حافة البئر ، وشرب ثم انصرف ونسى حزامه ، فجاء راعى غنم فشرب وسقى غنمه ووجد الحزام فأخذه وانصرف ، ثم جاء رجل أشيب فشرب وجلس يستريح ، فتذكر الفارس حزامه فعاد فوجد الرجل الأشيب ولم يجد حزامه فسأله عنه ، فقال : لا أدرى .. فلم يصدقه وقتله ، فتعجب موسى وقال : يارب أهذا هو العدل ؟ فقال الله : يا موسى إنك لاتعرف السر : إنه القِصَاصُ ، أما المال الذى نسيه الفارس فكان قد اغتصبه من أبى الراعى وقد رجع المال إلى ولده ، وأما الرجل الأشيب الذى قتله الفارس فكان قد قتل أبا الفارس .. إنه الانتقام ، كما تدين تدان .. وهذا عقاب دنيوى ، أما العذاب الأخروى فيبدأ مع خروج أرواحهم قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن أياته تستكبرون ﴾ الانعام ٩٣ ، وصدق الله : ﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ إبرهيم ٤٣/٤٤ ، ﴿ يوم يعض الظالم على يديه ﴾ الفرقان ٢٧ ، ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ طه ١١١ .

مصير الظالم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

الحمد لله ليس بـغافل عما يعمل الظـالمون ، وأشهد أن لا إله إلا الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلـته ، وأشهد أن سيدنا مـحمدا رسول الله حذر من الظلم وتوعد الظالمين ، اللـهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد . .

حكى القـرآن الكريم عـن بعض الظلمـة كـالنمـرود الذى حـاجَّ إبراهيم فى ربـه ، وقـارون وفرعـون ووزيره هامان الذين أرسل الله إليـهم موسى ﴿ **ولقـد أرسلنا مـوسى بآياتنا وسلطان مـبين إلى فـرعون وهامـان وقارون فقالـوا ساحر كذاب** ﴾ غافر ٢٣/٢٤ ، وقال عن ظلم فـرعون ﴿ **إن فرعـون علا فى الأرض وجـعل أهلها شـيعـا يستـضعف طائفـة منهم يذبح أبناءهم ويستـحيى نساءهم إنه كان من المفـسدين** ﴾ القصص ٤ ، ولقد أهلك الله الظالمين ﴿ **فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليـه حاصـبا ومنهم من أخذته الصيحة ومـنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا** ﴾ العنكبوت ٤٠ ، لقد طلب الله من موسى وهـارون أن يذهبا إلى فرعون ليدعـواه إلى عبادة الله وليترك بنى إسرائيل يعبـدون ربهم فقال فرعون : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى فـاوقدّ لى يا هامان على الطين فاجعل لـى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى** ﴾ القصص ٣٨ ، ويقول موسـى لفرعون : ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ طه ٥٠ ﴿ **رب السموات والأرض ومـا بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ الشعراء ٢٤ ، ويظهر موسـى عصاه فيرمى بهـا فتتحـول إلى ثعبان

عظيم ويُخرج يده من جيبه فإذا هى بيضـاء من غير سوء ، ويتشاور فرعون مع قومه فى شأن موسى ، فيحكمون عليه بأنه ساحر ، والسحرة فى مصر كثير يجيـدون فنّ السحر ، فحددوا يوما لموسى يلتقى فيـه بسحرة فرعون ، وجمع فرعون السحرة من كل بلاد مـصر ووعدهم بمكافـآت سخـية إن هم هزموا موسـى ، وأقسم السحرة بعزة فـرعون إنهم لغالبـون ، وجاء اليوم الموعود وكان يومَ عيد اجتمع الناس من كل مكان ، وقال السحرة لموسى : ﴿ **إمـا أن تلقىَ وإمـا أن نكون أول من ألقى ، قـال بل ألقـوا فإذا حبـالهم وعصيهم يخيل إليـه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ طه ٦٥/٦٦ ، عند ذلك ابتهج فرعون وجنوده وعِلْيَـة القوم وايقنوا أن السحرة قد نجحـوا وانبهر الناس بما فعله سحرة فرعون ﴿ **فأوجس فى نفسه خـيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق مافى يـمينك تلقف ما صنعوا إنما صنـعوا كيد سـاحر ولا يفلح السـاحر حـيث أتى** ﴾ طـه ٦٧/٦٩ ، **فألقى** مـوسى عصـاه فابتلعت حـبالهم وعصيهم . . هنا أيقن السحرة أن مافعله موسى ليس سحرا وإنما هو معجزه من عند الله ، فخـروا ساجدين وقالـوا آمنا برب موسى وهارون ، وانقلب الموقف ضد فرعون ، فاغتاظ وقال للسحرة : ﴿ **إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذبا وأبقى** ﴾ طه ٧١ ، لم يهتم السحرة بتهديد فرعون بل قالوا له : ﴿ **لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحـياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانـا وما أكرعتنا عليـه من السحـر والله خيـر وأبقى** ﴾ طـه ٧٢/٧٣ ، ونفذ فـرعون حكمـه فى

السحـرة وصبروا فكانوا أول النهـار كفرة سـحرة وكانوا آخـر النار مؤمنين شهداء ، أما بنو إسرائيل قوم موسى فقـد اشتد أذى فرعون لهم فأخذ يقتل الأطفال ويسبى النساء ، فشكا بنو إسرائيل إلى موسى فقال لهم : ﴿ **استعينوا بالله واصبـروا إن الأرض لله يورثها من يشـاء من عبـاده والعاقـبة للمـتقين ، قـالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومـن بعد مـا جئتنا قال عـسى ربكم أن يهلك عدوكم ويسـتخلفكم فى الأرض فينظر كـيف تعملون** ﴾ لاعراف ١٢٨/١٢٩ ، فدعـا موسى على فرعون فـقال : ﴿ **ربنا إنك آتيـت فـرعـون ومـلأه زينة وأموالا فى الحـياة الدنيـا ربنا ليضلوا عن سـبيلك ربنا اطمس علـى أموالهم واشـدد على قلوبهم فـلا يؤمنوا حتـى يروا العذاب الأليم قـال قـد أجيبت دعوتكمـا** ﴾ يونس ٨٨/٨٩ ، فانتقم الله مـن فـرعون وقومـه ، قـال تعـالى : ﴿ **ولقـد أخذنا آل فـرعون بـالسنين ونقص من الثـمرات لعلهم يذكـرون** ﴾ الاعراف ١٣٠ ، ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبـروا وكانوا قوما مجرمين** ﴾ الاعراف ١٣٣ ، سلط الله عليـهم الطوفـان أو المطر الذي لا يـنقطع والجـراد الذى أهلك الزرع واجـتاح الثـمار ، والحشرات التى ملأت بيوتهم وأقضَّتْ مضاجعهم ، والضفادع التى نغصت عليهم عيـشهم فكانت تسـقط فى طعامهم وشـرابهم حتى إن الرجل إذا فـتح فاه ليـتكلم وثَبَتْ إليه ، والدم حـيث استـحال الماء إلى دم ، وقـيل سلط الله عليـهم الرعاف ـ نزيف دم من الأنـف ـ فعند ذلك طلب قـوم فرعـون من موسـى أن يدعو ربه ليكشف عنهم الـعذاب . . ﴿ **لئن كـشفت عنا الرجـز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم**

بالغوه إذا هم ينكثون ﴾ الاعراف ١٣٤/١٣٥ ، خرج موسى مع بنى إسرائيل من مصر قاصدا فلسطين ، فلما بلغوا ساحل البحر الأحمر لحق به فرعون وجنوده فخاف قوم موسى ، البحر أمامهم وفرعون وجنده وراءهم فقالوا لموسى : **﴿ إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾** الشعراء٦١/٦٣ ، فضرب موسى البحر بعصاه فانفتح فى البحر اثنا عشر طريقا بعدد أسباط بنى إسرائيل على أرض يابسة عبر منها بنو إسرائيل ، وجاء فرعون وجنوده فنزلوا وراءهم فابتلعهم البحر ، ولما أدرك فرعونَ الغرقُ قال : آمنت ، لكنه هلك ونجاه الله ببدنه ليكون عبرة لكل ظالم باغ قال تعالى : **﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴾** الآيات ٩٠/٩٢ ، هذا مصيره فى الدنيا أما بعد الموت فيقول تعالى : **﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾** غافر ٤٦ ، وتلك عقبى الظالمين . . . **﴿ فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾** الانعام ٤٥ .



من أعمالنا سلط علينا

الحمد لله يمهل ولا يهمل حتى إذا أخذ لم يفلت ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، لو يؤاخذ الناس بما كسبوا لعجّل لهم العذاب ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، هداية الله لخلقه ، ورحمته للناس أجمعين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .. فالمسلم حريص على ألا يقع فى الذنب ، فإذا حدث منه ذلك سارع بالتوبة وطهر قلبه كما يطهر ثوبه ، لأنه لا ينظر إلى صغر المعصية ولكن ينظر إلى من عصاه ، ولأنه يخاف النار وقد ورد « مسكين ابن آدم لوخاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة » ، وقد يعجل الله عقوبته فى الدنيا لعبده بمرض يصيبه أو فقد عزيز له أو كساد تجارة بسبب ما اقترفت يداه ، قال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ الشورى ٣٠ ، لكن الناس فى هذه الأيام أصابها مرض قسوة القلب ، ورسولنا ﷺ يقول فى الحديث الذى رواه الترمذى عن ابن عمر : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي » ، فصدأت القلوب ، وعميت البصائر ، وحيل بينها وبين الموعظة ، فوقع الإنسان فى حبائل الشيطان ، واستمرأ المعصية ، ونسى يوم الحساب ، لكن الله يمهل ولا يهمل : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ إبراهيم ٤٢ ، قال تعالى : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا

من دونه موئلا ﴾ الكهف ٥٨، وقال : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ النحل ٦١ ، فإذا شاع الفساد وكثرت المعاصى أنزل الله بالناس عقابه ، لأن صلاح الحياة بالطاعة وفسادها بالمعاصى قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ الروم ٤١ ، فالفساد قد ظهر فى البر يعنى الصحارى وفى البحر يعنى المدن أي فى كل مكان ، وعمَّ الظلم وكثر الفساد وخربت الضمائر وفسدت الذمم وباع الإنسان دينه بغرض دنيوى ، وفسدت العلاقات بين الأهل والجيران والأصدقاء ، وصار الناس كالذئاب المفترسة ،لا رحمة ولا مودة ولا أخوة ، فمحقت البركة ،وقل الخير وندر المعروف ، ولم ينفع معهم وعيد ولم يفد معهم تهديد ، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ الإسراء ٦٨، وأمنوا مكر الله والله يقول : ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ الأعراف ٩٧ / ٩٩، وصدق الله : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ الرعد ١١ ، فحلت بنا النكبات والمصائب وصدق رسول الله ﷺ : « ما نزل بلاء إلا بذنب » ، وقد أشار الصادق المصدوق ﷺ إلى كل ذلك فى حديثه الذى رواه ابن ماجه والبيهقى عن ابن عمر : « يا معشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة فى

قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون وظهرت الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاه أموالهم إلا مُنعوا القَطْر ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سقط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعل بأسهم بينهم » ، وقال أبو بكر فى أول خطبة له « لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء » ، ولقد تحقق ما أخبر به ﷺ فانتشار الفاحشه والمجاهرة بها أدى إلى ظهور أمراض لم تكن موجودة من قبل ، واحتار الأطباء فى علاجها ، وقد حُرِم المجاهر بالمعصية من مغفرة الله بقوله ﷺ فى الحديث المتفق عليه المروى عن أبى هريرة : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر ربه عليه » ، وطفف التجار الكيل والميزان وأصبحت الأسواق شر بقاع الأرض ، وبؤرة للفسق والاحتيال ، فوقع المحظور ، فضاقت بنا سبل الحياة ، وحل بالناس الجهد والبلاء ، وأُخذنا بالسنين ، فشحت الموارد وقلت الغلال ، وقد عاقب الله آل فرعون بالسنين قال تعالى : ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذَّكرون** ﴾ الأعراف ١٣٠ ، وعطلت المجتمعات الإسلامية فريضة الزكاة التى قاتل أبو بكر ما نعيها وقال كما رواه الجماعة عن أبى هريرة : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، وإن الزكاة حق المال والله لو منعونى عُناقا « أى أنثى المعز الصغيرة » كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها » ، فكان تعطيل هذه الفريضة سبب فى ظهور الآفات وقلة المياة ، ولولا لطف الله بالعجماوات ورحمته

بالصالحين لأحاط بنا العذاب ، فقد ورد « لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبًا »[1] ، كذلك نقض الناس عهد الله وعهد رسوله ، والله يقول ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ الأنفال ٢٧ ، فسلط علينا شرذمة من اليهود احتلت أرضا للمسلمين وعربدت وسفكت الدماء على مسمع ومرأى من المسلمين وهم عاجزون عن ردعها ، مع أنهم كثير لكنهم كغثاء السيل كما ذكر الرسول ﷺ كما أن تعطيل أحكام الشرع أدى إلى كثرة الجرائم وانتشار الذعر بين الناس ، ولو طبق على المجرمين حد الله لعاش الناس فى أمان ، روى أبو داود : « لحد يقام فى الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » ، فكانت النتيجة أن انقسم المسلمون على أنفسهم إلى فرق وأحزاب تتبادل السباب والعداوات والحروب وحمل المسلم السلاح على أخيه المسلم ، مع أن الرسول ﷺ يقول فى الحديث المتفق عليه : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، ويقول فى الحديث المتفق عليه أيضا « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قالوا يا رسول الله : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » ، ونحن نُذَكر بقوله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ الأنعام ٦٥، استفحل الداء واصبح المسلمون فى حال يرثى لها ، ولا صلاح لهم إلا بالعودة إلى دين الله وتطبيق أحكامه وتنشئة الأجيال الجديدة على مائدة الإسلام ، ومنع السموم الوافده من دول الكفر حتى يتكون جيل مسلم يحمل الراية ويعيد للإسلام أمجاده .

(١) وفى الحديث القدسى (إنى لأهم بأهل الأرض عذابا ، فإذا انظرت إلى عمار المساجد والمستغفرين بالأذكار صرفت العذاب عنهم) .

الخوف من الله ومحاسبة النفس

الحمد لله جعل الدنيا دار عـمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا يظلم مثـقال ذرة ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله حاسب نفسه وراقب ربه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد . .

الدنيا دار عمل ولا حساب والآخرة دار حساب ولا عمل ، قال تعالى : ﴿ **وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ التوبه ١٠٥ ، والمسلم وهو فى مشوار حياته عليـه دائما أن يستحضر أن الله يراه ويطلع عليه قال تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم والله بما تعـملون بصير** ﴾ الحديد ٤ ، فهو رقيب على كل عبد شهيد على عمله حيث كان وأين كان من بر أو بحـر فى ليل أو نهـار ، وكـان رسول الله ﷺ وهـو المؤيـّد بالوحى يقول : « **أنا أخوفكم لله** » رواه البخارى ، ويقول : « **والله إنى لأخشاكم لله واتقاكم له** » رواه البخارى ، وقـد ثبت فى الصحـيح أن الرسول ﷺ قال لجبـريل لما سأله عن الإحسان : « **أن تعبـد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فأنه يراك** » وقال رجل : يارسـول الله : مـا تزكـية المرء نفسـه ؟ قـال « **يعلم أن الله معه حيث كـان** » ومن صفات المؤمنين أنهم ﴿ **يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب** ﴾ الرعد ٢١ ، وخشية الله فى الدنيـا أمان يوم القيامة ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغـفرة وأجر كبير** ﴾ الملك ١٢ ، ويقول تعالى : ﴿ **وأما من خاف مـقام ربه ونهى النفس عن الهوى فـإن الجنة هى المأوى** ﴾ النازعـات ٤٠/٤١ ، ﴿ **ولمن خاف مقـام ربه جنتان** ﴾ الرحـمن ٤٦ ، وروى

البيهقى وابن حبان قـوله ﷺ : « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ومن خاف غير الله تعالى خوّفه الله من كل شىء » ، ومن وصية الرسول ﷺ لابن عـباس : « احـفـظ الله يحفـظك » رواه الترمـذى ، ورُوى عن أبى هريرة الحديثُ المتفق عليه « إن الله يغار ، وغـيرة الله تعالى أن يأتى المرء ما حرم الله » ، وقد جعل الله على كل عبد ملكين عن اليمين وعن الشمال ، فأما الذى عن اليمين فيسجل الحسنات ، وأما الذى عن اليسار فيسجل السيئات ، حتى إذا مات العبد طُويت صحيفته وجعلت فى عنقه حتى يبعثه الله تعالى ، يقول الله تعالى : ﴿ وكلَّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخـرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ الإسراء ١٣/ ١٤ وقال تعالى : ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عـتيد ﴾ ق ١٧/ ١٨ ، وقال تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ الانفطار ١٠/ ١٣ ، لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا سجلوها ، ويوم القيامة تعرض على العبد فيقال له : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ الجاثية ٢٩ ، وقـال تعـالى : « ووضع الكتاب فـترى المجرمين مشفـقين مما فيه ويقولون ياويلتـنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحـدا ﴾ الكهف ٤٩ ، وقـال تعـالى : ﴿ يوم يبعـثهم الله جميـعا فينبئـهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شـهيد .ألم تر أن الله يعلم مـا فى السـموات ومـا فى الأرض ﴾ المجادلة ٦/ ٧ ، عند ذلك لا يجـد الإنسان مفـرا ولا يستطيع هربا : ﴿ يقول الإنسـان يومئذ أين المفـر ، كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ القيامة ١٠/ ١٣ ، فلا تقبل معـذرة ولا يفيد ندم ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معـذرتهم ولهم اللعنة

ولهم سوء الدار ﴾ غافر ٥٢ ، فلا يظلم عبد مثقال ذرة قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ الأنبياء ٤٧ ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن :

« سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

عندئذ : أى فى حالة الاحتضار أو عند معاينة العذاب يتمنى الإنسان كافرا كان أو مؤمنا أن يعود إلى الدنيا ، أما الكافر فليؤمن ويتبع الرسل ، وأما المؤمن فليستزيد من البر والطاعات ، قال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ﴾ ٩٩/ ١٠٠ وقال تعالى : ﴿ وأنذرَ الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ إبراهيم ٤٤ ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذا المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ السجدة ١٢ ، ويقول الله فى المؤمنين : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ المنافقون ١٠ ، وعندما تُعرض على العبد صحائف أعماله يجحدها فيُنطق الله جوارحه ، روى أنس رضى الله عنه : كنا عند النبى جلوسا فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم . قال « من مجادلة العبد لربه . يقول : يا رب ألم تجرنى من الظلم ؟ فيقول : بلى ، فيقول : لا أجيز علىَّ إلا شاهدا من نفسى ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا

وبالكرام الكاتبين عليك شهودا ، فيختم على فيه « يقال لأركانه أنطقى فتنطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكنَّ وسحقا فعنكنَّ كنت أناضل » رواه مسلم والنسائى ، قال تعالى : ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ يس ٦٥ ، وقال : ﴿ **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء** ﴾ فصلت ١٩/٢٢ ، وقال تعالى : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ النور ٢٤ .

فيا أخى المسلم اجعل هذا اليوم دائما نصب عينيك قال تعالى : ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول ياليتنى قدمت لحياتى** ﴾ الفجر ٢٣/٢٤ ، فأنت اليوم يمكنك أن تقدم العمل الصالح وتستزيد من الحسنات وتستكثر من الطاعات ، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها ،وخالق الناس بخلق حسن » ، فحاسب نفسك قبل ان تُحاسَّب ، قال ﷺ « إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه » وقال على رضى الله عنه : « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ » ، وتحلل من مظالمك واسترض غرماءك ، فالتعامل يوم القيامة لا يكون بالدرهم والدينار ولكن بالحسنات والسيئات قال تعالى ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ الزمر ٣٠/٣١ ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » ، فالمؤمن من سرته حسناته وساءته سيئاته كما قال عمر ، وقال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، والعاقل من يعمل فى يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده ، فانتبه يا أخى المسلم ولا تكن من الغافلين حتى لا يستحوذ عليك الشيطان فتكون من حزبه ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ المجادلة ١٩ ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ الحشر ١٨ .



التـوبة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب ، وأشهد أن لا إله إلا الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله خير من استغفر وتاب ، ورجع إلى ربه وأناب ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

ابنُ آدم بشر وليس من الملائكة ، فالملائكة أجسام نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ، أما البشر فمخلوقون من طين ، فمن الطبيعى ان يخطىء الإنسان ويقع فى الذنب لكن من الخطأ ان يستمر الانسان فى طريق الرذيله ، ويستمرىء المعصية بل عليه ان يسارع بالتوبة ، وهذا ما أشار اليه حديث رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » رواه الترمذي وابن ماجه ، وجاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ومسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » ، ولذا أمر الله جميع المؤمنين بالتوبة ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ النور ٣١ ، ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ التحريم ٨ ، وقال تعالى : ﴿ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ هود ٣ ، وكان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة مع أن الله قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكان يقول :

« يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة »

رواه مسلم ، ومع عظيم منزلته عند ربه فقد أمره ربه بالاستغفار ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ محمد ١٩ ، ﴿ ولا

تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ﴾ النساء ١٠٥/١٠٦ ، وباب التوبة مفتوح ليلا ونهارا ، روى مسلم عن أبي موسى حديث : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » وقال تعالى : **﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾** النساء ١١٠، وفى الحديث القدسى :(يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم) ، وفى حديث قدسى آخر (يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ماكان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » ، فالله يتفضل على عبده بتجاوزه عن خطاياه ، قال تعالى : **﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾** الشورى ٢٥ ، وفى الحديث المتفق عليه يقول الرسول ﷺ : « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ـ الحديث » ، والله يفرح بعبده إذا تاب ورجع إلى ربه ، روى مسلم حديث « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها ـ حبلها ـ ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك « أخطأ من شدة الفرح » فمن يغفر الذنوب إلا الله ؟ قال تعالى : **﴿ والذين إذا فعلوا**

فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ﴾ آل عمران ١٣٥ .

لكن للتوبة شروط :

١) أن يقلع عن المعصية . ٢) أن يندم على فعلها .

٣) أن يعزم على ألا يعود إليها .

فإذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فيضاف شرط رابع وهو رد الحقوق لأصحابها، والتحلل مما وقع فيه من أعراضهم أو أموالهم تبرئة لذمته ، وهذه هى التوبة النصوح التى أمرنا الله بها قال الحسن « التوبة النصوح : أن تبغض الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته » ، ويقول ﷺ : « الندم توبة »[1] قال تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ النساء ١٦، ١٧ ، ويؤكد هذا ما رواه الترمذى من حديث ابن عمر « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر » . فإذا تاب العبد توبة صادقة بشروطها فإن الله يعفو عنه ويقبل توبته ويغفر له ، قال تعالى : ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** ﴾ طه ٨٢ ، وقال تعالى : ﴿ **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ الاعراف ١٥٣ .



(١) روى عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن ماجه ، وصححه الحاكم

لا تقنطوا من رحمة الله

الحمد لله غفار لمن تاب وآمن وعمـل صالحا ثم اهتدى وأشهد أن لا إله إلاّ الله غلبت رحمتُـه غضبه ، وأشـهد أن سيدنا محـمدا رسول الله كـان يتوب إلى الله فى اليـوم مـائة مرة . . اللـهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

قلت فى الخطبـة السابقة إن ابن آدم بطبـعه خطاء فـإذا صدق الله التوبة تاب عليه فـالله غفور رحيم ، واليـوم أقول : إنه نزلت على رسول الله ﷺ آية قال عنها ـ كـما روى الإمام أحمـد ـ « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » ، وقال عنها ابن مـسعود إنها أكثر آية فرحا فى القرآن الكـريم ، هذه الآيـة هى ﴿ **قل ياعـبادى الذين أسـرفـوا على أنفسـهم لا تقنطوا من رحمـة الله إن الله يغفر الذنوب جـميعـها إنه هو الغفـور الرحيم** ﴾ الزمر ٥٣ ، وكان الرسول يقـول : « إن الله يغفر الذنوب جميـعا ولا يبالى » كمـا رواه أحمـد وأبو داود والترمـذى ، وسبب نزول هذه الآية كـما رواه البخـارى عن ابن عباس أن ناسـا من أهل الشرك كانوا قـد قتلوا فأكـثروا وزنوا فأكثـروا ، فأتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا : إن الذى تقـول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة فنزل : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ لفرقان ٦٨/ ٧١، ونزل : ﴿ **قل يا عبادى الذيـن أسرفوا على أنفسهم** ﴾ ، وسبب فرح الرسول بهذه الآية أنها دعـوة لجمـيع العصاة والمذنبين إلى التـوبة والإنابة إلى الله ، وألا يقنطوا من رحمة الله، فإن الله يغفر الذنوب جمـيعا مهما كثرت وعظمت، وكانت مثل زبد البحر ، فإن رحمـة الله واسعة ، وباب التوبة مفتوح، قال

تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ النساء ١١٠ ، فكل عبد لقى الله لا يشرك به شيئا وقد تاب وأناب فهو على خير إن شاء الله ، روى الإمام أحمد أنه جاء رجل شيخ كبير يعتمد على عصا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : إن لى غدرات وفجرات فهل يُغفرُ لى ؟ فقال الرسول : ألستَ تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى وأشهد أنك رسول الله، فقال ﷺ : قد غفر لله لك غدراتك وفجراتك »، فالله يقبل التوبة حتى من المنافقين قال تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا ﴾ النساء ١٤٥/١٤٦ ، ويقبل التوبة من المُثلثين قال تعالى :﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ثم قال : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ المائدة ٧٣/٧٤، وقال فى شأن الذين ص/ فدوا عن الدين :﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾البروج ١٠، ويوجه الله نداء للكفار فيقول ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ الانفال ٣٨ ، فالاسلام يجبُّ ما قبله . وفى الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال : « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال :لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق ـ بلغ نصفه ـ أتاه

الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقبله إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - حكما - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »، وفى رواية : « فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه ان تقربى » ، وجاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى : « أن رجلا لم يعمل خيرا قط، فقال لبنيه لما حضر - أى حضرته الوفاة - أيُّ أبٍ كنت لكم ؟ قالوا : خيرَ أب : قال : فإذا مِتُّ فاحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى يوم عاصف فى البر والبحر ، فوالله لئن قدر علىَّ ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه الله أحدا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه : ثم قال : لم فعلت هذا ؟ فقال : من خشيتك وأنت أعلم . فغفر له » ، وقد قبل الرسول التوبة من وحشى قاتل عمه وأخيه من الرضاع حمزة بن عبد المطلب ، وقد كان حمزة لا يُهْزَم فى معركة ، قتل لهند زوج أبى سفيان أخوين لها وابنا فى غزوة بدر فوعدت « وحشيا » وكان يجيد رمى الحربة إن هو قتل حمزة بالعتق وأن يأخذ ماشاء من المال ، فانتهز وحشى فى غزوة أحد غفلة من حمزة وضربه بالحربة ضربة قاتلة فوقع على الأرض فهجمت عليه هند فبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكته ثم لفظته وقطعت أذنيه وأنفه فجعلت منها قلادة ، وكذلك فعلت نسوة قريش فى قتلى المسلمين ، وكانت قريش قد اصطحبت معها النساء فى غزوة أحد ليُحَمِّسْنَ الرجال على الحرب والاخذ بثأر قتلاهم فى غزوة بدر ، وبعد المعركة تفقد الرسول ﷺ القتلى فوجد عمه الحمزة قد مُثِّل به - شُوِّه - فحزن حزنا

شديدا حيث رأى منظرا أوجع قلبه ﷺ فقال : « رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصالا للرحم فعولا للخيرات ، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع وحواصل الطير ، أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين - وفى رواية بثلاثين - كمُثْلَتك » فلما رأى المسلمون حزن الرسول وغيظه لما وقع لعمه قالوا : لئن أظفرنا الله بهم لنُمَثلنَّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بقوله تعالى ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ النحل ١٢٦ ، فعفا رسول الله ونهى المثلة وكفَّر عن يمينه » الحديث رواه أبو هريرة وابن عباس بروايتين ، ومع ذلك جاء وحشى بعد فتح مكة إلى الرسول ﷺ فلم يرعه إلا قائما على رأسه يتشهد بشهادة الحق أى أن وحشيا فاجأ الرسول بالنطق بالشهادتين ، فلما رآه الرسول قال : وحشى ؟ قال : نعم يا رسول الله، فقال أقعد فخبرنى كيف قتلت حمزة ؟ فلما فرغ من حديثه ، قال له الرسول : ويحك غيِّب عنى وجهك فلا أرينك ، فكان وحشى يتحاشى أن يلقى رسول الله ﷺ حتى قُبِض عليه الصلاة والسلام . . أيها المسلمون : لا تقنطوا من رحمة الله ولا تيأسوا من روح الله ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ الزمر ٥٤ .



إن الحسنات يذهبن السيئات

الحمد لله يعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ، وأشهد أن لا إله إلا الله غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، وأشهد أن سيدَنا محمدا رسولُ الله خير من استغفر وأناب ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .. فنحن بشر لا ملائكة ، نخطيء ونصيب ، ونذنب ونتوب ، لأننا مخلوقون من طين ، والطين فيه كدرة المعصية ، ووحل الذنب ، والمعصية طبع فى الإنسان فلم ولن يوجد الإنسان المعصوم من الخطأ ، إلا من عصم ربك ، لأن كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ، والملائكة فقط هم المنزهون عن المعصية ، المترفعون عن الخطايا لأنهم مخلوقون من نور ، والنور فيه صفاء الطاعة ، وضياء الهدى ، لذلك فهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فكل مسلم معرض لأن يُلم بذنب أو يقع فى إثم ، والمسلم الصادق ، يفيق من المعصية ، ويثوب إلى رشده ويعود إلى ربه مستغفرا من ذنبه نادما على فعله ، فيشعر بحلاوة الإيمان ولذة العودة إلى ربه ، فيعود إليه صفاء قلبه ، ونقاء سريرته ، قال تعالى فى صفات المتقين الذين أعد لهم جنات عرضها السموات والأرض : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ آل عمران ١٣٥ ، أما إذا أخطأ العبد وانحرف مع تيار الخطيئة ، وانغمس فى حياة الرذيلة ، واستمرأ المعصية ، وأغراه شيطانه فتجرأ على حرمات الله ، فإن المعاصى تتراكم عليه ، فتعلو قلبه حتى يصدأ والعياذ بالله ، روى النسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت فى قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب

صقل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى ذكره الله - ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ المطففين ١٤ ، فكيف يتطهر المسلم من ذنب وقع فيه ؟ وكيف يعيد إلى قلبه صفاءه ؟ وإلى ضميره نقاءه ؟ . . الله سبحانه رحمة منه بنا ، وتكرما علينا منه فتح أبواب العودة إليه يدخل المؤمن منها فى حوزته تعالى فينتصر على شيطانه .

وأول هذه الأبواب - باب التوبة والاستغفار - قال تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ النساء ١١٠ ، وباب التوبة مفتوح فى كل وقت وحين لكل مستغفر وتائب ، روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ، فالله يفرح بتوبة عبده ، ويقول « عرف أن له ربا يغفر له فاستغفره » ، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ومسلم يقول ﷺ : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » وقد أرشدنا ربنا فى كتابه الكريم أن ندعوه بأن يتجاوز عن سيئاتنا ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، قال تعالى : ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ البقرة ٢٨٦ ، وقال ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ آل عمران ١٩٣ ، وغفران الذنوب : أى محوها أما تكفير السيئات فهو سترها . . ومن الطرق التى يطهر المسلم بها نفسه من قذر المعصية أن يُتْبِع السيئةَ بالحسنة ، روى الترمذى عن أبى ذر ومعاذَ بن جبل رضى الله عنهم أن رسولَ الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئةَ الحسنةَ

تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ، وقد جاء فى الحديث « إن الله لا يمحو السيىءَ بالسيىء ولكن يمحو السيىءَ بالحسن والخبيث لا يمحو الخبيثَ » ، فالصلاة تكفر الذنوب ، وتمحو الخطايا ، رُوى عن ابن مسعود رضى الله عنه الحديثُ المتفق عليه : أن رجلا أصاب من امرأة قُبْلَةً فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فأنزل الله : ﴿ **وأقم الصلاة طرفَىْ النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ هود ١١٤ ، فقال الرجل : أَلِىَ هذا يارسول الله ؟ قال ﷺ : « لجميع أمتى كلِّهم » ، وروى الإمام أحمد عن أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غفر له » . وروى مسلم عن أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » ، وروى مسلم أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » ، وروى أيضا عنه حديث « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » ، وجاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أيضا : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه - قذارته - شىء ؟ » قالوا . . لا - قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » فالصلاة تطهر النفسَ ، وتذهب عنها الخبثَ ،

كذلك « الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار » رواه ابن ماجه والبيهقى ، قال تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوبَ عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ ثم يقول بعد ذلك لرسوله ﷺ ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ﴾ وإن كانت الآية عامة فى معنى الزكاة إلا أن فيها ما يشير إلى أن الصدقة تطهر صاحبها بدليل أن الله يقول فى الآية بعدها : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ التوبة ١٠٢/١٠٤ ، قال ابن مسعود : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقعَ فى يد السائل ثم قرأ هذه الآيةَ ، ودعاء الآخرين لك بالخير مقبول ويكفر خطاياك ، فقد وصف الله التابعين بإحسان فقال ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الحشر ١٠، وقال رسول الله ﷺ لعمر حين استأذن فى الخروج للعمرة : « لا تنسنا من دعائك يا أخى » رواه أبو داود والترمذى ، ويطلب الله من الأبناء الدعاءَ للآباء بالرحمة ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ الإسراء ٢٤ وروى مسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة حديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ، وكذلك يغفر الله للعبد بشفاعة رسوله ﷺ روى البخارى حديث « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلَّت له شفاعتى » كذلك المصائب تكفر الذنوب ، روى أبو سعيد وأبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما يصيب المسلمَ من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا

كفر الله بهـا خطاياه » ، كذلك فإن الله يغفر لمن يشاء إذا لقـيه لا يشرك به شيئا ، قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفـر أن يشرك به ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ النساء ٤٨ ، إلا فيما يتعلق بحق العباد فلابد من المقاصة أو الاستبراء . .
فلا تيـأس أخى المسلم من رحـمة الله ﴿ **قل ياعـبادى الذين أسرفـوا على أنفسـهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغـفر الذنوب جميـعا** ﴾ الزمر ٥٣ , .
فبادر بالتوبة قبل أن يفاجئك الموت ، وطهر نفسك من الخطايا وأدِّ ما عليك من حقوق للعباد .



التوسل إلى الله يكون بصالح العمل والدعاء

الحمد لله يكشف الضُّر عن المضرورين ، ويفرج كرب المكروبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل مع العسر يسرا ، ومن الضيق مخرجا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله دعا ربه فى كربه، ولجأ إليه فى شدته ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .

قلت فى خطبة سابقة إن الإنسان فى مشوار حياته معرض لأزمة تمر به ، أو شدة يقع فيها ، وطبيعة المؤمن أنه مع الله دائما ، يذكر ربه فى رخائه فلا يتخلى عنه ربه فى شدته ، فالإنسان إذا وقع فى شدة ، وضاقت به الدنيا .. إلى من يلجأ ؟ ليس هناك ملجأ إلا إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو الذى ندعوه فى الشدائد ، ونرجوه فى النوازل : ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاءَ الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون** ﴾ النمل ٦٢ ، ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ النحل ٥٣ ، وباب الله مفتوح لكل طارق فى كل وقت وحين ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ البقرة ١٨٦ ، ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم** ﴾ غافر ٦٠ .. لكن المضطر الذى يلجأ إلى ربه يلزم أن يكونَ له ماضٍ ناصعُ البياض مرصع بالحسنات ، مزين بالصالحات حتى يكون أهلا للاجابة ويستحق الغوثَ والعون من ربه ، فقد جاء من حديث مروى عن ابن عباس : « **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تُجاهك** » ،

فإبراهيم خليل الله أنار الله بصـيرتَه ، وهداه للرشد ، لكنه عاش فـي بيئة فسدت فطرتُها حيث عبدت الأصنام ، فعاب عليهم إبراهيمُ ذلك وحقَّر من شأن أصنامهم فهى لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر فقال لهم : ﴿ **ما هذه التماثيل التى أنتم لهـا عاكفون** ﴾ الأنبياء ٥٢ ، فردوا عليه ﴿ **قالوا وجدنا آباءنا لهـا عابدين** ﴾ الأنبياء ٥٣ ، وبيَّت إبراهيم النيـةَ على تحطيم هذه الأصنام ليثبت لهم بالطريق العملـى أن هذه الأصنامَ المعبودة من دون الله لا تستطيع حماية نفسها ، فكيف تصلح أن تكون آلهة ؟ ويحطمـها ، ويعلق الفأس فى رأس الصنم الكبير ، ويأتى قـومُه فيكتشفون ما وقع لأصـنامهم ، ويعرفون أن الذى فعل ذلك هو إبراهيم فهو دائما يذكر أصنامَهم بسوء ، فيسألونه : ﴿ **أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعلـه كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقـون ، فرجعـوا إلى أنفسـهم فقالوا إنكم أنتم الظـالمون ثم نُكسوا على رؤسهم لقـد علمت ما هؤلاء ينطقـون قال افـتعبـدون من دون الله مالا ينفعكم شيـئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبـدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ الأنبياء ٦٢/٦٧ ، فلما أفحمـهم إبراهيمُ بالحجة وأعيتهم الحـيلة بعد أن عميت قلوبهم عن قبول الموعظة والاعتراف بالحق عـمدوا إلى ما يلجأ إليه القوى الجبار الذى لا حق له بإزاء المحق الضعيف ، وقرروا إحراقه ، وجمعوا له الحطبَ الكثير، حتى إن المرأة إذا مرضت نذرت إن عوفيت أن تجمع حطبا لحرق إبراهيم ، وأشعلوا النار فكان لها شرر عظيم ولهيب مرتفع لم توقد نار مثلها قط ﴿ **قالوا حرقوه وانصـروا آلهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾ الأنبياء ٦٨ ، وجاءوا بإبراهيم بعد أن أوثقوه بالحبال فرموه فى هذه النار . . إبراهيم الآن فى شدة ، القوم كلهم ضده ، لكنه لا يخاف النارَ لأنه على صلة طيبة بخالق

النار ، فيقبل على النار وهو يردد (**حسبي الله ونعم الوكيل**) كما رواه البخارى عن ابن عباس ، ويذكر بعضُ السلف أنه عرض له جبريل وهو فى الهواء ، فقال له : ألك حاجة ؟ قال إبراهيم : أمَّا إليك فلا ، وأما من الله فبلى . فماذا حدث ..؟ رُمى إبراهيم فى النار ، فقال الله للنار : ﴿ **يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم** ﴾ الأنبياء ٦٩ . فلم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه ، فالله هو الذى جعل النار محرقه وهو القادر على أن يجعلها بردا وسلاما ، فهو مالك الكون ، أمره فيه بين الكاف والنون ، يقول للشىء كن فيكون ، قال ابن عباس : لولا أن الله عز وجل قال وسلاما لأذى إبراهيمَ بردُها ، فالمسلم عندما يقع فى شدة يتوسل إلى الله بما قدم من عمل صالح ، فلا جاهه بنفعه ، ولا ماله يفيده ، ولا عبد مثله ضعيف ينقذه .

جاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغارَ ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وأن اغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون عند قدمى ، فاستيقظا فشربا غبوقَهما ، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ففرِّج عنا ما

نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، قال الآخر : اللــهم إنه كانت لى ابنةُ عم كـانت أحبّ الناس إلىَّ - وفى رواية - كنت أحبها كأشد ما يحب الرجالُ النسـاءَ ، فأردتها عن نفسها ، فامتنعت منى ، حتى ألمت بها سَنة من السنين ، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلِّى بينى وبين نفـسهـا ، ففعلتْ ،حـتى إذا قدرتُ عليـها - وفى رواية - فلما قعدتُ بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتمَ إلا بحقه ، فانصرفت عنها ، وهى أحب الناس إلىَّ ، وتركت الذهبَ الذى اعطيتها ، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافـرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غيـر أنهم لا يستطيعون الخروج منهـا . وقال الثالث : اللهم إنى استـأجرتُ أجراءَ واعطيتـهم أجرَهم غيـرَ رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمَّـرت له أجره حتى كثـرتْ منـه الأموال ، فجاءنى بعـد حين ، فقال : ياعبدَ الله أدِّ إلىَّ أجـرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك مـن الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله لا تستهزئْ بى ، فقلت لا أستهزئُ بك فاسـتاقه ، فلم يتـرك منه شيئـا ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغـاء وجهك فافرجْ عنا ما نحن فـيه ، فانفرجت الصخرة فخرجـوا يمشون » ، فهؤلاء النفر الثلاثة وقعوا فى شدة ، لم يُنجهم منها إلا ما قدموا من صالح العمل قاصـدين به وجهَ الله ، فـالأول كان بارا بأبويه ، والثـانى خاف ربه وعف فرجه ، والثالث حفظ للأجير حـقه ونماه له ، فتقبل الله منهم هذه الأعمال الخالصـة ، ونجاهم من شـدتهم و كربهم مـع ما يدخر لهـم فى الآخرة ، ولكى يكون العمل مـقبولا عند الله لابد أن يصدر من مـؤمن أما الكافر إذا قدم عـملا صالحا نفـعه فى دنياه فقـط فينال شهرةً واسـعة أو يكون له ثروة

طائلة ، أما فى الآخرة فلا يفيده ما قدم ، قال تعالى : ﴿ **وقَدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ﴾ الفرقان ٢٣ . وقال : ﴿ **ولَقد أُوحيَ اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركتَ ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ الزمر ٦٥ ، كذلك فإن العملَ الصالحَ ينفع الذريةَ كما حدث فى قصة موسى مع الخضر حين دخلا قريةً فوجدا جدارا يكاد يسقط فأقامه الخضر فاعترض موسى لأن أهلَ القرية لم يطعموهما وطلب من الخضر أن يأخذ أجره . . ويوضح الخضرُ لموسى الموقفَ كما جاء فى سورة الكهف ﴿ **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى** ﴾ الكهف ٨٢ ، فصلاح الأب حفظ الكنز لولديه . . فالعمل الصالح ينفع صاحبه وينفع ذريته .

فيا أخى المسلم قدِّم لنفسك صالحَ العمل ينفعْك فى الدنيا والآخره ، ولا تضيعْ عمرَك فيما لا يفيد ، الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال تعالى : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ البقرة ١٤٨ ، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .



الإنسان بين الخير والشر

الحمد لله بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله فوض أمّره لربه يتصرف كيف يشاء ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد

الدنيا فيها الخير وفيها الشر ، والإنسان حريص دائما على أن يجلب لنفسه الخير ويدفع عنها الشر ، لكنه يخطيء فى تفسيره لمعنى الخير والشر ، فالخير فى نظره كل ما يجلب له نفعا دنيويا والشر كل ما يحرمه من نفع دنيوى ، وعلى هذا المنهج انطلق فى الحياة مسعورا يسعى وراء كل شيء ظنه خيرا ، وقد يكون فى الحقيقة شرا فمثلا : ترى الأب يهتم بابنه من حيث المأكل والمشرب والملبس وكذا التعليم ، فيحضر له أيضا المدرسين ويلحقه بأرقى المدارس ، ويشترى له ما يحتاج له من كتب ومراجع وأدوات طمعا في ان يتخرج طبيبا أو مهندسا ، يهتم الأب بكل هذا ولا يهمه أن يعرف ابنُه عن دينه شيئا كالصلاة والأخلاق ، وقد يجلس إنسان فى محل عمله ويسمع المؤذنَ ينادى للصلاة فلا يتحرك من مكانه ويؤثر نفعا دنيويا على خير يبقى . وقد يقوم الإنسان من نومه فجرا لسفر أو لقضاء عمل أو لموعد ، لكنه لا يقوم فى هذا الوقت لصلاة الفجر مثلا ... ويصور له فهمه العليل أن الله إذا وسع على عبد رِزقَه فمعناه آن الله راضٍ عنه ، وإذا ضيق على آخر رزقه فمعناه أن الله غاضب عليه .. وهذا غير صحيح بدليل أن هناك دولا كافرةً يتمتع أفرادُها بدخل مرتفع ، بينما هناك دول إسلامية

تعيش علـى الكفاف وقد لا تجـده ، فهل معنـى ذلك أن الله قد رضى عن هذه الدول الكافـرة وسخط على هذه الدول المؤمنة ؟ ونجـد على مسـتوى الافراد فى المجتمع الإسلامى رجلا يأكل أموالَ الناس بالباطل ويعيش على المال الحرام الذى يكثر بيده ، بينما نرى رجلا آخر يلتزم بشرع الله ويحافظ على فرائضه ويتحرى المالَ الحـلال ، ومع ذلك يعيش على الكفاف . فهل معنى ذلك أن الله قـد رضى عن هذا الرجل الذى مد يده للمـال الحرام ، وغضب على ذلك الذى التزم بمنهج الله ؟ بالطبع ..لا .. فليس سعة الرزق دليلا على الرضا ، وليس ضـيق الرزق علامةً على الغـضب .. والقرآن الكريم يحسم هذه القضيـة حيث يقول رب العزة : ﴿ **فأما الإنسـان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن ..**﴾ الآيات من سورة الفجر ١٥ ـ ٢٠ ، فالغنى والفقر كلاهما اختبـار وابتلاء من الله ، قال تعالى :﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ الانبياء ٣٥ ، والآيات تبين أن الخير الحقيـقى فى إكرام اليتيم والحض على اطعام المسكين ، وحفظ حق الورثة فلا يطمع فيهم ، واعتبار المال وسيلةً لا غاية فيُجـمع من حلال ويُنفق فى حلال ، ولا يكون الإنسان عبدا لما له ، يقـضى حياته فى جمعه واكتنازه دون اعـتبار من وازع دينى أو خلقى .. وقد يفرح الأنسان لشىء حسبه خيرا وهو فى الحقيقة شر خطير ، وقد يجزع من شىء حسبه شرا وهو فى الحقـيقة خير عظيم ، قال تعالى : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئـا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شـيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ البقرة ٢١٦ ، ويقول تعالى : ﴿ **فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيـه خيرا كثيرا** ﴾ النسـاء ١٩ ، بل قد يلح الإنـسـان فى طلب شىء بحسبه خيرا ، وهو فى الحقيقة شر ، قال تعالى : ﴿ **ويدعو الإنسان**

بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ الإسراء ١١ ، فالأب والأم قد يفرحان إذا رزقهما الله ولدا . . لكن ما يدريك أن هذا الولد حين يكبر سيكون عاقا لوالديه ، ينالهما أذاه ، أو قد يقتلهما أو يقتل أحدهما . . فأين الخير إذَن ؟ وفى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما جاء فى سورة الكهف أن الخضر قتل غلاما فاستنكر موسى ذلك وقال له : ﴿ **اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا** ﴾ ثم تبين الحقيقة فى قوله تعالى على لسان الخضر ﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلَهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما** ﴾ والإنسان الفقير قد يتمنى أن يكون ذا مال وثروة . . وما يدريك أيضا أن الغنى قد يحوله إلى إنسان طاغية ظالم ، قال تعالى : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى** ﴾ العلق ٦/٧ ، فهناك نوع من الناس الفقر علاج لهم ، وصدق الله ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾ الشورى ٢٧ ، وفى الحديث القدسى (إن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه) وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ التوبة ٧٥/٧٧ أنها نزلت فى ثعلبة وكان صحابيا يشهد مع رسول الله ﷺ الجماعاتِ والجمعةَ ومجالسَ العلم ، وقد طلب من الرسول ﷺ أن يدعوَ له بأن يكون غنيا ، ويستجيب الله لرسوله ويصبح ثعلبةُ من الأغنياء ، فينقطع عن حضور الصلوات ومجالس العلم والجمعة ثم يصل الأمر به إلى منع الزكاة فيحكم الله عليه بالنفاق المهلك ، وكذلك قارون طغى بسبب ما أتاه الله من مال فكانت العاقبة كما قال تعالى :

﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ القصص ٨١ ، وقد يسعى الإنسانُ لرياسة أو منصب ظنا منه أن فى هذا الخيرَ . . فماذا يحدث ؟ قد يستغل هذا الإنسان منصبه فى ظلم الناس وإيذائهم ، فيكون منصبه طريقَه إلى الهلاك والنار . . ولقد طغى فرعون حين نادى فى قومه : ﴿ أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ الزخرف ٥١ ، فجعله الله عبرةً لكل طاغية ، قال تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ الزخرف ٥٥/٥٦ .

فالخير الحقيقى هو ما يقربك إلى الله ويحقق لك السعادة فى أخراك ، والفلاح الحقيقى والعز الدائم يكون بطاعة الله ، قال تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ يونس ٥٨ ، فما عند الله هو الأفضل ﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ الشورى ٣٦ ، والمتعة الحقيقية فى دار النعيم المقيم الخالد : ﴿ وإن الدارَ الآخرةَ لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ العنكبوت ٦٤ .

واذا أردت أن تريح نفسك فسلِّم قيادَك لربك ، واترك أمرك لمولاك ، ولسان حالك يردد « اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضتك ناصيتى بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك » رواه أحمد وابن حبان ، والخير فيما اختاره الله لك قال تعالى : ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ القصص ٦٨ ، واعلم أن ما أصابك فى ماضى حياتك وما سيصيبك فى مستقبل عمرك مكتوب فلا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت ، قال تعالى : ﴿ ما أصاب

من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ الحديد ٢٢/ ٢٣ ، وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لا تخش من ذى سلطان فسلطانى لا ينفد ، يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق فخزائنى ملأى ، يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، يا ابن آدم إن رضيت بما قسمتُ لك أرحتَ قلبَك وبدنَك وكنتَ عندى محمودا ، وإن لم ترض بما قسمت لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما » .



تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة

الحمد لله بيده النفع والضر ، وإليه المرجع والمآب ، وأشهد أن لا إله إلا الله إليه يُلجَا فى الشدائد، ومنه يُطلب العونُ فى الملمات ، وأشهد أن سيدَنا محمدا رسول الله كان مع الله فى سرائه وضرائه فكان الله معه فى جميع أحواله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه .. وبعد .

الإنسان يعرف ما حدث له فى الماضى، ويعرف ما يحدث له فى الحاضر ، لكنه يجهل ما سيقع له فى المستقبل ، فالمستقبل بيد الله لا يعلمه إلا هو ، قال تعالى : ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ لقمان ٣٤ .

ويقول الشاعر :

وأعلم علمَ اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم مافى غدٍ عم

والإنسان دائما يتخوف من المستقبل ، ويخشى ما يقع فيه ، فطالما يعيش الإنسان فى هذه الدنيا فهو معرض للأغيار معرض للغنى والفقر ، للصحة والمرض ، للشدة والرخاء .. فلا يضمن إنسان أن يعيش حياتَه خالية من المواقف الصعبة او الظروف العصيبة التى يتعرض لها أى إنسان ، لأن بقاء الحال من المحال ، وقد قيل :

ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

فكيف يطمئن المسلم إلى غده ومستقبله ؟ أو كيف يمكن له أن

يعيش أيامه فى الدنيا فى أمن نفسى ورضا واطمئنان ؟ الجواب : كن على صلة طيبة ودائمة بالله ، كن مع الله فى رخائك يكن معك فى شدتك ، لا تنس الله وأنت غنى ، فلن يتخلى عنك وأنت فقير ، كن مع الله وأنت صحيح فسيكون بجانبك وأنت مريض ، كن مع الله وأنت فى يسر فستجد الله معك فى عسرك[1]، قال تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ الطلاق ٣/٢ ، روى الإمام أحمد أن أبا ذر قال :جعل رسول الله ﷺ يتلو علىَّ هذه الآية ﴿ **ومن يتق الله ..** ﴾ حتى فرغ منها ثم قال : يا أبا ذر : « لو أن الناس كلَّهم أخذوا بها كفتهم » ، وروى الترمذى من حديث لابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال : « **أحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك** » وفى رواية غير الترمذى « **احفظ الله تجده أمامك ، تعرفْ إلى الله فى الرخاء يعرفْك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصرَ مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا** » ، ويقول تعالى : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ النحل ١٢٨ ، وهذه معية خاصة يكون الله مع المتقين المحسنين يعينهم بنصره وتأييده ، ويمدهم بالأمن والرضا ، فمعية الله ضمان من الهلع والخوف ، وتثبيت للمسلم عند الشدائد ، حيث ينفذُ قضاءُ الله ، وتقع مشيئتُه ، لكنه قضاء فيه لطف ، فمن الدعاء المأثور « اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيه » ، فيكون الله مع المؤمن فى شدته يخفف عنه المصيبة ، ويصبره عليها ، ويجعلها تمر عليه بردا وسلاما ، دون ان يهتز إيمانه أو يضعف يقينه .. وما ذلك إلا لأن المؤمن كان مع الله فى رخائه ويسره ،

(١) وفى الحديث القدسى أن الله قال يا موسى : (كن للعسير كنزا ، وللضعيف حصنا ، وللمستجير غيثا ، أكن لك فى الشدة صاحبا ، وفى الوحدة أنيسا ، أكلؤك فى ليلك ونهارك) .

فكان الله معه فى شدته وعسره . . .

أما الجاحد فهو على العكس ، طالما يعيش فى رخاء ويسر لا يذكر ربه ، لأن شيطانه سيطر عليه قال تعالى : ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ المجادلة ١٩ ، فإذا وقع فى شدة تذكر أن له ربا فيلجأ إليه ويدعوه فإذا زالت الغمة وانفرجت الكربة نسى ما كان يدعو إليه من قبل . . تجد مجموعةً من الناس يركبون طائرةً أو سفينةً ، وقد انغمسوا فى ملذاتهم ، يشربون الخمر ويأتون المنكر وفجأة تقع شدة ، فتتعرض الطائرة أو السفينة للخطر ، ويفيق هؤلاء السكارى ، ويحسون بالخطر المحدق بهم فيهبون مفزوعين ، يرفعون أكفهم ، يدعون ربهم - ورائحة الخمر تفوح من أفواههم أن يفرج عنهم كربتهم ، ويستجيب لهم ربك اللطيف الرحيم ، الذى يجيب المضطر إذا دعاه ، وتزول العاصفة ، ويهدأ البحر ، وتستقر الأمواج ويزول الخطر ، وعندما يشعرون بالأمان يعودون لما كانوا فيه من لهو وعبث ، يصور القرآن الكريم ذلك فيقول : ﴿ **وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه . فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا . أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا ، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** ﴾ الإسراء ٦٧/٦٩ ، ويقول تعالى : ﴿ **هو الذى يسيِّركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن**

من الشاكرين ، فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاعَ الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يونس ٢٢/٢٣ . . وسأذكر مثالين . . أولهما لمؤمن ذكر ربه فكان معه فى شدته ، وثانيهما لجاحد نسى ربه فهلك .

المثال الأول : يوسف عليه السلام ، دعته امرأة العزيز إلى الفاحشة ، وكل الظروف المحيطة بيوسف تساعد على ارتكاب الفاحشة ، فيوسف فى سن الشباب ، وهو يعمل فى بيت العزيز حاكم مصر ، فوجوده فى بيته ليس فيه ما يدعو للشك أو الريبة ، ويوسف مطلوب لا طالب ومن التى تطلبه ؟ إنها سيدته هى التى تدعوه وقد هيأت نفسها له ، بأن عرضت عليه مفاتنَها وجمالَها ثم قامت بإغلاق جميع الأبواب . . لكن ماذا حدث ؟ تذكَّر ربَّه ، ورعى حرمة صاحب البيت ، قال تعالى : ﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ﴾ يوسف ٢٣/٢٤ ، وينفذ قضاء الله حيث يلبث فى السجن بضع سنين ، لكن الفرج يأتيه من عند ربك وهو فى أوج شدته ، فيخرج من السجن معززا مكرما ليكون وزيرا على خزائن مصر ، وسرعان ما يتحول من سجين إلى وزير ، ويصر يوسف على أن يثبت براءتَه ، وتأتى المرأة ، وتعترف بأنها هى التى طلبت منه الفاحشة لكنه أبى ، قال تعالى : ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾ يوسف ٥١/٥٢ .

المثال الثانى : فرعون ، طغى وتكبر وأكثر فى الأرض الفساد ،

بل لقد ادعى الألوهية ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ النازعات ٢٤، وقال :﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾ القصص ٣٨، وقال لموسى ﴿ **لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ الشعراء ٢٩ ، يقول الله عن فرعون :﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ القصص ٤ ،وتأتى ساعة الانتقام فيخرج موسى مع قومه قاصدين سيناء يعبرون إليها البحر الأحمر ، فيخرج فرعون وجنده فى أثرهم قاصدا اللحاقَ بهم للفتك بهم ، ويشعر بنو إسرائيل بما هم فيه من خطر فالبحر أمامهم والعدو خلفهم فيقولون لموسى : ﴿ **إنا لمدرَكون** ﴾ الشعراء ٦١، فيرد عليهم موسى ﴿ **كلا إن معىَ ربى سيهدين** ﴾الشعراء ٦٢ ، ويأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه :﴿ **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ الشعراء ٦٣، وتتحول مياه البحر إلى طرق يابسه يعبر عليها موسى وقومه فى أمان ، ويأتى فرعون مع جنده بغروره وخيلائه ، فينزل وراء بنى إسرائيل البحر ، فتهيج أمواجه وينطبق عليه وعندئذ ـ أى عندما وقع فى شدة ـ يذكر أن له ربا فيعلن إيمانَه ، لكنه إيمان مردود مزيف ، لقد ندم فرعون حيث لا ينفع الندم وآمن عند الغرق . . فنجاه الله . . نعم نجاه ببدنه حيث ألقته أمواج البحر على الشاطىء جيفة عفنة نتنة ليكون عبرة لكل ظالم ، وتذكرة لكل طاغية . . قال تعالى : ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلان وقد عصيت قبل وكنتَ من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا**

من الناس عن آياتنا لغـافلون ﴾ يونس ٩٠/ ٩٢ . . وهكذا شأن الـظالمين ، قال تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قـالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا بـه مشركين ، فلم يك ينفعـهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عبـاده وخسر هنالك الكافرون ﴾ غافر ٨٤/ ٨٥ .

أخى المسلم . . لن ينجيَك من شدتك إلا ربك ، فكن معه يكن معك ، ومن كان الله معه فكيف يخاف أو يحزن ؟ قال تعالى :﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ التوبة ٤٠ ، وروى ابن عباس أن رسـول الله ﷺ قال : « من لزم الاستغفارَ جعل الله له من كل همٍّ فـرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحـتسب » رواه ابو داود والنسائى وابن ماجـه ، وروى مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « المؤمن القـوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفـى كل خير ، أحرص على ما ينفـعك ، واستعن بالله ولا تعـجـزه وإن أصابك شيء فـلا تقل لو أنى فعلـت كذا كـان كذا وكـذا ، ولكـن قل : قدَّر الله ومـا شـاء فـعـل ، فـإن لو تفتـح عـمل الشيطـان » .

اللهم كن مـعنا فى كل ازمـة ، وكن بجـانبنا فى كل شـدة ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا نسـألك رد القضاء ، بل نسألك اللطف فيه .



السعادة الحقيقية فى نظر الإسلام

الحمد لله جعل السعادة فى طاعته ، والعز فى رضاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل المال والبنين من زينة الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أرسله الله للناس ليرشدهم إلى الخير ، ويرسم لهم معالم الحياة الطيبة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد .. فما معنى السعادة ؟ قد يرى بعض الناس السعادة فى المال الوفير ، أو فى الأولاد الذين يشدون أزر أبيهم ويكونون عونا له ويخلدون ذكره بعد موته ، وقد يراها بعضهم فى الصحة وسلامة الحواس ، ويراها الآخرون فى المنصب المرموق والجاه العريض .. فهل حقيقةً هذه الأشياء تسبب السعادة ؟ الجواب : إنها قد تكون سببا للسعادة ، وقد تكون سببا فى التعاسة ، فالمال مثلا - لا ينكر أحد أنه عصب الحياة ومن زينة الحياة الدنيا ، وبريقه يغرى ، لذا تكالبت الناس على جمعه بأى وسيلة ولا يقنعون بالقليل ، بل أصبحوا عبيدا للمال ، روى البخارى من حديث لأبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « تعس عبد الدينار والدرهم .. الحديث » لكن : هل المال دائما سبب للسعادة ؟ قد يكون سببا للسعادة إذا وقع فى يد عبد صالح لا يطغيه ويعرف حق الله فيه ، ولذا يقول ﷺ : « نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح » ، وقد يكون المال سببا فى تعاسة صاحبة إذا لم يرع الله فيه وطغى وبطر وتكبر على أهله وإخوانه كما قال تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ العلق ٦/٧ ،وصدق الله ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى

الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ الشورى ٢٧ .

وقد حكى القرآن الكريم بعضً من كان المال سببا فى هلاكهم مثل قارون وثعلبة ، فليس المال دائما سببا للسعادة ، فقد أجريت إحصائية عالمية لمعرفة أعلى دخل للفرد فى العالم فوجدوا أن الفرد فى دولة السويد يحصل على أعلى دخل ، وفى الوقت نفسه وجدوا فى السويد أعلى نسبة فى الانتحار ، وكم سمعنا عن مليونيرات انتحروا وخلفوا وراءهم ثروة طائلة لم تحقق لهم ماكانوا يحلمون به من سعادة ، وصدق الله : **﴿ وما يغنى عنه ماله إذا تردى ﴾** الليل ١١ ، هذا بالنسبة للمال . . أما البنون فهم مطلب كل أب ، بهم يشد الأزر وتقر العين وهم من زينة الحياة الدنيا ، ومن دعوات عباد الرحمن : **﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾** الفرقان ٧٤ ، ودعا ذكريا ربه فقال : **﴿ رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ﴾** الأنبياء ٨٩ ، وقد امتن الله على عباده بالبنين فقال : **﴿ والله جعل لكم من أنفسكم ازواجا وجعل لكم ن أواجكم بنين وحفدة ﴾** النحل ٧٢ ، لكن هل الأولاد دائما مصدر للسعادة ؟ إذا نشأوا فى بيئة دينية وأراد الله بهم الخير فهم مصدر سعادة لآبائهم فى الدنيا والآخرة ، وإذا ربوا على الفساد ونشأوا على الإجرام جلبوا على آبائهم الشقاء وسببوا لهم التعاسة ، بل قد يكون الأبناء سببا فى طغيان أبيهم وظلمه وكفره ، وفى قصة الخضر مع موسى أن الخضر قتل غلاما لأن الله أعلمه أن هذا الغلام سيكون سببا فى كفر أبويه : **﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ﴾** الكهف ٨٠/٨١ ، ولذا جعل الله المال والأولاد

فتنة فقال : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ الأنفال ٢٨ ، ومعنى فتنة أى اختبار ، فقد يكونان سببا فى السعادة وقد يكونان سببا فى الشقاوة فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ التوبة ٥٥ ، وقال : ﴿ لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ المجادلة ١٧ ، وقال : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ﴾ الممتحنة ٣، وقال : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ الشعراء ٨٨/٨٩ ، فإذا انتقلنا إلى الحديث عن الصحة ، فلا شك أن صحة البدن وسلامة الحواس نعمة عظيمة ، وسعادة غامرة ، لكن قد يستغل الإنسانُ صحتَه فى ظلم الناس والبغى عليهم فتكون سببا فى هلاكه وشقائه ، كذلك المنصب والجاه والشهرة كل هذه جالبة للسعادة لكنها فى الوقت نفسه مسئوليات ، إن قصر الإنسان فيها أو فرط كانت وبالا عليه ، فكل مسلم مسئول عما استرعاه الله ، وسيسأل بينَ يدَى الله سبحانه ، يقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه الذى رواه ابن عمر : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. الحديث » إذن .. فما ذكرت من المال والأولاد والصحة والجاة قد تكون عواملَ للسعادة وقد تكون عواملَ للشقاء لكن السعادة الحقيقية تتمثل فى الالتزام بمنهج الله والرضا بقضاء الله والقناعة بعطاء الله ، وتقوى الله هى خير زاد قال تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾ البقرة ١٦٧ ، ولن تتحقق التقوى إلا بالإيمان ، وبالإيمان يتحقق الأمان وراحة البال ، قال ﷺ : « من أصبح

منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى وابن ماجه والبخارى فى الأدب المفرد ، أى كأنما أعطى الدنيا بأسرها . . ويقول الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقىَّ هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد

وقال آخر :

وإن امرؤ أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد

وكان من دعائه ﷺ : « اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » ، ومن متع الحياة الزوجةُ الصالحة ، روى مسلم من حديث لعبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة التى إذا نظرت إليها سرتك و وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا أقسمت عليها أبرتك ، وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » .

وفى القرآن الكريم آيات تصور الحياة الطيبه وآيات تصور الحياة الضنك . . وذلك موضوع الخطبة التالية .



الحياة الطيبة والمعيشة الضنك كما رسمها القرآن

الحمد لله القائل : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾ الأعراف ٢٨ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين والاستخلاف فى الأرض ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله هدانا إلى الخير ودعانا إلى الرشاد ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . فى الخطبة السابقة ذكرت أن بعض الناس يرون أن السعادة فى المال الوفير وفى الصحة والأولاد والجاه ، ورددت على هؤلاء بأن السعادة الحقيقية تكون فى طاعة الله وتقواه والرضا والقناعة : واليوم أكمل ما بدأت . . فأتكلم عن الحياة الطيبة والمعيشة الضنك كما صورهما القرآن الكريم ، فقد وردت آيات تتحدث عن الحياة الطيبة وآيات أخرى تصور المعيشةَ الضنك . . إذن . . فما مفهوم الحياة الطيبة ؟ وما المقصود بالمعيشة الضنك من وجهة نظر الإسلام ؟ قال تعالى: ﴿ من عمل صالحا من ذكراً وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾ النحل ٩٧ ، فالحياة الطيبة تقوم على الإيمان بالله والعمل الصالح ، فالمؤمن الصالح وعده الله بالحياة الطيبة ، والحياة الطيبة هى القناعة بالرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال فى الدنيا ، أما فى الآخرة فيكون بأحسن الجزاء ويقول تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ النور ٥٥ ، وهذه الآية تصور المجتمع المدنى

فى أول نشـأته ، حيـث كان المسلمـون فى المدينة يعـيـشون فى خـوف لا يتركون السلاح ، لأن كل عرب الجـزيرة كفار يتربصون بالمسلمين ، فنزلت هذه الآية تطمـئنهم ، وتبين لهم أنهم على الحق ، وأن المسـتقـبل لهم ، وأنهم سيـملكون الأرض وسينشـرون دينهم ، وسيُـبَدِّلُ خوفُـهم أمنا قـال تعالى : **﴿ الذين أمنوا ولـم يلبسـوا إيمانهم بظلم اؤلئـك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** الأنعام ٨٢ ، وهو وعد عام يـتحقق فى كل مجتـمع فى أى زمان وفى أى مكان طالما التزم بمـنهج الله ، فجمع بين الإيمان والعـمل الصالح قال تعـالى : **﴿ ولينصـرن الله من ينصـره إن الله لقـوى عـزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقـاموا الصلاة وآتوا الزكـاة وأمروا بالمعـروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾** الحج ٤٠/٤١ ، فتأييد الله لمن يسـتحقه ، وهم الذين إن جعل الله لهم سلطانـا وتملكا عبدوا الله ، وحـافظوا على الصلاة وأدوا الزكاة ، ودعوا إلى الخـير ، ونهوا عن الشر ، فـاتباع منهج الله هداية فى الدنيا وسـعادة فى الآخرة قـال تعالى : **﴿ فـمن اتبع هداى فـلا يضل ولا يشقى ﴾** ، أى لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم يقول **﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكـا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقـد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيـتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسـرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾** طه ١٢٣/١٢٧ ، فالمُعْـرِض عن ذكر الله الذى خـالف شرعَ الله واتبع هواه له فى الدنيا مـعيشـة ضنك أى أنه يعيش فى قلق ، فـلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصـدره ، بل هو فى ضيق وتبرم ، وإن كثـر عياله وزاد ماله وزاع صيـتـه ، وانتشر خبـره وعلا منصبـه ، أما يوم القـيامة فيـحشر

أعمى ، فيقول : يارب قد كنت بصيرا فى الدنيا ، فيقول الله له ، لقد عميت عن الحق فى الدنيا ، واليوم : الجزاء من جنس العمل ، وصدق الله : ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ الإسراء ٧٢ ، وقال : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ﴾ الإسراء ٩٧ .. وقد يعجل الله لهذا الصنف من الناس طيباتهم فى الحياة الدنيا أما فى الآخرة فلهم العذاب ، يقول تعالى : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ الأحقاف ٢٠ ، وقال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ لقمان ٢٤ ، روى مسلم من حديث لأنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ - يغمس - فى النار صبغة ، ثم يقال له : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ؟ هل مرَّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم : هل رأيت بؤسًا قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط » ، وليس إنعام الله على المخالفين لمنهج الله دليلا على حب الله أو رضاه عنهم ، بل هو استدراج ، قال تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ﴾ المؤمنون ٥٥/٥٦ ، لقد توهموا لغفلتهم أن كثرة أموالهم وأولادهم تمنع عنهم عذاب الله : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل إن ربى يبسط

الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ سبأ ٣٥/٣٧ ، ويوم القيامة لن تنفعَهم أموالُهم ولا أولادُهم قال تعالى : ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ التوبة ٨٥ ، وقال تعالى : ﴿ لن تغنىَ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ المجادلة ١٧ ، روى ابن مسعود حديث : « إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب » ، فهناك دول يتمتع أفرادها بأعلى دخل فى العالم كالسويد ومع ذلك توجد فيها أعلى نسبة للانتحار . وليس الدافع للانتحار الفقر بدليل ما يعيشون فيه من بذخ لكنه فقر من نوع آخر إنه فقر فى الإيمان وإذا خلا القلب من الإيمان فلا أمان ، ولكن خوف وفزع ، وقلق وضياع وتلك هى المعيشة الضنك التى أشار إليها القرآن الكريم ٪. وصدق الله : ﴿ فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضيه وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هى نار حامية ﴾ القارعة ٦/١١ .



أولياء الله الصالحون

الحمد لله ولى الذين آمنوا والكافرون لامولى لهم ، وأشهد أن لا إله إلا الله أكرم أولياءه الصالحين فى الدنيا والآخرة ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام الصالحين وقائد الغر المحجلين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فقد جعل الله الناس فريقين كافرين ومؤمنين ، والمؤمنون أنواع قال تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ فاطر ٣٢ ، فالمؤمنون - إن شاء الله - كلهم على خير ، لكن هناك طائفة من المؤمنين سماهم القرآن أولياءَ الله ووصفهم بصفتين :

١) الإيمان **٢) والتقوى**

فكل من كان تقيا كان لله وليا ، قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين امنوا وكانوا يتقون** ﴾ يونس ٦٢/٦٤ ، وكل إنسان يستطيع أن يكون لله وليا إذا كان مؤمنا تقيا ، ولا تحتاج الولاية إلى نسب يصل بالإنسان إلى رسول الله ﷺ فالرسول يقول لفاطمة « أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لكم من الله شيئا » رواه مسلم عن أبى هريرة ومعنى الإيمان التصديق بالله و بصفاته وأسمائه وبرسله وبكتبه وملائكته وباليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار وبالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره ، أما التقوى فهى (أن يطاع الله فلا يعصى ، وأن يذكر

فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر) ، رواه الحاكم عن ابن مسعود عن الرسول ﷺ فمن ألتزم بذلك مخلصا لله فهو ولى لله ، ولا تقبل الولاية من عبد حاد عن شرع الله حتى ولو طارفى الهواء ومشى على سطح الماء ، فهو حينئذ شيطان طالما لم يلتزم بمنهج الله ، روى أبو داود وابن جرير عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله » قالوا : أخبرنا من هم ؟ وما أعمالهم ؟ فلعلنا نحبهم . قال : « هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وروى البزار عن ابن عباس أن رجلا قال يا رسول الله مَن أولياء الله ؟ قال « الذين إذا رُءوا ذُكِر الله » لقد أسبغ الله على أوليائه لباسَ الأمن والناس من حولهم فى فزع شديد قال تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ الأنبياء ١٠٣ ، وقوله تعالى : ﴿ يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ الحديد ١٢ ، فأولياء الله لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أهوال الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم فى الدنيا ، ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وهى الرؤيا الصالحة يراها الولى أو ترى له ، والرؤيا الصالحة كما جاء فى الحديث - جزء من تسعة و أربعين جزءا من النبوة ، أما بشراهم فى الآخرة فهى الجنة ، قال أبو الدرداء سُئل رسولُ الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ لهم البشرى

في الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ فقال : « هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرى له بشراه فى الحياة الدنيا ، وبشراه فى الآخرة الجنة » : أى تبشرهم الملائكة عند الاحتضار بالجنة والمغفرة قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم أستقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ـ الآيات ﴾ فصلت ٣٠/٣١ ، روى الأمام أحمد : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال الصحابه : كلنا نكره الموت قال ﷺ : « ليس ذلك كراهيةَ الموت ، ولكن المؤمن إذا حضرته الوفاة جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه ، فليس شئ أحبَّ إليه من أن يكون قد لقى الله تعالى فأحب الله لقاءه ، وأما الكافر الفاجر جاءه بما هو صائر إليه من الشر كره ما يلقى من الشر فكره الله لقاءه » و لهؤلاء الأولياء كرامات يجريها الله على أيديهم للدلاله على قدرة الله ونفاذ مشيئته ، فيرى الولى مالا يرى غيره وقد يكون مجاب الدعوة ، وقد يكون مكشوفا عنه الحجاب ، والله يثأر لأوليائه ممن ظلمهم ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله قال : إن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلى مما أفترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه » ، وورد : « من عاد لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، وانى لأثار لأوليائى كما يثأر الليث المجرد ». وعلى امتداد التاريخ وقعت كرامات للأولياء ، منها ما حدث لمريم وكانت طفلة ، تعيش فى كفالة زوج أختها زكريا عليه السلام ، وكانت فى مكان منعزل

لا يصل إليه أحد إلا زكريا ، وكان كلما دخل عليها وجد عندها رزقا ـ فاكهة الشتاء فى زمن الصيف وفاكهة الصيف فى زمان الشتاء ، فسألها من أين هذا ؟ قالت هو من عند الله ، فدعا زكريا ربه أن يرزقه ولدا وكان طاعنا فى السن وكانت زوجته عجوزا عاقرا فرزقه الله بيحيى ، قال تعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ..الآيات﴾ آل عمران ٣٧ . ومنها ما روى عن أبى هريرة فى الحديث المتفق عليه من أن «جريجا» وكان عابدا من بنى إسرائيل جاءته أمه يوما فنادته وكان يصلى فلم يجبها فدعت عليه ألا يموت حتى يرى المومسات ، فجاءته امراة عاهره ، وقالت لأفتننه ، فتعرضت له فأبى فأتت راعيا فمكنته من نفسها فحملت وولدت غلاما وقالت هو من «جريج» فأتاه الناس فهدموا صومعته وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلامَ : فقال من أبوك يا غلام ؟ فأنطقه الله فقال : أبى الراعى ، فقالوا : نبنى له صومعته من ذهب قال : ولكن من طين ، ومنها أيضا ما حدث مع أم أيمن حين هاجرت من مكة إلى المدينة وكانت صائمة وعند موعد الأفطار تدلّى إلى فمها سقاء به ماء فارتوت منه ، وأيضا عندما بعث عمر بن الخطاب سارية قائد الجيش إلى فارس فأحاط به العدو وكان وراءه جبل ، وقد كشف الله لعمر حال الجيش ، فنادى : يا ساريةُ الجبل الجبلَ ، فانحاز ساريةُ إلى الجبل ونصر الله المسلمين ، وروى البخاري عن أنس رضى الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عنده فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصاحبين بين أيديهما فلما أفترقا صار مع كل واحد منها حتى أهله . وبعد : فليست الولاية حكرا على أحد من الناس أو وقفا على صنف من الخلق أو تحتاج لنسب يصلك بآل البيت ، بل كل مسلم يمكن أن يكون وليا إذا كان بالله مؤمنا تقيا .

إن الهدى هدى الله

الحمد لله يهدى من يشاء ويضل من يشاء، واشهد أن لا إله إلا الله لو شاء لهدى الناس جميعا، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، أرسله ربه لهدايه الخلق إلى طريق الحق ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد

أرسل الله رسولَه محمدا ﷺ ليبلغ الناس رسالة ربه و يدعوهم إلى الإيمان ، فمهمة الرسول إذن هى التبليغ قال تعالى : ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ المائدة ٩٩ ، وقال : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ المائدة ٦٧، وقال : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ الرعد ٤٠ ، وقال ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ الغاشية٢١/٢٢، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، وأستنطقهم بذلك فى حجة الوداع وكان معه أربعون ألفا من صحابته كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال فى خطبة الوداع : « أيها الناس إنكم مسئولون عنِّى فماذا أنتم قائلون ؟ » قالو نشهد أنك بلغت و أديت ونصحت ، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول « اللهم هل بلغت » ثم قال : « ألا هل يبلغ الشاهد الغائب » وقد كان ﷺ حريصا على هداية الناس حتى كاد يهلك نفسه ، يقول له ربه : ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ الكهف ٦، وقال: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ الشعراء٣ : باخع نفسك أي مهلكها

لعدم قبول المشركين دعوتك ويقول له : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ فاطر ٨ أى لا تأسف على تركهم دعوتك ، ويقول له : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفانت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ يونس ٩٩ ، فالرسول ﷺ مبلغ وهو أيضا هاد بمعنى يرشد الناس إلى طريق الخير ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى ٥٢ ، أما الهدى بمعنى هداية القلب وانشراح الصدر للإيمان فهذا من صنع الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ﴾ الأنعام ٢٥ ، وقال : ﴿ وما أنت بهادى العمي عن ضالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بأياتنا ﴾ الروم ٥٣ ، ويقول :﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ آل عمران ٧٣ ، ويقول لرسوله : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ البقرة ٢٧٢ ، ويقول له أيضا : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ الأنعام ٣٥ ، .وقد بذل الرسول ﷺ كل ما فى وسعه لهداية عظماء قريش الذين طلبوا منه ألا يجلسهم مع أتباعه من الفقراء والمستضعفين ، بل ويطر د هؤلاء فقال له ربه : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينه الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ الكهف ٢٨ ، وقال له : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ الأنعام ٥٢ ، ومع هذا كانت بركة رسول الله تصيب من كتب الله له الهداية ، فقد جاء إلى رسول الله ﷺ غلام شاب

فقال يـا رسول الله : « أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فـقال النبى ﷺ قربوه ، فـدنا حتى جلس بين يديه ، فقـال النبى له : أترضاه لأمك ؟ فقال : لا ، جعلنى الله فداك ، فقال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبـه لابنتك ؟ فقال : لا . . ، جـعلنى الله فداك ، قـال كذلك الناس لا يحـبونه لبناتهم . . . . وهكذا حـتى ذكر رسـولُ الله ﷺ الأختَ والعـمةَ والخالةَ ، والغـلامُ الشاب يقول : لا . . ، جعلنى الله فـداك ، والرسول يقول له : كذلك الـناس لا يحبونه ، ولم يتركه الرسـولُ حتى وضع يديه على صدره وقـال : « اللهم طهر قلبه ، واغـفر ذنبه وحصن فـرجه » فلم يكن شيء أبغضَ إليـه من الزنا رواه أحمـد ، وعندما فـتح رسول الله ﷺ مكةَ ذهب إليه فضالة بن عمير الليثى يريد قتلَ النبى ﷺ وكان يطوف حول الكعبـة فلما دنا منـه قال لـه الرسول ﷺ : فـضالـة ؟ قال : نعـم فضالـة يا رسـول الله ، قـال ماذا كنت تحـدث به نفـسك ؟ قـال : لا شيء كنت أذكرالله ، فضحك النبى ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضاله يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الىَّ منه ، ويقول الرسـول لعلىّ : « فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيـر مـن حمر النعم » متفق عليـه ، وقد كان رسول الله حريـصا على إيمان عـمـه أبى طالب ، فقـد ثبت فـى الصحيـحين أن قولَـه تعالى : ﴿ إنك لا تهـدى مـن أحببت ﴾ القصص ٥٦ ، نزلت فى عمـه أبى طالب ، لما ذهب اليه حين حضرته الوفاة وقال له : « يا عم قل :لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى اميه، يا أبا طالب : أترغـب عن ملة عـبـد المطلب ؟ فلم يزل رسـولُ الله ﷺ

يعرضها عليه ويعود ان له بتلك المقـاله حتى كان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : « والله لأستغفرنَّ لك مالم أنه عنك » فانزل الله : ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ التوبة ١١٣ ، وأنزل فى أبى طالب « إنك لا تـهدى من أحـبـبت » وهذا ما وقع بين إبراهيم وأبيه ، فـقد دعا إبراهيم اباه إلى الإيمان ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ...الآيات ﴾ مريم ٤٢/٤٥ ، لكن الله لم يرد الهـداية لابيـه حيث رد على إبراهيم ﴿ أراغب أنـت عن آلهتي يا إبراهيم لـئن لم تنته لأرجمنك واهجـرنى مليا ﴾ مريم ٤٦ ، وتدفع عاطفة الأبوة نوحا أن يقول لابنه الكافر و الماء يعلو والموج يشتد :﴿ يا بني اركب معنا ولا تكـن مع الكافرين ﴾ هود ٤٢ ، ويرد عليه أبنه وقـد صُدَّ عن الإيمان ﴿ سآوي الى جـبل يعصـمنى من الماء ﴾ فيـقول نوح الأب : ﴿ لا عـاصم اليوم من أمـر الله إلا من رحم ﴾ وتنتهى حيـاة الأبن بالكفر والغرق أمام عَيْنَىْ أبيه ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ وينادى نوحُ ربَّه : ﴿ إن ابنى من أهلى ﴾ فيقول له ربه : ﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غـير صالح ﴾ : أي ليس من أهل دعوتك ﴿ فلا تسـألنى ماليس لك به علم ﴾ ويسرع نوح فيقول ﴿ إنى أعوذ بك أن أسـالك ماليس لى به علم وإلا تغـفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ﴾ هود ٤٣/٤٧ وهذا فرعون كافر طاغية لكن زوجته « آسيا » مؤمنة تدعو ربها فتقول : ﴿ رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعـمله ونجنى من القوم الظالمين ﴾ التحريم ١١ ، وهذا نوح ولوط من أنبياء الله لكنّ زوجتيـهما كافرتان ﴿ كانتا تحت عبـدين من عبادنا

صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ التحريم ١٠ فالهداية فرَّقت بين فرعون الكافر وزوجته المؤمنه ، وبين نوح ولوط الصالحين وزوجتيهما الكافرتين .

وصدق الله : ﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلاله إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ الأعراف ٣٠

اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، وثبت أقدامنا على صراطك المستقيم واقبضنا إليك غير مفتونين ولا مأزورين .. آمين



دروس وعبر من الزمن

الحمد لله جعل الليل والنهار خلفة من أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله يقدّر الليل والنهار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أخذ من دنياه لآخرته ، ومن فراغه لشغله .. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محم وعى آله وصحبه ... وبعد

عجلة الزمان لا تتوقف عن الدوران ، ليل يدبر ، ونهار يقبل ، وصيف يجيء وشتاء يمضى والأيام تمر ، والأعوام تكر ، وكل ذلك من العمر ، ولن ترجع عجلة الزمان إلى الوراء ، ورد فى الأثر عن الحسن البصرى (ما من يوم ينشق فجره إلا وملك ينادى : يا ابن أدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد، فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة. ومرور الزمن يترك بصمته على الحياة والأحياء ، فيشيب الصغير ، ويهك الكبير ، والإنسان يفرح بمرور الليالى ، ويتعجل الأيام مع أنها عمره ، وكل يوم يمضى يقربه إلى أجله .. ورد عن الحسن البصرى أنه قال : يا ابن آدم ، إنما انت أيام مجموعة ، كلما ذهب يوم ، ذهب بعضك ويقول الشاعر :

يسر المرءَ ما ذهب الليالى وكان ذهابهن له ذهابا

والمسلم الواعى يأخذ العبرة من مرور الأيام ،حيث لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ذلك فقال ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً** ﴾ الفرقان ٦٢، وسيحاسَب كل عبد عن عمره ،

روى الترمذى أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تزول قدم عبد حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله ، من أين اكتسبه ، وفيم انفقه ، وعن عمله، ماذا عمل به » ، ويقول ابن مسعود : ما ندمت على شيء ندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى، ولم يزد فيه عملى .

ويصور القرآن الكريم المراحل التى يمر بها الإنسان في مشوار حياته فيقول ﴿ **ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يُتوفَّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر كيلا يعم من بعد علم شيئا** ﴾ الحج آية ٥ ، ويقول ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ،ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾ الروم ٥٤. ومرحلة الضعف تبدأ بعد بلوغ الأربعين ،ويبدأ العد التنالى ، الأربعون سن النضج الفكرى والنفسى ، قال تعالى :﴿ **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح ى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين** ﴾ الأحقاف ١٥ ، وعندئذ تأتى النذر التى تذكر بالرحيل عن الدنيا والعودة إلى الله ، ورد فى الخبر :أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام: أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون ألناس على حذر منك ؟ قال : لى والله رسل كثيرة من الأعلال والأمراض ، والشيب والهموم ،وتغير السمع والبصر ، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ، فإذا قبضته ناديته : ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ، ونذيرا بعد نذير؟ فانا الرسول الذى ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير، فما من يوم تطلع به

شـمس أو تغـرب إلا وملك الموت ينادى : يا أبـناء الأربعين ، هذا وقت أخذ الزاد ، أذهانكم حاضـرة وأعضاؤكم قوية شـداد ،يا أبناء الخمسين ، قد دنا وقت الأخـذ والحصاد ، ويا أبناءالستـين ، نسيتم العقـاب ، وغفلتم عن الجواب ، فمـا لكم من نصير ﴿ أولم نعمركم ما يتـذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ فاطر آية ٣٧ ، وروى البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال :« أعذر الله إلى امرىء أخـر أجله حيث بلغ ستين سنه » . ورُوِى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام ، فقال : من أنت ؟ فقال ملك الموت : من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقـبل الرشا ، قال : فإذا أنت ملك الموت ، قال : نعـم ، قال : أتيتنى ولم أسـتعد بعـد ، قال : ياداود ، أين قريبك فلان ؟ أين جارك فلان ؟ قـا : مات ، قال : أما كان لك فى هؤلاء عـبرة لتـستـعد ، وفى هـذا يقول صلى الله عليـه وسلم فى الحديث المتفق عيه « نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس، الصحة والفراغ » فظهور الشيب ، والأمـراض ، وفقد الأحباب ، وضعف السـمع والبصر ، كل هذه نذر تذكر العبد أمن الموت قادم وأن الشباب ولّى ولن يعود :

ذهب الشباب فما له من عـودة   وأتى المشيب فأين منه المهرب

ولن تستطيع كنوز الدنيا أن تعيد الشباب :

ليت وهل ينفع شيئا ليت   ليت شبابـــا بـوع فاشتريت

وحين يطول عـمر الإنسان ، مع التـزامه منهج الصـالحين ، يكون ذلك بشرى خـير ، يقول صلى الله عليـه وسلم :« خيركم من طال عـمره وحسن عـمله ، وشركم من طال عـمره وساء عـمله » ، ويقول : « من

شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة » رواهما الترمذى ، وفى الحديث أيضـا « إن الله يستحى ان يعـذب ذا شيبة »[1] أمـا إذا امتد العـمر بالإنسان ، وظل على غيه ، واستمرأ الـفسق ، فهذا نذير شؤم ، والعياذ بالله ، روى مسلم والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولا ينظر ايهم ، وهم عذاب ليم، شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » ، وفى هذا يقول الشاعر :

ألا ارعواء لمن ولَّت شبيبته   وآذنت بمشيب بعده هرم

فـيامن تجـاورت سن الشـباب ، وحلَّت بك الشـيـخوخـة أفق يامـسكين ، وتنبه يا غـافل ، قبل أن يأتيك الأجـل فتـقول : ﴿ رب لـولا اخرتنى إلى أجل قريب أصدق وأكن من الصالحين ﴾ المنافقون ١٠، ١١، فالموت مدركك ، والـقبر مـوردك ، وإلى الله مرجـعك ، ﴿ قل إن المـوت الذى تفرون مـنه فإنه ملاقـيكم ثم تردون إلى عالـم الغيب والشـهادة فينبـئكم بما كنتم تعملون ﴾ الجمعة آية ٨ .

انظر إلى نفسك يامسكين ، وقـد شاب شعرك ، ووهن عظمك ، وضـعف بصرك، وقلَّ سـمعك ، مـاذا تنتظر من الدنيا وقد بلغت أرذل العمر ؟ فاتق الله واعمل لغدك ﴿ يا أيها الذين أمنوا اتـقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ الحشر آية ١٨/١٩ .

❀ ❀ ❀

(١) وفى الحديث القدسى ، إذا شاب شعر العبد نادى عليه الله قائلا (يا عبدى : شاب شعرك وانحنى ظهرك، وضعف بصرك ، فاستحى منى فإنى استحى منك) .

إنما الأعمال بالخواتيم

الحمد لله من يُرد أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعد فى السماء ، وأشهد أن لا اله الا الله قدرّ فهدى ، واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله حرص على هدايه قومه حتى قال له ربه : ﴿ **أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ يونس ٩٩ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فى الخطبة السابقة ذكرتُ أن مهمةَ الرسولِ ﷺ هى تبليغ الدعوة إلى الخلق وإنذارهم وتبشيرهم ، أما الهداية فهى من عند الله : ﴿ **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** ﴾ الأنعام ٣٥ ، واليوم أقول إن العبرة بالختام ، فمن أراد الله به الخير خُتمت حياته بالخير ، ومن استمرأ الضلال خُتمت حياته بالضلال ، ومن الدعوات المأثورة : « **اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة** ﴾ وعند احتضار العبد وخروج روحه تظهر له بشريات مفرحة أو إنذارات مؤلمة تحدد مصيره فى الدار الآخرة . روى مسلم وأبن ماجه حديث « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وروى البخارى عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار** فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » وروى البخارى عن سهل بن سعد أن الرسول ﷺ قال : « إن العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنه ليعمل

فيما يرى الناس بعمل أهل النار وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم »
وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « خير الناس من طال عمره
وحسن عمله » وروى أحمد و الترمذى والحاكم وابن حبان حديث « إذا أراد
الله بعبد خير استعمله » قيل كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل
الموت ثم يقبضه عليه » وفى الصحيحين « مامنكم من أحد إلا وقد كُتب
مقعده فى الجنة أو مقعده فى النار . قالوا يا رسول الله : أفنتكل على ذلك
ونترك العمل ؟ قال :لا . . اعملوا فكل ميسر لما خُلق له . . فأما من كان
منكم من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل
الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم تلا قوله تعالى : ﴿ فأما من أعطى
وأتقى ، وصدق . بالحسنى ، فسنيسره لليسرى﴾ الآية »الليل ٥-٧.

وروى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول
الله ﷺ من المدينة فإذا برجل على جمل ، قال الرسول : كأنه يريدنا ،
فلما قدم قال له الرسول : من أين أقبلتَ ؟ ، قال من أهلى وولدى
وعشيرتى ، قال : فأين تريد ؟ قال رسولَ الله ﷺ قال : فقد أصبته ، قال
يا رسول الله علمنى الإيمان : قال : « أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله ، وتقيمَ الصلاة وتؤتيَ الزكاة وتصومَ رمضان وتحجَ
البيت » ، قال قد أقررت ، قال : ثم إن بعيره دخلت يده فى شبكة جرذان
« جحر فأر » فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات ، فقال
الرسول ﷺ علّى بالرجل ، فوثب إليه عمارُ بن ياسر ، وحذيفة ابن
اليمان فأقعداه ، فقالا : يا رسول الله قد قبض الرجل ، قال : فأعرض
رسول الله ، ثم قال لهما : أما رأيتما إعراضى عن الرجل ؟ فإنى رأيت

ملكين يدسان فى فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعا ، ثم قال رسول الله ﷺ هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ الانعام٨٢ ، وإن المسلم ليعجب حين يقرأ ما قصَّه القرآن الكريم علينا من خبر فرعون وسحرته مع موسى، لقد جمع فرعون السحرةَ من آفاق مصر ليبطلوا ما جاء به موسى من العصا واليد ، وجاء السحرة واثقين من سحرهم معتزين بفرعون إلههم ، وكانت لهم منزلة عنده فقالوا : ﴿ **أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ الشعراء ٤١/ ٤٤ لكن ماذا كانت الخاتمة ؟ حين ألقى موسى عصاه فتحولت إلى ثعبان يلقف ما صنعه السحرة أيقن السحرة أن ما أتى به موسى ليس سحرا ولكنه معجزة وأيقنوا أنه نبى فآمنوا برب موسى وهارون ، ويغتاظ فرعون ويتهمهم بالتواطؤ مع موسى ويقول لهم : ﴿ **إنه لكبيركم الذى علمكم السحر** ﴾ الشعراء٤٩ ، ويهددهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ﴿ **لأقطّعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنّكم أجمعين ، قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون** ﴾ الشعراء ٤٩ / ٥٠ ، ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنّا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** ﴾ الاعراف ١٢٦ ، فكانوا فى أول النهار سحرةً كفرةً وفى آخر النهار شهداء كما قال ابن عباس . هكذا أراد الله لهم الخير فكانت خاتمتهم طيبةً ، وكان الفُضَيْل بن عياض قاطع طريق وسارق بيوت ، وفى ليلة قفز على جدار ليسرق بيتا ، فسمع قارئا يقرأ ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ... الآية** ﴾

الحديد ١٦ ، فانتبه ضميره ، وصحا وجدانه ، وقال : بلى يا ربى آن أن يخشع قلبى ، ثم تاب الله عليه ورحل إلى مكة وحسُن إسلامه . وإن المسلم ليعجب حين يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية فى بدايتها ، حيث يجد شخصيات أظهرت العداء للإسلام وحاربوه ثم أراد الله بهم الخير فتختم حياتهم بالإيمان ويحسن إسلامهم ، من هؤلاء أبو سفيان وزوجه هند بنت عتبة ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، فأبو سفيان كان زعيمَ قريش والعدوَ الأولَ للإسلام ، وكان قائدها فى الحروب ضد المسلمين ، ففى غزوة أُحد حين انكشف المسلمون بسبب مخالفة الرماة لأوامر رسول الله ﷺ كما رواه الإمام أحمد ، وقف أبو سفيان فقال : « أفى القوم محمد ؟ أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ؟ والرسول يقول : لا تجيبوه ، فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ نفسَه فقال له : كذبتَ يا عدوَّ الله ، أبقى الله لك ما يحزنك ، فقال أبو سفيان : اعلُ هبل . فقال النبى ﷺ أجيبوه : قولوا : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال الرسول : أجيبوه فقولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال. . .الحديث » وكذلك زوجه هند التى أغرت « وحشيا » بعتقه إن قتل « حمزة » فقتله غيلة فى غزوة أحد ، ثم هجمت عليه هند فبقرت بطنه ولاكت كبده ومثَّلتْ به ، وأخيرا تكون الخاتمة طيبةً فيُسلم أبو سفيان فى فتح مكة ، وتحضر هند بيعة النساء للرسول وتُسْلم هى الأخرى ، ويكون أبو سفيان أولَ من قاتل فى الردة حين لقى ذا الخمار مرتدا فقاتله . . أما خالد بن الوليد فكم قاد الحروب ضد المسلمين خاصة

غزوة أحـد ، وأما عمرو بن الـعاص فكم دبر المكائد ضد المسلمين ، فـهو الذي بعثته قـريش إلى النجاشي مع عبد الله بن ربيعة ليسلمهـما المهاجرين إلى الحبشة فرارا من أذى المشركين ، إلا أن الله أراد بهما الخيرَ فخرجا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وأعلنا إسـلامهما ، فقـال رسول الله ﷺ : « لقد رمت إليّ قريش بفلذات أكبادها » ، ويتردد عمرو بسـبب ماضيه فـيقول له الرسول : « الإسلام يجبُّ ما قبله » ويكون البطلان من أبرز قواد المسلمين الذين حققوا للإسلام انتصاراتٍ وفتوحاتٍ ، روى البخارى عن أنس رضى الله عنهما قال : كان غلام يهـودى يخدم النبىَّ ﷺ فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له أطع أبا القاسـم فأسْلَمَ فخـرج النبى ﷺ وهو يقول : الحـمد لله الذى أنقذه من النار .

اللهم اجعل خـير أعمالنا خواتـيمها ، وخيـر أيامنا يوم نلقاك . .

آمين



ما عند الله خير وأبقى

الحمد لله وزع الحظوظ وقسم الأرزاق ، و أشهد أن لا إله إلا الله ما عنده خيـر وأبقى، وأشهد أن سيدنا محـمدا رسول الله علمنا أن الغنى غنى القلب وأن الفـقر فقـر القلب ، اللهم صل وسلم وبارك على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

فى خطبة سابقة تكلمتُ عن المال وذكـرت أنه عصب الحياة ، وأن الناس تكالبت على جمعه لايهمهم الحصول عليه من حلال أم حرام ، وقد يَقْتل الإنسان أو يُـقْتل من أجل المال ، وقد يخسر أهـله وأصدقاءه من أجل المال ، وتعرضتُ لموقف المسلم من هذا الصـراع ، وآثرت سؤالا . هو : هل الإسـلام يكره أن يكون المسلـم غنيـا ؟ وهل يمنع الإسـلام المسلم من الاهتمام بأمور الدنيا ؟ وأقـول : إنه لا توجد عداوة بين الإسلام والغنى ، ولا يدعو إلى البطالة ،كيف ذلك وقـد خلق الله هذا الكون للإنسان ومكنه فيـه ، وطلب إليـه أن يسعى فى الأرض ليحـصل على رزقـه قـال تعالى : **﴿ ولقد مكناكم فى الأرض وجـعلنا لكم فيهـا معايش قليـلا ما تشكرون ﴾** الأعراف١٠ ، ولكن على السلم ألا يوجـه كل نشاطه للدنـيا فقط أو لـلآخرة فقط ، بل يجعل لكل منهما نصيبا ، قال تعالى : **﴿ ولا تنس نصيبك فى الدنيا ﴾** القصص ٧٧ ، وورد : « اعـمل لدنيـاك كأنك تعـيش أبدا و اعـمل لآخـرتك كـأنك تموت غدا » ، ولا بـأس على المسلم أن يجـمعَ المالَ من حلال وينـفقه فى حـلال ، فالله سـائله يوم القيـامه عن مـاله . . من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفـقه ؟ ، ومن الدعاء المأثور : « اللهم لا تجعل الدنيا جُلَّ

همنا ، ولا مبلغ عملنا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا » وعلى المسلم وهو يكافح من أجل الرزق الحلال أن يؤمنَ أن الله هو الرزاق ، وأن ما كان له لن يخطئه ، وأن الله هو الذى يوزع الأرزاق : يعطى هذا مالا وهذا صحة ، وهذا علما ، وهذا ولدا ، فيرضى بما أعطاه الله ويشكر ، رُوى عن أبى هريرة الحديثُ المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « انظروا من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » قال تعالى : ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب** ﴾ الانعام ١٦٥ ، وقال تعالى : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتَهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضَهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضُهم بعضا سُخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ الزخرف ٣٢ ، تأمل ختام الآية ﴿ **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ ويقول تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ يونس ٥٨ ، وكثير من الناس يعدون المال أكبر نعمة مع أن المال قد يكون سببا فى هلاك صاحبه ﴿ **كلا إن الانسان ليطغى أن رآه أستغنى** ﴾ العلق ٧/٦ ، وقال تعالى :﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾ الشورى ٢٧ ، وقد يلهى صاحبه عن واجباته نحو ربه ومجتمعه قال ﷺ : « ما قل وكفى خير مما كثر والهى » وقال رسول ﷺ يا أبا ذر : « أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قال : نعم ، قال أترى قلة المال هو الفقر ؟ قال : نعم ، قال الرسول ﷺ إن الغنى غنى القلب ، وإن الفقر فقر القلب ، غنى النفس القناعة ، وفقر النفس هو الطمع » ورُوى عن

أبى هريرة الحديثُ المتفق عليه أن رسولَ الله ﷺ قال « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس » ، والمسلم يعلم أن الدنيا قصيرٌ ونعيمها زائل ، وما عند الله هو المأمول قال تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** ﴾ القصص ٦٠ ، وقال : ﴿ **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا،وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ الشورى ٣٦ ، فالله قد ادخر لعباده الصالحين فى الدار الآخرة النعيمَ الأبدي ، جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ، واقرءوا إن شئتم ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ السجدة ١٧ وقوله : ﴿ **ولا يلقاها الا الصابرون** ﴾ القصص ٨٠ ، وفى الحديث : « ان الله قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب » رواه ابن مسعود مرفوعاً وضعفه الألبانى . إن المؤمن قد يُضَيَّقُ عليه فى الرزق ، فهل هذه علامة على سخط الله ؟ وإن الكافر قد يُوسَّعُ له فى الرزق ، فهل هذا دليل على رضا الله ؟ بالطبع لا ، فإن الله قد يعجل للكفار طيباتهم فى الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾ الاحقاف ٢٠ ، فليس عطاءُ الله علامةً على الرضا وليس منعُه دليلا على السخط ، ويقول تعالى : ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى**

أهانن كلا ﴾ الفجر ١٥ /١٧ ، وقال تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم بالخيرات بل لا يشعرون ﴾ المؤمنون ٥٥ ، فرسول الله ﷺ وهو أحب الخلق إلى« الله عاش عيشة الكفاف أو أقل من الكفاف ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي كما روت عائشه فى الحديث المتفق عليه ، زار عمرُ رسولَ الله ﷺ فى بيته فلم يجد عنده الا أهباً - جلودا - ثلاثة فبكى ، فقال له الرسول ﷺ : ما يبكيك ؟ فقال : يا رسولَ الله :كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله وهذا الحصير قد أثر فى جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، ادع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارس والروم قد وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله ، وكان متكئاً فقال : « أوَفى شك أنت يا ابن الخطاب فى أن التوسع فى الآخرة خير من التوسع فى الدنيا ، أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا ؟ ، ألا ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » فقلت يا رسول الله استغفر لى ، وروى - مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ - أى يغمس - فى النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ؟ هل مرَّ بك نعيم قسط ؟ فيقول : لا والله ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الخير فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رايت بؤسا قط ؟ فيقول : لا والله ما مر بى بؤس ولا رأيت شدة قط »

أخى المسلم :ارض بما قسم الله لك ،واقنع بما أعطاك الله ، فالرضا نعمة عظيمة ، واجتهد فى طاعة ربك ، وأحسن الظن به ، فما عند الله خير وأبقى .



الشيطان عدو لآدم وذريتـــه (١)

الحمـد لله نفخ فى آدم من روحه ، وأمـر الملائكة بالسـجود له ، وأشهد أن لا إله إلا الله من اتبع هداه فاز ونجا ، ومن أعرض ضل وخسر، وأشهد أن سـيدنا محمـدا عبد لله ورسوله أعـانه الله على شيطانه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد . . .

مـا من معـصـيه ارتكـبت فى الأرض إلا كانت بإغـواء الشـيطان وتحريضه ، فتلك مهمته التى أقـسم عليها بعزة الله ألا يدخر وسعا فى إغواء بنى آدم ، وتزيين المعاصى لهم ، والايقاع بهم وإفـساد ما بينهم من مودة ، والذى دفعـه لذلك حقده على آدم لأنه كـان السبب فى لعن الله وطرده من الجنة ، وكان الله قد أخبر ملائكتَه أنه سيخلق بشرا من طين فإذا نفخ فيه من روحه فليسجـدوا له سجود تكريم لا سجود عبادة ، فـسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ البقرة ٣٤ ، واحتج إبليس لعدم سجوده بأنه مخـلوق من نار ، فكيف يسجـد لمن خُلق من طين ؟ ﴿ **قال مـا منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ الاعراف ١٢ فطرده الله من الجنة .

لكنه طلب من الله أن يُنظِرَه - أى يؤجله إلى يوم القـيامة ليـغوىَ آدمَ وذريتَه فأنظره الله : ﴿ **قال رب فـأنظرنى إلى يوم يبعثون قـال فإنك من المنظـرين إلى يوم الوقت المـعلوم ...** ﴾ الحجـر ٣٦/ ٤٠ ، وأسكن الله آدمَ الجـنةَ

وآنسه بحواء وأمره ألا يأكلَ من شجرة معينه ، وذكَّره بعداوة الشيطان له ، لكن اللعين ما زال يزين لآدمَ الاكل من الشجرة مُوهما إياه أنها شجرة الخلد حتى عصى آدمُ ربَّه وأكل من الشجرة ، فطردهم جميعا من الجنة وأهبطهم إلى الارض ليواصل إبليس إغواءه لادم وذريته ، وينجح إبليس مرة ثانية فى الإيقاع بين أبنى آدم فيقتل الأخ أخاه ، والقصة كما رويت عن ابن عباس وابن مسعود أن حواء كانت تلد ذكرا و أنثى معا فى كل بطن ، فكان ذكر البطن الأولى يتزوج أنثى البطن الثانية ، وذكر البطن الثانية يتزوج أنثى البطن الاولى ، وذلك بضرورة الحال ، فكانت أخت قابيل جميلة وأخت هابيل دميمة ، فطمع قابيل فى أخته التى وُلدت معه فنهاه أبوه آدم عن ذلك فأبى ، فطلب إليهما أن يُقَرِّبَ كل منهما قُربانا فتنزل من السماء نار فمن أكلت قربانه كان على الحق ، فقرَّب هابيل كبشا وكان صاحب غنم ، وقرب قابيل حزمة سنبل وكان صاحب زرع ، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل ، فغضب قابيل وقال لأخيه هابيل : لأقتلنك حتى لاتتزوج أختى ، فقال هابيل : إنما يتقبل الله من المتقين ، ولئن أردت قتلى فلن أحاول قتلك ، وقَتَلَ قابيلُ هابيلَ ، وكان أولَ قتل وموت فاحتار فيه فأرسل الله غرابين قتل أحدهما الاخر ثم واراه الترابَ ، فوارى قابيلُ أخاه الترابَ قال تعالى : **﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾** المائدة ٢٧/٣١ ، وتمضى بنا عجلة التاريخ مع إبليس فى غوايته للإنسان حتى ندرك عصر يوسف وإخوته ، فقد أشار القرآن الكريم فى أول السورة وفى آخرها الى أن ما حدث بين يوسف وإخوته هو من نزغ الشيطان ،

قال تعالى على لسان يعقوب يخاطب يوسف حين قصَّ عليه رؤياه : ﴿ **لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين** ﴾ يوسف ٥ ، وفى آخر السورة يقول على لسان يوسف يخاطب أباه بعد أن دخلوا مصر آمنين : ﴿ **يأبت هذا تأويل رؤياى من قبلُ قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى** ﴾ يوسف ١٠٠ .

وكان يوسف يخصه أبوه بمزيد من الحب جعل إخوته يحقدون عليه ويفكرون فى قتله ، فأخذوه ورمَوْه فى البئر ، فأخذته قافلة متجهة الى مصر ، قال : ﴿ **إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين** ﴾ الآيات يوسف ٨/ ١٠، وفى مصر يتعرض يوسف للبلاء ويُسْجَنُ ويَخْرج من السجن ليكون عزيز مصر ويأتى إليه أخوته ويدخلون مصر إن شاء الله آمنين . . . .

والشاهد فى قصة يوسف أن ما فعله إخوته معه كان من نزغ الشيطان ، وسيظل الشيطان يطارد ابن آدم ويُزَيِّنُ له المعصيةَ طالما يعيش على الأرض ـ وللحديث بقية إن شاء الله . .



الشيطان عدو لآدم وذريته (٢)

الحمد لله حذرنا من إبليس اللعين ، وأمرنا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله حرم الجنة على كل كافر أثيم ، وأشهد أن محمدا رسول الله عصمه الله من الزلل فأبان لنا الطريق المستقيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

قلتُ فى الخطبة السابقة إن إبليس كان سببا فى طرد آدم وحواء من الجنة وأنه نزل معهما إلى الارض ليواصل إغواءه لهما ولذريتهما من بعدهما ، لكن الله لم يتركنا هملا بل حذرنا منه ونبهنا إلى عداوته على لسان رسله ، وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾ الاعراف ٢٧ ، ولذا أخذ اللهُ العهدَ على عباده بعبادته تعالى ومعاداة الشيطان قال تعالى : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم** ﴾ يس ٦٠ / ٦٢ ، وتتوالى الآيات القرآنية تحذرنا من هذا اللعين قال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ فاطر ٦ ، وقال تعالى : ﴿ **يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله**

مالا تعلمون ﴾ البقرة ١٦٨ / ١٦٩ ، وقال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر...﴾** النور ٢١ ، فالشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما جاء فى الصحيحين ، ولكل إنسان قرينه ، فقد ثبت فى الصحيحين رواية عن ابن مسعود « ما منكم من أحد إلا وقدُ وُكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا : وإياك يا رسولَ الله قال : « وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير » فالشيطان ما هبط إلى الأرض إلا لهلاك ابن آدم وقد أقسم على ذلك : **﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾** الأعراف ١٦ / ١٧ ، **﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾** ص ٨٢ / ٨٣ ، والشيطان له حيله وألاعيبه ، فهو لا يعرف اليأسَ ولا تُعجزه الحيلة ولا يدركه الملل ، فهو يوسوس للإنسان ليفسد عليه عقيدته ، روُى عن أبى هريرة فى الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « يأتى الشيطانُ أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » ، ويفسد على المؤمن صلاتَه فقد روى أبو هريرة حديث « إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل ، حتى إذا ثُوِّب للصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر :حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى » متفق عليه .

والشيطان هو الذى يزين للإنسان المعصية ، بل يوقع بين الأخ

وأخيه ، والابن وأبيه ، والزوج وزوجته والصديق وصديقه ، وقد ذكر الرسول فى خطبة الوداع « إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم لكنه لم ييأس من الإيقاع بينكم » رواه الترمذى وصدق الله : ﴿ **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم** ﴾ الإسراء ٥٣ ، ولذا أمرنا بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ..** ﴾ النحل ٩٨ ، وأمرنا بالاستعاذة منه عندما نحس بنزغه ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ الأعراف ٢٠٠ ، ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم** ﴾ فصلت ٣٦ ، ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربى أن يحضرون** ﴾ المؤمنون ٩٧ /٩٨ ، ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس**﴾ الناس ، ففى هذه السورة أمرنا الله بالاستعاذة من الشيطان بصفات لله ثلاث : رب الناس وإلههم وملكهم من شر وسوسته ، وكان رسول الله ﷺ يستعيذ من الشيطان فيقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » رواه أحمد ، ومعنى الاستعاذة : أن المؤمن يستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضره فى دينه أو دنياه أو يصده عن فعل ما أمره به أو يحثه على فعل ما نهى عنه ، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ، والاستعاذة الصادقة تحمى المؤمنَ من هذا اللعين فيكون من عباد الله المخلصين قال تعالى : ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ الرعد ٤٢ ، وقال تعالى : ﴿ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به**

مشركون ﴾ النحل ٩٩ / ١٠٠ ، ويقول الله عن عباده المتقين : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون ﴾ الأعراف ٢٠١ / ٢٠٢ ، فَذِكْرُ الله حصانة من الشيطان ، روى الترمذى أن رسولَ الله ﷺ قال : « العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله » وهؤلاء هم أولياء الرحمن إن سجدوا بكى الشيطان ، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قرأ ابنُ آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكى ، يقول : يا ويله ، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيْتُ فَلِىَ النار » رواه البخارى ، وفى النار مع إبليس أولياؤه ، قال تعالى : ﴿ اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ الأعراف ٣٠، وقال تعالى: ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ المجادلة ١٩ ، ويوم القيامة يتبرأ الشيطان من ابن آدم ويُلقى باللائمة عليه : ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لىَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصرخِىّ إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل ﴾ إبراهيم ٢٢ ، واستمع إلى ما يقول قرين الإنسان يوم القيامة « قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد » فيكون الرد من الله : ﴿ قال لا تختصموا لدىَّ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ ق ٢٧/٢٨ وصدق الله : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خَالِدَيْن فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ الحشر ١٦ / ١٧، وكما يتبرأ الشيطان من الإنسان يتبرأ

الإنسان من القرين كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ الزخرف ٣٦ / ٣٩ . .

فإن أردت النجاة من هذا اللعين فاستعذ بالله منه ، وداوم على ذكر الله ، فإن القلبَ الغافلَ سكَنٌ للشيطان ، قال ﷺ « الشيطان جاسم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس » ، وصدق الله ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ الرعد ٢٨ .



ولقد كرمنا بنى آدم

الحمـد لله خلق الإنسان فى أحـسن تقويم ، وأشـهد أن لا اله إلا الله كرَّم بنى آدم وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات ، وأشهد أن سيدنـا محمدا رسول الله أنـقذ الله به البشرية وهدى به الإنسـانية ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد . . .

كرَّم الله الإنسـان حيث خلقه بيـديه ونفخ فيه من روحـه ، وعلمه الأسماء وأسجد له ملائكته ، وجعله خليفة فى الأرض ، وحفظ دمه ، « الإنسان بنيان الله فى أرضه ملعون من هدم هذا البنيان » وميّزه بالعقل وعلمه البيان ، وسواه فعدله فى أحـسن صورة ركبه فجعله قائما منتـصبا يمشى على رجليه ويأكل بيديه ، وجعل له سـمعا وبصرا وفؤاد يفقه به ، ويـفرق به بين المفيد والضـار ، قال تعـالى : ﴿ ألم نجـعل له عـينين ولسانا وشـفـتين وهديناه النجدين ﴾ البلد ٨/ ١٠ ، وقـال تعـالى : ﴿ هو الذى أنشـأكم وجـعل لكم السمع والأبصار والأفئـدة قليلا ما تشكرون ﴾ الملك ٢٣ ، وخلق هذا الكون من أجله ، وجعله سـيدَه ، وسخر لـه مافى السموات من كـواكب ونجوم وأفلاك وسحاب ، وسخر له مـا فى الأرض من تربة ومعادن وأحياء وبحار وأنهار . ومـكَّنه من المعيـشة عليـها . قال تـعالى :﴿ ولقـد مكـناكم فى الأرض وجعلنا لكم فـيها مـعايش قليـلا ما تشكرون ﴾ الأعـراف ١٠ ، وقال تعالى : ﴿ وسخر لكم مـا فى السموات و ما فى الأرض جميـعـا منه ﴾ الجاثية ١٣ ، وقـال : ﴿ وسخر لـكم الليل والنهاروالشمس والقمـر والنجوم مسخراتٌ بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ النحل ١٢ ، وقال : ﴿ ألم

تَرَوْا أن الله سخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ لقمان ٢ ، وقال : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجري فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ الحج ٦٥ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الاسراء ٧٠

فالله كرّم الجنسَ البشريَ على كثير من مخلوقاته ، ومن هذا التكريم أن جعل ما على الارض فى خدمته يستغله لمصلحته ، وينتفع به فى حياته ، فيركب الدوابَّ من الأنعام والخيل والبغال والحمير قال تعالى : ﴿ والأنعامَ خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾ النحل ٥/٨ ، وقال تعالى : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها رَكُوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ يس ٧١ / ٧٣ ، وسخر له البحر أيضا تسير فوق مياهه السفن الضخمة والبواخر العملاقة وينتفع بما فيه من لحم طري ولؤلؤ ومرجان ، قال تعالى : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ الزخرف ١٢/١٤ ، وقال تعالى : ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ النحل ١٤، كذلك رزقهم من الطيبات على اختلاف أشكالهـا وألوانها من زروع وثمار ولحوم وألبـان ومن جميع أنواع الطعـوم المشتهـاة واللذيذة والمناظر الحسـنة والملابس الرفيـعـة ، قال تعالى : **﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سـائغا للشاربين ﴾** النحل ٦٦ ، وقال تعـالى : **﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ﴾** النحل ٨٠ ، كل هذا تكريم الربوبية لبنى آدم جميعهم مؤمنهم وكـافرهم . وكان الواجب على الإنسان أن يقابلَ هذا التكريم بالعبودية الخالصـة لله وحده ، لكنه جحد ذلك ، ونسى المنعمَ المتفضل ، وخلع عن نفـسه ثوبَ التكريم حين عبد الطاغوت وسجـد لغير الله ، فارتد عن فطرته التى وُلد عليهـا ، قال ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانـه أو ينصـرانه أو يمجسانه » متفق عليـه ، وقال تعالى : **﴿ لقـد خلقنا الإنسان فى أحـسن تقـويم ثم رددناه أسفل سـافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾** التين٤/٦ ، وقال : **﴿ والعصر إن الإنسـان لفى خـسر إلا الذيـن آمنوا وعملـو الصالحـات وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** العصر ، وصـدق الله إذ يقـول : **﴿ قُتـل الإنـسان مـا أكفره .. ﴾** عبس ١٧ ، ولعله يسمع نداء ربه حيث يقول : **﴿ يأيها الإنسان ما غـرك بربك الكريـم الذى خلقك فـسـواك فـعدلك فى أى صـورة مـا شـاء ركبك ﴾** الانفطار ٦/٨ ، أما الذين آمنوا وعـملوا الصالحات فقد استثناهم الله من أسفل سافلين ومن الخاسرين لأنهم عرفوا تكريمَ الله لهم فحافظوا على هذه الكرامة بالعبودية لله ، فالسجود لله تكريم وتشريف ، قال الله تعالى : **﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر**

والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ الحج ١٨ ، فقد انضم المؤمن إلى ركب الحياة ليكون مع الساجدين ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكى يقول : ياويله ، أُمِر ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار » فالمؤمن بسجوده لله نال العزة قال تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ المنافقون ٨ ، وطَهُرَ حيا وميتا ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : « سبحان الله إن المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا » ، وقد شبه الرسولُ ﷺ المؤمنَ بالنخلة وهى الشجرة الطيبة التى لا يعدم ظلها ولا ينقطع ثمرها وكذلك المؤمن دائم الخير ، كثير المعروف . روى البخارى عن ابن عمر قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أخبرونى عن شجرة تشبه أو ـ كالرجل المسلم لا يتحاتُّ ورقها صيفا ولا شتاء وتُؤتى أكلَها كل حين بإذن ربها . قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ : « هى النخلة » ، فلما قمنا قلت لعمرَ : يا أبتاه والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة ، قال : ما منعك أن تتكلم ؟ قلت لم أركم تتكلمون ، فكرهت أن أتكلمَ أو أقولَ شيئا ، قال عمر : لأن تكونَ قلتَها أحبّ الىّ من كذا وكذا » . . . .

فإذا استقر الإيمان فى القلب صارت العزة طبعا فى سلوك المؤمن ، فلا يذل إلا لله يقول ﷺ : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجرى بالمقادير » رواه ابن عساكر لأنه واثق من تأييد الله له ، قال تعالى :

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ الحج ٣٨ ، ولا يرضى الدنيّة فى دينه فهو يدافع عن دينه وعن عرضه فإن قُتِل فهو شهيد ، روى أبو داود والترمذى حديث : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . .

فالكرامة الحقيقية للعبد هى فى انتسابه لله وعبوديته الخالصة له ، فإذا انتكست فعبد من دون الله فقد استحق أن يهان وصدق الله ﴿ ومن يُهن الله فما له من مكرم ... ﴾



الصبـــر

الحـمـد لله جـعل الدنيا دار اختـيار وبلاء ، والآخـرةَ دار ثواب وجـزاء ، وأشهـد أن لا أله إلا الله بشر الصـابريـن وجعل أجـرهم بغيـر حساب ، وأشهـد أن سيدنا محمدا رسول الله صبـر وصابر ورضى بقضاء الله حتى أتاه اليقين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد ، فالانسان فى هذه الدنيا يعلم ما حدث له فى الماضى وما يحـدث له الآن ، لكن حُجِب عنه مـا يحدث له فى المسـتقـبل ، فعـالمُ الغيب والشهادة هو الله ، قال تعالى :﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا مـا تدرى نـفس بأى أرض تموت ﴾ لقمان ٣٤ ، والمسلم يؤمـن أن الدنيـا دارُ اختـبار وبلاء ، فطالمـا الإنسان يعـيش فوق الأرض فهـو معـرض للنوازل والمصائب ، فى نفـسه وولده وماله وصديقـه ، قال تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجـوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ﴾ البقرة ١٥٥ ، وقال ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصـابرين ونبلو أخباركم ﴾ محمد ٣١ ، والمؤمـن أكثرُ الخلـق عرضـةٌ للبـلاء والاختبار ، قـال تعالـى : ﴿ أحسـب الناس أن يتركـوا أن يقولوا آمنا وهـم لا يُفـتنون ﴾ العنكبوت ٢/١ ، وروى الترمذى عن عائشةَ رضـى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الله قـوما ابتـلاهم فمن رضىَ فله الرضـا ومن سخط فله السـخط » رُوِى أن رسـول لله ﷺ دخل على الأنصـار فقـال : « أمـؤمنون أنتم ؟ » فسكتوا ثم قالوا : نعم يا رسول الله ، فقال : « وما علامة إيمانكم ؟ » قالـوا نشكر على الرضا ونصـبر على البـلاء ونرضى بالقـضاء ، فـقال

الرسـول ﷺ : « مؤمنـون ورب الكعبـة » . وروى أيضـا عن أبى هريرة حديث : « ما يزال البلاء بالمؤمن و المؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » رواه الترمذى ، وفى الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو سعـيد وأبو هريرة يقـول ﷺ : « ما يصـيبُ المسلمَ من نصب ولا وصب ـ أى مـرض ـ ولا هم ولا حـزن ولا أذى ولا غم حتى الـشوكـةَ يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » : لذلك أمرنا الإسلام بالصبر على كل بلاء ، والرضـا بكل قضـاء ، قال تعـالى : ﴿ يأيهـا الذين آمنوا اصبـروا وصـابروا .. ﴾ آل عمـران ٢٠٠ ، ودعـانا الى أن نستـعين على ذلك بالصبـر والصلاة ، قال تعـالى : ﴿ يـأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصـلاة ﴾ البقرة ١٥٣ ، وقـد أقسـم الله على أن الانسان خـاسـر إلا المؤمنين الصـالحين المتواصين بالحق والصبر فقال : ﴿ والعصر إن الانسـان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَـوْا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ العصـر ، وروى الطبرانى قـال : « كان الرجلان من أصـحاب رسول الله ﷺ إذا التقـيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة «العصر» ثم يسلم أحدهما على الآخر » وكان رسـول الله إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصـلاة ، رواه أحمد وابن جريـر . وصدق الله : ﴿ وَلَمن صبر وغفـر إن ذلك لمن عزم الامور ﴾ الشورى ٤٣ ، روى أبو سعيد الخدرى الحديث المتفق عليه : « من يتصبر يصبره الله ، وما أعـطى أحدٌ عطاء أوسع من الصـبر » . ولما مـات ابن لفاطـمة أرسلت إلى أبيها ﷺ ، فأرسل يقرئها السلام ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مـسمى فلتصبـر ولتحتسب » متـفق عليه ، وقد قال النبى لامرأة تبكى على صبىٍّ لها « اتقى الله وأصبرى » متفق عليه ،

والصبر يكون على البلاء والمصائب ، كما يكون عن المعصية كذلك يكون على الطاعة ، وروى مسلم أن رسولَ الله ﷺ قال « حُفَّتْ الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » وقال تعالى : ﴿ وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ طه ١٣٢ ، والمؤمن يشكر فى السراء والضراء كما ذكر رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم عن صهيب « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » . وروى مسلم فى صحيحه عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » اللهم آجرني فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها » ، وفى هذا المعنى روى مسلم قال : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربتْ اليه عشاء فأكل وشرب ثم صنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ـ أي تجملت له فوقع بها ـ أى جامعها ـ فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيتَ لو أن قوما أعاروا عاريتَهم أهل بيت فطلبوا عاريتَهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ثم قال : تركتنى حتى إذا تلطختُ أي جامعت ـ ثم أخبرتنى بابنى. فانطلق حتى أتى رسولَ لله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال : رسولُ الله : « بارك الله فى ليلتكما » قال : فحملتْ ، وفى رواية أن زوجها كان غائبا فلما عاد استقبلته كما عودته فسأل عن ولده فقالت : لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه هذه الليلة ، ثم قدمت له الطعام والشراب وجلست تتحدث إليه قائلة ألا

تعجب من جيراننا ؟ أودعت عندهم وديعة ، فلما طُلبت منهم جزعوا : قال : بئس ما فعلوا ، قالت إن ابنك كان وديعة لله واسترده ، فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون » ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وقص عليه ما حدث فرفع ﷺ يده إلى السماء وقال : اللهم بارك للرميصاء - وهذا اسمها - فى نسلها » فرزقها الله سبعة أولاد كلهم عُلّمَ الكتاب وتفقه فى الدين .

ونظراً لأن الصبر دليل على قوة الإيمان فقد جعل الله جزاء الصابرين بغير حساب ، تعالى : ﴿ إنما يُوَفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب ﴾ الزمر ١٠ ، وقال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئكهم المهتدون ﴾ البقرة ١٥٥ / ١٥٦ ، وروى البخارى من حديث لأبى هريرة قال : « يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه - أي حبيبه - من أهل الدنيا ثم احْتَسَبَهُ إلا الجنة »[1] وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « يَوَدُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعْطى أهل البلاء الثواب ، لو أن جلودهم قُرِضت بالمقاريض » .

اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه .



(١) وفى الحديث القدسى (إذا ابتليت عبدى ببلاء فى جسده أو ماله أو لده ، فاستقبل ذلك بصبر جميل استحيبت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا ، أو أنشر له ديوانا ، وادخله الجنة بغير حساب) .

درس فى الصبر من قصة أيوب عليه السلام

الحمد لله جعل رسله صفوة خلقه : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الانعام ١٢٤ ، وأشهد أن لا إله إلا الله ابتلى عبده أيوب فصبر : ﴿ نعم العبد إنه آواب ﴾ ، وأشهدأن سيدنا محمدا رسول الله قال له ربه : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ الاحقاف ٣٥ ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . في الخطبة السابقة تكلمتُ عن الصبر وقلت : إن المؤمن يصبر فى الضراء ويشكر على السراء ، وقلت إن الله يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، واليوم أذكر قصة نبى الله أيوب الذى يُضرب بها المثل فى الصبر ، فالأنبياء أكثر الناس تعرضا للابتلاء والاختبار ، كما جاء فى الحديث : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » وفى حديث آخر : « يُبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه » . وعبد الله الصالح أيوب ابتلاه الله فى ماله وبدنه وولده ، فقد كان ذا غنى فى المال وعزوة فى الأولاد ، لكن الله أراد ان يختبره ، ففقد المال والأولاد والصحة ، حيث أُصيب بمرض أقعده ثمانية عشر عاما ، وهو صابر على البلاء راض بالقضاء ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن أنس رضى الله أن رسول الله ﷺ قال : « لا يتمنين أحدُكم الموت لضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى » وقد تفرق الخلان والأصدقاء عن أيوب وتركوه وحده يعانى من أزمته فى فقد ولده وماله وصحته ، إلا امراته الصابرة التى وقفت بجانبه تكدّ من أجله ، وتسعى على رزقه ، وتعمل لإطعامه وقد قالت له امراته ادع الله

فيشفيَك ، فجعل لا يدعو حتى مرَّ به نفر من بنى إسرائيل ، فقال بعضُهم لبعض : ما أصاب أيوبَ إلا بذنب عظيم أصابه ، فعند ذلك دعا ربه فقال : رب أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجاب الله دعاءَ عبده الصابر وأوحى إليه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ ، فأمر الله أيوبَ أن يقوم من مقامه ، ويضرب الأرض برجله ، ففعل فأنبع الله عينا من الماء ، وأمره أن يغتسل منها ، فاذهبت ما كان فى بدنه من الأذى ، ثم أمره بضرب الأرض مرة ثانية فى مكان آخر فأنبع الله له عينا أخرى من الماء ، وأمره أن يشرب منها ، فأذهب جميع ما كان فى بطنه من السوء ، فشفاه الله من الظاهر بالاغتسال ، وشفاه من الباطن بالشرب ، فقد أمره بالاغتسال لشفاء الظاهر أى الجسم من المرض ، وأمره بالشرب لشفاء الباطن : أى ما فى بطنه من علة ، فتكامل له الشفاء ظاهرا وباطنا ، فعاد أيوب سليما معافى ، رُوى عن ابن عباس أنه قال : « ألبسه الله حُلة من الجنة ، فتنحّى أيوبُ فجلس فى ناحية ، وجاءت وامرأته فلم تعرفْه ، فقالت له : يا عبدَ الله ، أين ذهب هذا المبتلى الذى كان ها هنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب ، فجعلت تكلمه ساعة ، فقال : ويحك أنا أيوب ، قالت : أتسخر منى يا عبد الله ؟ فقال : ويحك ، أنا أيوب قد رد الله علىَّ جسدى ، وكذا ردَّ الله عليه مالَه وعيالَه ومثلَهم معهم ، روى الإمام احمد وكذا أخرجه البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أيوب يغتسل عُريانا خرَّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو فى ثوبه ، فناداه ربه عز وجل : ياأيوبُ : ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال ﷺ : بلى يا رب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك »، وكان أيوب قد غضب مرة من امراته

لانهما خرجت فغابت أو لسبب آخر فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع ما قامت به من خدمة ورحمة وشفقة وإحسان أن تُقَابل بالضرب ، فافتاه الله عز وجل أن ياخذ ضِغثا وهو المشراخ به مائة قضيب - يعنى مجموعة من العيدان الرفيعة عددها مائة فيضربها به ضربةً واحدة فيكون بذلك ضربها مائة جلدة وبرَّ بيمينه ولم يحنث ، وتلك نعمة أخرى على أيوب حيث جعل له مخرجا من هذا اليمين وفرجا ، قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الطلاق ٢/٣ ، وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة أيوب فى سورة الأنبياء فقال تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا له ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ ٨٣/٨٤ وفى سورة ص : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب . وخذ بيدك ضِغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ ٤١ / ٤٤ . . . ونلحظ أن الله سبحانه وتعالى فى السورتين « الأنبياء وص» جاء بقصة أيوب عقب قصة سليمان مع الفارق الكبير بينهما ، فسليمان نبى وملك سخر الله له الإنسَ والجنَ ، والطيرَ والريحَ ، وأيوب نبى مبتلى فى ماله وولده وجسده ، ونلحظ كذلك أن الله وصف سليمانَ بالصفة نفسها التى وصف بها أيوبَ ، فقال عن سليمان ﴿ ووهبنا لداود سليمانَ نعم العبد انه أواب ﴾ ص ٣

وقال عن أيوب ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ ص٤٤ ، وقد استدل العلماء بذلك على أن الغنىَّ الشاكر والفقيرَ الصابر سواء . . وإن كان بعض العلماء يرى أن الغنىَّ الشاكر أفضلُ من الفقير الصابر ، لحديث ورد فى ذلك . فاللهم ارزقنا الشكر والصبر .



التضحية في سبيل الإيمان

الحمد لله أرسل إلى عباده رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وعد المؤمنين بالنعيم المقيم ، وتوعَّد الكفار بالعذاب الأليم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله بلَّغ الرساله وأدَّى الأمانه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . . كان من رحمة الله بخلقه أن أرسل إليهم الرسل ليطلبوا إليهم عبادةَ ربهم والتزامَ شرع الله لئلا يكون للناس على الله حجة قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ النحل ٣٦ ، وقد ورد فى القرآن ذكرُ خمسة وعشرين رسولا ، وهم : آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وذو الكفل ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين ، وهناك أنبياء لم يرد ذكر أسمائهم فى القرآن قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ القصص ٧٨ ، وقد اختُلِف فى عدد

الأنبياء والمرسلين ، والمشهور فى ذلك حديثُ أبى ذر قال : قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا »، قلت يا رسول الله : كم الرسل فيهم ؟ قال « ثلاثمائة وثلاثةَ عشرَ جمٌّ غفير » الحديث وكثير من الناس كذبوا رسلَهم وقليل منهم آمن ، وضحى بعضهم بحياته دفاعا عن دينه ونصرةً لرسل الله : من ذلك ما ذكره الله عن أصحاب القرية فى سورة « يس » الآيات ٢٩/١٣ وكانت القرية اسمها « أنطاكية » أرسل الله الى أهلها رسولين فكذبواهما فألحق الله بهما رسولا ثالثا فكذبوهم واعترضوا على بشريتهم وتشاءموا منهم قال تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالو إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ...** ﴾ الآيات ، ودبروا لقتلهم ، ولم يؤمن بهؤلاء الرسل إلا رجل واحد اسمه « حبيب النجار » وأعلن إيمانه بصوت مرتفع لم يخش فى الله لومة لائم ﴿ **إنى آمنت بربكم فاسمعون** ﴾ فاغتاظ منه قومه وهجموا عليه وداسوه بالأقدام وأشبعوه ركلا حتى خرجت أمعاؤه من دبره ، وفارق الحياة ، وبمجرد موته أُدخل الجنة ، فلما رأى ما فيها من الخير الوفير والنعيم المقيم قال : ﴿ **يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين** ﴾، قال ابن عباس : نصح قومَه فى حياته بقوله ﴿ **يا قوم اتبعوا المرسلين** ﴾ وبعد مماته فى قوله ﴿ **بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين** ﴾ . فانتقم الله من أهل هذه القرية فأخذتهم صيحة أبادتهم فما تركت منهم واحدا حيا ، فهذا مؤمن واحد يقف فى وجه قرية كل أهلها كافرون ، ويقدم روحه الطاهرة دفاعا عن دينه ونصرة لرسل الله .

وكذلك حدث فى عهد موسى عليه السلام أن رجلا قبطيا من آل فرعون رأى فرعون يدبر لقتل موسى : ﴿ ذرونى أقتل موسى وليدعُ ربه ﴾ غافر ٢٦ ، وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانَه عن قومه القبط فلم يظهرْه إلا حين أحس أن فرعونَ يريد قتلَ موسى ، فأخذته غضبة لله عز وجل ، ورسولنا بقول « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم ، فقال هذا المؤمنُ لفرعونَ : ﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ... ﴾ الآيات غافر ٢٨ ، وشبيه بهذا ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم قال : بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ ثم قال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ » وحدث أن استغاث بموسى رجل من بنى إسرائيل لينصره على أحد المصريين ، فوكز موسى المصريَّ فقتله ، وفى يوم آخر أعاد الاسرائيلى الاستغاثة بموسى مع مصرى آخر ، ولما تقدم لمساعدته ظن أنه سيقتله هو فقال : ﴿ أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ﴾ القصص ١٩، فانكشف أمر موسى وعُرِف أنه القاتل فأرسل فرعون إلى موسى من يقتله ، وكان فى مجلس فرعون رجل مؤمن من آل فرعون فأسرع إلى موسى يطلب إليه النجاة بنفسه ، حيث إن رجال فرعون فى الطريق إليه لقتله ، قال تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين ﴾ القصص ٢٠ ، فجعل الله هذا

الرجلَ سببا فى نجاة موسى ، وكان هذا الرجل من المؤمنين : قال ابن عباس : « لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل ، يقصد الذى قال لفرعون « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » وامرأة فرعون، والذى قال « يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » رواه ابن جرير . وفى صدر الإسلام أسلم عمار ابن ياسر ، وتعرض لتعذيب الكفار حتى اضطروه أن يعلنَ كفرَه ويسب محمدا ويذكر آلهتهم بخير ، ثم جاء إلى النبى يعتذر مما وقع منه ، فسأله الرسول ﷺ « كيف تجد قلبَك » ؟ قال مطمئنا بالإيمان ، فقال له الرسولُ ﷺ « إن عادوا فعد » ، وفى هذا نزل قول الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ... ﴾ الآيات النحل ١٠٦ رواه البيهقى ، ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن ينطق بكلمة الكفر إبقاء لحياته ويجوز له أن يأبى كما حدث من بلال رضى الله عنه ، فإن الكفار فعلوا به الأفاعيل حتى إنهم كانوا يضعون الصخرةَ العظيمة على صدره فى شدة الحر، ويأمرونه بأن يكفر بدين محمد فيأبى عليهم وهو يقول « أحَدٌ أحد » وكان يقول : « والله لو أعلم كلمةً أغيظ لكم منها لقلتُها » رضى الله عنه وأرضاه . . .

وكذلك ما حدث من حبيب بن زيد الأنصارى حين وقع فى يد مسيلمة الكذاب : فقال له مسيلمةُ الكذاب : أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول : نعم ، فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على ذلك حتى مات . هكذا يصنع الإيمان بأهله ، فيأتون بالمعجزات ، ويصنعون البطولات ، ويقدمون للمستضعفين فى كل زمان ومكان أمثلةً للصبر والصمود أمام الباطل وفى وجه الطغيان .

ولست أبالى حين أُقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى

الريـاء هو الشرك الأصغر

الحمد لله أوجب الإخلاص فى النيـة والصدق فى العمل ، ﴿ وما أمروا إلا ليـعبدوا الله مـخلصين له الدين ﴾ ، وأشـهـد أن لا إله إلا الله لا يقبل من العمل إلا مـا كان خالصا وابتغى به وجه الله ، وأشـهد أن سيدنا محمدا رسول الله أخلـص لله فى السر والعلانية ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مـحمد وعلى آله وصحبه .. وبعـد .. الشرك نوعان : شرك أكبر ، وهو أن يُشرك العبدُ مع الله إلهاً آخر ، وصاحبه والعياذ بالله حُرِّمَتْ عليه الجنة ، قال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ المائدة ٧٢ ، وشرك أصغر أو خَفِيّ وهو الرياء ، ومعناه أن يعـملَ العبدُ عـملا صالحـا لكنه لا يقصد به وجـهَ الله وحده بل ليقال عنه إنه كذا وكذا ، روى ابن مـسعود أن رسول الله ﷺ قال : « من أحسن الصلاةَ حين يراه الناس وأساءها حين يخلو فتلك استهانه استهان بها ربه عز وجل » وسُمى الرياء شركا لأن المـرء يشرك مع الله غيرَه فى العمل الذى يؤديه ، قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ الكهف ١١٠ ، فالعمل لا يُقبل عند الله إلا إذا كان مطابقا لشرع الله ، وخالصا لـوجه الله ، وسبب نزول هذه الآية كما روى ابن عباس أن رجلا قال يا رسول الله : إنى أقف المواقف أريد بها وجه الله وأحب أن يُرى مـوطـنى ، فلم يرد عليـه حـتى نـزلت هذه الآيـة ، رو الحاكم ، ويقول تعالى : ﴿ لا خير فى كثيـر من نجواهم إلا من أمر بصدقة

أو معروف أو إصلاح بين الناس ـ ثم قال ـ ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما ﴾ النساء ١١٤ ، فالإخلاص علامة القبول ، قال ﷺ : « أخلص دينك يكفك العمل القليل » رواه الحاكم . . كما أن القليل من الرياء شرك لحديث معاذ أن الرسولَ قال : « اليسير من الرياء شرك » رواه الحاكم ، ولذا حذرنا رسولُ الله ﷺ منه فقال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ، يقول الله عز وجل للمرائين إذا جزى الناسَ بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » رواه أحمد ، وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة أن الرسولَ ﷺ قال : يقول رب العزة : « أنا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه وهو للذى أشرك » والمراءون يفضحهم الله يوم القيامة قال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعوْن إلى السجود فلا يستطيعون... ﴾ القلم ٤٢/٤٣ .

روى البخارى من حديث لأبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » ، وروى أبو ذر أن الرسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، المنان بما أعطى، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ﴾ البقرة ٢٦٢ / ٢٦٣ . ثم يضرب الله مثلين . .

أولهما : لمن يمن بصدقته أو يرائى بهـا بأنها مثل حجر عليه تراب نزل مطر فمسح مـا عليه من تراب ، والمقصود بالمطر المن والرياء والمقـصود بالتراب الثواب ، والمثل الثانى لمن ينفق ابتغاء مرضاة الله فـمثله كجنة يصيبها المطر أو الطل فتـؤتى ثمارا مضـاعفة ، يقـول تعالى : ﴿ يأيهـا الـذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى...﴾ الأيتان ٢٦٤ / ٢٦٥ البقرة ، ولذا كان إخفاء الصدقة أفضلَ من إظهـارها لانه أبعد عن الرياء إلا أن يترتَّب على الإظهار مصلحـة راجحة كـاقتداء الناس به ، قـال تعالى : ﴿ إن تبدوا الصـدقات فنعم ما هى وإن تـخفوها وتؤتوها الفـقراء فهـو خير لكم ويكـفر عنكم من سيئاتكم والله بمـا تـعملون خبيـر ﴾ البقرة ٢٧١ ، وجـاء فـى الصحـيحين عـن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله بظله . . ومنهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » . مرَّ رسول الله ﷺ بأبى بكر يصلى بالليل سـرا ومرَّ بعمـرَ يصلى جهـرا فلما سألهـما في ذلك ، قـال أبو بكر : أسْـمَـعْتُ من أناجى ، وقـال عـمـر : كي أوقظ الوسنان « النائم » وأطرد الشيطان . فـقال الرسول لأبى بكر : « ارفع من صوتك ، وقال لعمرا خـفض من صوتك » رواه أبو داود والترمذى ، وفى القرآن ورد ذكر ناس قاموا بأعمال جليـلة ولم تذكر أسماؤهم ، كأصحاب الكهف ومـؤمن آل فرعون والخـضر . وحكى أن قـوما فيـما مـضى كانوا يعبدون شجرة ، فخرج رجل عابد من صومعـته فأخذ معه فأسا ليقطعها ، فتمثل له إبليس فى صـورة رجل ، وقال له : إلى أين أنت ذاهب ؟ قال : أقطع تلك الشجـرةَ التى يعبـدها الناس من دون الله ، فقال له اتركـها وأنا أعطيك درهمين كل يوم تجدهما تحت وسادتك إذا اسـتيقظت كل صباح ،

فطمع الرجل فى المال وانثنى عن غرضه ، فلما أصبح لم يجد تحت وسادته شيئا وظل كذلك ثلاثة أيام ، ثم خرج غاضبا ومعه الفأس ليقطع الشجرة ، فلقيه إبليس فى صورة رجل مرة أخرى وقال له : ارجع فلو دنوتَ منها قطعتُ عنقك ، لقد خرجتَ فى المرة الأولى غاضبا لله فما كان من أحد يقدر على منعك ، أما هذه المرة فقد أتيتَ غاضبا للدنيا التى فاتتك ، فما لك مهابة ، ولا تستطيع بلوغَ إربك ، فارجع عاجزا مخذولا . . ، فمن الناس من يؤدون أعمالا جليلة ، لكنهم يفسدونها بتوجيه نياتهم إلى العباد منتظرين منهم المديح والثناء ، وورد أن أول من تُسَعَّرُ بهم نار جهنم ثلاثة ، شهيد قَاتَلَ ليقال شجاع ، وعالم علَّم العلم ليقال بَحْرٌ ، وغنى أنفق المال ليقال كريم ،كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن أولَ الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ ، قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال : فما عملتَ فيها ؟ قال ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ، فعلت ليقال هو جواد . . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار » رواه مسلم .

امور استعاذ منها رسول الله ﷺ

الحمد لله الهادى إلى الخير وإلى طريق مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله يحفظ عباده المؤمنين ، وأشهد أن محمدا رسول الله طهر الله قلبه وشرح صدره ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد : يقول تعالى : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ الاعراف ٢٠٠ ، ويقول ﴿ **فإذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ النحل ٩٨ ، **فالله** يأمر بالاستعاذه من الشيطان اللعين عندما يوسوس للإنسان وعند قراءة القرآن الكريم ، وقد استعاذ رسول الله من أمور كثيرة وردت بها الأحاديث الصحيحة ، فاستعاذ من سخط الله وعقوبته ، واستعاذ من الجبن والبخل والعجز والكسل ، واستعاذ من عذاب القبر وفتنة النار وعذاب جهنم ، واستعاذ بالله من الجوع والخيانه واستعاذ من زوال النعمة وتحول العافية ، واستعاذ من البرص والجنون والجذام وسيىء الأسقام ، واستعاذ من وعثاء السفر ، واستعاذ بالله من جميع سخطه ، وكان يأمر بالتعوذ من كل ما يسىء ويضر ، كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماته الأعداء » وسنركز على أمور أربعة استعاذ منها رسولُ الله ﷺ كما جاء فى الحديث الذي رواه مسلم عن زيد بن أرقم : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

فالمسلم مطلوب منه أن يتعلمَ و يعملَ ويعلّمَ غيرَه ، فهذا خير ما فى الدنيا ، روى الترمذى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « الدنيا ، ملعـونـه ، ملعـون مـا فيهـا إلا ذكر الله تعـالى ومـا والاه وعالما أو متـعلما » وطلب العلم طريق إلى الجنة ، روى مـسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قـال : « من سلك طريقـا يلتمس فـيه علما سـهل الله له طريقا إلى الجنه »، وما خلـفه العالِم بعد موته ثوابه مـتصل ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ، وكل عالم سيُسأل يومَ القيامة ، روى الترمذى عن أبى برزة أن رسول الله قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فـيه ؟ وعن مالـه مـن أين اكتسـبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسـمه فيم أبلاه ؟ » فإذا تعلم الإنسان علما لا يرجـو من ورائه ثوابَ الله ، فقد أُبعد عن الجنة ، روى أبو داود عن أبى هريـرة أن رسول الله ﷺ قـال . « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتـعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيـا لم يجد عَرْف الجنة يوم الـقيامـة » : ريحهـا ، ويقول ﷺ فى الحديث الذى رواه ابن ماجه : « لا تعلّمـوا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا تماروا به السفـهاء ولا تخيـروا به المجالس ، فمن فـعل ذلك فالنار النار » وكتمان العلـم رذيلة وذنب عظيم ، روى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من سُئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » ، وكاتم الـعلم ملعون ، قـال تعالى : ﴿ إن الذين يكتمـون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعـد ما بيناه للناس فى الكتاب أوْلئك يلعنهم

الله ويلعنهم اللاعنون ...﴾ البقرة ١٥٩ / ١٦٠ ، وكذلك كل علم يؤدى إلى خراب كأدوات الحرب أو يؤدى إلى فساد كتخليق السموم البيضاء والمخدرات أو يشيع الفاحشة والرذيلة مثل الأفكار المسمومة أو المواد المسجلة على شرائط بغرض ترويج الانحلال بين الشباب ، كل هذا علم يضر ولا ينفع ومستعاذ منه .

كذلك استعاذ رسول الله من قلب لا يخشع ، فخشوع القلب دليل على الإيمان ، وقسوته علامة على الحرمان ، قال تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ، الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ الزمر٢٢/٢٣ ، وقال تعالى : ﴿ **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ..﴾ الانعام ١٢٢ ، وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ...﴾ الآيات الانفال ٢ / ٤ ، وقال تعالى فى الذين أنعم عليهم : ﴿ **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** ﴾ مريم ٥٨ ، فالقلب الخاشع لا يَرِدُ النار ، وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يلج النارَ رجل بكى من خشية الله حتى يعودَ اللبنُ فى الضرع ، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم » ، ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله « رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » متفق عليه ومروى عن أبى هريرة ، وكان رسول الله يعظ صحابته

فيقول : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ـ ويقول روای الحديث أنس « فغطّى أصحابُ رسول الله وجوهَهم ولهم خنين » أي بكاء مع غنّة من الأنف ـ متفق عليه ، ويروى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يصلى ولجوفه ـ أي صدره ـ أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وقد عتب الله على المؤمنين الأولين فقال : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ...﴾ الحديد ١٦ ، وما أبعد الفرق بيننا وبينهم اليوم !! . كذلك استعاذ رسول الله من نفس لا تشبع ولا تقنع ، فقد جبل ابن آدم على الشره والطمع ، رُوى عن ابن عباس وأنس الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » ، مع أن الإنسان ليس له من ماله إلا ما قدم ، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « يقول ابن آدم : مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » وفى الحديث المتفق عليه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاثة : أهلُه وماله وعمله ، فيرجع أثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله » ، واستعاذ رسول الله ﷺ من دعاء لا يستجاب ، وذلك أن للدعاء آدابا وشروطا لابد من توافرها حتى يكون أدعى للقبول عند الله منها

١) التوبه إلى الله ٢) طيب المطعم والمشرب والملبس

٣) خشوع القلب ٤) استقبال القبلة

٥) أن يكون الداعى على طهارة

٦) أن يقدم بين يَدَى دعائه صَدقة

٧) أن يصادف الدعاءُ وقتا من أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل أو عند الأذان أو بين الأذان والإقامة أو عقب الصلوات المفروضة أو عند صعود الإمام المنبر يوم الجمعة وعند آخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة

٨) ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم قال تعالى : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ المائدة ٢٧ ، وروى مسلم والترمذى وأحمد أن رسول الله قال : « يأيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ **يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم** ﴾ وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يمد يديه الى السماء يا رب يا رب : فانى يستجاب لذلك ؟ . . . »



وعنده مفاتيح الغيب

الحمد لله عالم الغيب والشهادة ، وأشهد أن لا إله إلا الله يعلم ما يلج فى الأرض ومـا يخرج منها ومـا ينزل من السمـاء وما يعـرج فيـها ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قال كما حكى عنه القرآن : « ولو كنت أعلم الغيب لاستـكثرت من الخير وما مـسنى السوء » ، اللهم صلى وسلم وبارك على سـيدنا مـحمـد وعلى آله وصحبه .. وبعـد ، فالإنسـان بين حالات ثـلاث إما ماض انـتهى بما فـيه لا يدرى مـا الله قاضٍ فيـه ، وبين حاضر هو ملك يده يستطيع أن يملأه بالخير أو بالشر ، وبين مستقبل لم يأت بعد لا يعلمه إلا علام الغيوب قال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غدٍ عم

فالمستقبل والغيب لا يعلمهما إلا الله ، قال تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ الرعد ٩ ، وقال : ﴿ ولله غيب السموات والأرض ﴾ هود ١٢٣ ، حتى الرسول ﷺ لا يعلم عن الغيب إلا ما أطلعه عليه ربه ، قال تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعـلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا مـا يوحى إلىَّ ...﴾ الانعام ٥٠ ، وقال : ﴿ قل لا أملك لنفسى نـفعا ولا ضـرا إلا ما شاء الله ولو كـنت أعلم الغيب لاستـكثرتم من الخير ومـا مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشـيـر لقوم يؤمنون ﴾ الأعراف ١٨٨ ، فإذا كان الله هـو الذى يعلم الغيب ، فكيف يليق بمسلم أن يذهب إلى عبد جاهـل يطلب منه أن يخبـره بالمستـقبـل ، ويكشف لـه الغيب ويقـرأ لـه الطالع .. إن هذا التصـرف هو الكفر بعينه كمـا جاء فى الحديث « من

أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : « من أتى عرافا عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » ، وقد قيل : « كذب المنجمون ولو صدقوا » قال تعالى : ﴿ **وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ الانعام ٥٩ ، فهذه الامور المغيبات استأثر الله بعلمها ، لا يعلمها نبى مرسل ، ولا ملك مقرب إلا من أطلعه الله ، قال تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول...** ﴾ الجن ٢٦ ، وقال تعالى : ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء** ﴾ آل عمران ١٧٩ ، روى البخارى وأحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿ **إن الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ لقمان ٣٤ ، فالأولى «علم الساعة» وهى القيامة قال تعالى : ﴿ **اليه يرد علم الساعة** ﴾ فصلت ٤٧ ، وقال : ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله و لكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ الاعراف ١٨٧ ، وقال : ﴿ **وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد** ﴾ الشورى ١٧ ، وفى الحديث الذى رواه مسلم عن عمر الذى جاء فيه جبريل للرسول ﷺ على

هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم قال : فأخبرني عن الساعة قال : « ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل » الحديث ، والثانية « ينزل الغيث » : أي الماء الذى يغيث البلاد والعباد والعجماوات ويعلم وقتَ ومكانَ نزوله وكميته وأين يذهب ، قال تعالى : ﴿ **أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو شاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون** ﴾ الواقعة ٦٨ / ٧٠ ، وفى الحديث : كان إذا شرب رسول الله ﷺ قال : « الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمتة ولم يسقنا ملحا أجاجا بذنوبنا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ النحل ١٠ / ١١ . . ، والثالثة : « يعلم ما فى الأرحام » أى - يعلم كل شيء عن الجنين من حيث نوعه ووقت ميلاده وموعد وفاته وما يحدث له فى مشوار حياته ، كما أنه سبحانه يعلم ما تحمل كل أنثى فى عالم الإنسان والحيوان قال تعالى : ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ الرعد ٨ ، وقال : ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ فصلت ٤٧ ، الرابعة : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا » أى لا يعلم أى إنسان ماذا يحدث له فى المستقبل من خير أو شر ، فقد يخيط الثوب ولا يلبسه ، ويبنى الدار ولا يسكنها ويزرع الزرع ولا يمتد به الأجل حتى يأكل منه ، الخامسة : « وما تدرى نفس بأى أرض تموت » أى أن - الإنسان لا يعرف أين يموت ، هل سيموت على فراشه ووسط أهله ، أم يموت غريبا ؟ ولا يعرف كيف

يموت ، هل سيمـوت موتة عادية أم فى حادث غـرق أو حرق إلى آخره ؟ ولا يعـرف أيضا مـتى يموت ؟ فكل إنسان يعـرف تاريخ ميـلاده ، لكنه لا يعرف تاريخَ رحـيله عن الدنيا ، وإذا أراد الله مـوت إنسان فى أرض غـير وطنه هيأ له من الأسباب ما ينقله إلى المكان الذى قدر الله فيه نهاية حياته ، روى الإمام أحمـد والترمذى أن رسول الله ﷺ قـال : « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة » ويقول الشاعر :

مشيناها خطاً كُتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومـن كانت منيتـه بأرض فليـس يمـوت بأرض سواها

فما دام الله علام الغيوب ، وهو أيضا غفار الذنوب ، يفرح بعبده حين يتوب ، فعمِّـر قلبك بالإيمان ، وحسِّن ظنك بالله ، وسلم أمرك لربك وارض بما قسم لك ، ولا تضيع عمرك فى المعاصى ، ولا تشغل نفسك بما لا يفيد ، فالحياة قصيرة ، وكفاك ما فات قال ﷺ : « ذاق طعم الإيمان مَن رضى بالله ربا و بالإسلام دينا وبمحمد رسولا » . . . .



التفكير والتأمل فى خلق الله

الحمـد لله رفع السمـوات بغيـر عمد ترونهـا ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أمر عباده بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، إن فى ذلك لذكرى لأولى الالباب ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ما وقع بصره على شيء إلا رأى لله عليه فيه نعمة ، وله منه عبرة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

فالمسلم كـما هو مطالب بتـدبر آيات الله القرآنيـة ، مطالب أيضا بتدبـر آيات الله الكونية ، فـالقرآن كتـاب الله المسطور والكون كـتاب الله المنظور ، فالله أمـر بالنظر فى الكون قـال تعالى : ﴿ قل انظروا مـاذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ يونس ١٠١ ، وقال تعالى : ﴿ أفلا ينـظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السـماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ الغاشية ١٧/ ٢٠ ، وقال تعالى: ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقـهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مـددناها وألقينا فـيها رواسى وأنبـتنا فيـها من كل زوج بهيج تبـصرة وذكرى لكل عـبد منيب ﴾ ق الآيات ٦/ ١١ ، والهـدف من ذلك التبـصرة والذكرى ليزداد المؤمنون إيمانا قـال تعالى : ﴿ يدبر الأمر يـفصل الآيات لعلكم بـلقـاء ربكم توقنون ﴾ الرعد ٢ ، وقال تعـالى : ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ الروم ٢٨ ، ولذا ختم الله آيات التـدبر والتفكر بقوله : ﴿ إن فى ذلك لآيات لقـوم يتـفكرون .. لقوم يسـمعون .. لقـوم يعقلون ﴾ ٢١، ٢٣، ٢٤ الروم. ﴿لآيات لأولى الألباب ﴾ آل عمران ١٩٠ ﴿ لآية لقوم يذكرون ﴾ النحل ١٣ . ولو تفكرالخلق فى مخلوقات الله لعـرفوا قدرته فلم

يعصوه ، فالمؤمن مـأمور بأن ينظر فى نفسه قال تعالى : ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ الذاريات٢١ ، فيتدبر مراحل خلقه وتكوينه ، قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سـلالة من طين ثم جعلناه نطفـة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فـخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ المؤمنون ١٢/١٤ ، وفى الحديث المتـفق عليه المروى عن ابـن مسـعود قـال رسول الله ﷺ : « إن أحـدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك . . . الحديث » ويتدبر أيضا مراحل العمر من طفولة إلى شباب إلى شيخوخة ، قال تعالى : ﴿ **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعـد ضعف قوة ثم جعل من بعـد قوة ضعفـا وشيبة يخلق مـا يشاء وهـو العليم القدير** ﴾ الروم ٥٤ ، ويتدبر الهيئة السـوية التى خلقه الله عليها ﴿ **يأيها الإنسـان ما غرَّك بربك الكـريم الذى خلقك فسواك فـعدلك فى أى صـورة مـا شاء ركـبك** ﴾ الانفطار ٦/٨ ، ويتدبر أيـضا ما ركـبه الله فـيه من الجوارح ، قـال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم مـن بطون أمهاتكم لا تـعلمون شيـئا وجعل لكم السـمع والأبصار والأفئـدة لعلكم تشكرون** ﴾ النحل ٧٨ ، وقال ﴿ **ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين** ﴾ البلد ٨/٩ ، فلكل إنسان لسان ، لكن اللغـات اختلفت مـن جنس إلى جنس ، قال تعـالى : ﴿ **ومن آياته خَلْقُ السـموات والأرض واخـتلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ الروم ٢٢ ، وعلى المؤمن أيضـا أن يتـفكر فى خلق السـمـوات والأرض أى فى ارتفاع السموات واتساعها ، وانخفاض الأرض وانبساطها ، وما فيـهما من الآيات المشاهَدة من كـواكب سيارة وثابتة ، وبحـار وجبال

وقفار وأشجار ونبات وحيوان ومعادن ومنافع ، قال تعالى : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ آل عمران ١٩٠ ، روى البخارى ومسلم وأبو داود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاته من الليل بهذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران ، كما روى ابن حبان فى صحيحه أنه ﷺ قال عن هذه الآيات « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » ، فعلى المؤمن أن يتأمل فى السموات التى قال الله فيها : ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** ﴾ الانبياء ٣٢ ، وقال : ﴿ **ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين** ﴾ الحجر ١٦ ، فيسرح ببصره فى ملكوت الله الواسع ، قال تعالى : ﴿ **الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾ الملك ٣/٤ ، ويردد مع أولى الألباب ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ آل عمران ١٩١ ، عندئذ يرى قدرة الله وعظمته على صفحة السماء الزرقاء أو السوداء من نجوم وكواكب وشموس وأقمار ، كلٌ يسير فى فلكه ، لا يتخلف عن زمنه ، قال تعالى : ﴿ **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾ يس ٤٠ ، وقال تعالى: ﴿ **وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون** ﴾ الانبياء ٣٣ ، ويفكر أيضا فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما من حيث النور والظلمة والزيادة والنقصان والحر والبرد ، قال تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** ﴾ الفرقان ٦٢ ، ويتأمل أيضا فى أن الله جعل الليل للراحة والنهار للسعى ، قال تعالى :

﴿ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ﴾ الفرقان ٤٧ ، وقال تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ القصص٧٣ ، فإذا مدَّ الإنسان بصره إلى الأرض فسيرى من آيات ربه الكبرى ، يرى حوله حيوانات مختلفة ، بعضها يطير وبعضها يعوم ، وبعضها يزحف ، وبعضها يمشى على رجلين ، وبعضها يمشى على أربع قال تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ النور٤٥ ، والله يلفت أنظارنا إلى الأنعام فيقول : ﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة نُسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴾ النحل ٦٦ ، كما يلفت نظرنا إلى مملكة النحل فيقول : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذُلُلا يخرجُ من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ النحل ٦٨ / ٦٩ ، فإذا تركنا عالم الحيوان بما فيه من عجائب وغرائب ، وتدبرنا عالم النبات ، لرأينا أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ﴾ فاطر ٢٧ ، وآمنا بأن الله فالق الحب والنوى وأنه الزارع الحقَّيقى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ الواقعة ٦٣/٦٤ ، وتأملنا هذه النباتات التى تُسقى بماء واحد مع اختلاف طعومها ﴿ يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ﴾ الرعد٤ ، والله يأمرنا بالنظر إلى الثمار إذا أينعت قال تعالى : ﴿ انظروا إلى

مره إذا أثمر وينعه ﴾ الانعام ٩٩ ، وقال تعالى : ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجه ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ النمل ٦٠ ، ولو انتقلنا إلى عالم البحار لرأينا قدرة الله فى تسخير البحر لتسير فيه السفن العملاقة وليخرج منه اللحم الطرى « السمك » واللؤلؤ والمرجان ، قال تعالى : ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ النحل ١٤ ، ومن البحار تتبخر المياه العذبة فتسوقها الرياح فتسقط حيث أراد الله ، قال تعالى : ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴾ النور ٤٣ ، وقال : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ الرعد ١٧ ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ... ﴾ الزمر ٢١ . ولو تأملنا الجبال لعلمنا أن الله جعلها أوتادا للأرض قال تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ﴾ النبأ ٦/٧ ، وقال : ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ﴾ لقمان ١٠ ، وهكذا أينما توجهت وحيثما نظرت تطالعك قدرة الله وعظمته ، ففى كل شيء له آية تدل على أنه الخالق القادر ، فالمؤمن يزداد إيمانه بالنظر فى كون الله ، أما الكافر فلا تفيده العبر ، ولا تنفعه المواعظ ، قال تعالى : ﴿ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ يوسف ١٠٥ / ١٠٦ ، فهل تعتبر البهائم ؟ قال تعالى : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ الفرقان ٤٤ ، فالتفكر طريق الإيمان والإيمان طريق إلى الجنة .



الحمـد لله الذى أسرى بعبده ليـلا من المسجد الحرام إلى المسـجد الأقصى الذى باركنا حـوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله أوحى إلى عبـده ما أوحى ، وأشهد أن سـيدنا محمدا رسـول الله رأى من آيات ربه الكبرى ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

كلما جاء شهر رجب عادت إلينا ذكرى الإسراء والمعراج التى كرّم الله بها رسـوله صلى الله عليه وسلم ، والإسـراء معناه السـفر ليلا ، فـقد انتقل رسول الله بصحبة جبريل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ليلا على البراق ، والمعراج معناه الصعود ، ولقد صعد رسول الله مع جبريل إلى السموات السبع فـسدرة المنتهى ، وقد أعد الله لرسوله هذه الرحلة تكريما له وتطييباً لقلبه عندما ماتت زوجه خديجة وكانت تسرّى عنه ومات أيضا عمه أبو طالب وكان يدافع عنه ، فخرج إلى الطائف لعله يجد بها قلوبا مصغية ، لكنهم أغْرَوْا به سفـهاءهم فرموه بالحجارة حتى أدْموه ، وفى العودة إلى مكة رفع الرسـول ﷺ بصره إلى السمـاء وقال : « اللهم إليك أشكو ضـعف قوتى ، وقلة حـيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحـمين ، أنت رب المستـضعـفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ؟

إن لم يكن بك غضب علّى فلا أبالى ، ولكن عـافيتك هى أوسع لى ، أعـوذ بنور وجـهك الذى أشرقت له الـظلمات ، وصلـح عليه أمـر الدنيـا والآخرة من أن تنـزل بى غضـبك ، أو يحل على سـخطك ، لك العتـبى حتى ترض ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم » فكانت هذه

الرحلة تسريةً له وتعزية ، وكانت قبل الهجرة بعامين ، وقد تواردت الأدلة على ثبوتها فى القرآن والسنة والإجماع ، يقول تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ..** ﴾ ويقول : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى ، لقد راى من آيات ربه الكبرى** ﴾ النجم ١٧/١٨ . وقد خرَّج حادثةَ الإسراء الشيخان وأحمد وغيرهم ، وجاءت عن أكثر من خمس وأربعين صحابيا (ذكره الزرقانى وذكر السيوطى أنها جاءت عن أكثر من خمسة وثلاثين صحابيا) ، ونقلت إلينا جيلا بعد جيل حتى صارت معلومةً من الدين بالضرورة ، وأكثر العلماء على أن الإسراء كان بالبدن والروح يقظة لا مناما ، ولا مانع أن يكون الرسول أُسرى به مناما ثم يقظه ، لأنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، واستدلوا على أنها كانت بالبدن والروح بقوله تعالى : ﴿ **أسرى بعبده** ﴾ ، فكلمة بعبده تدل على الروح والجسد ، وأيضا ثبت أن الكفار كذبوه حين ذكر لهم أمر الرحلة ، كما أن بعض المسلمين أرتدوا ، ولو كانت مناما لما كذبوه ، ويؤيد هذا قولُه تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ فالبصر من آلات الجسد لا الروح ، وأيضا ثبت بالأدلة القاطعة أنه ركب البراق ، ولو كانت الرحلة بالروح لما احتاج إلى البراق . وأحداث الرحلة كما جاء فى الروايات تتلخص فى أن جبريل جاء للرسول ﷺ بالبراق ، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طَرْفه ،ركبه الرسولُ حتى أتى بيت المقدس ، فربطه بالحلقة ، ودخل المسجدَ فصلى ركعتين ، ثم خرج فأتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فمد يده إلى اللبن ، فقال له جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج به إلى السماء فوجد فى السماء الأولى آدم أبا البشر ،

وفى السماء الثانية ابنى الخالة يحيى وعيسى ، وفى الثالثة يوسف ، ويقول عنه الرسول إنه أُعطى شَطْر الجمال ، وفى الرابعة إدريس ، وفي الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وهو لأهل السماء كالكعبة المشرفة لأهل الأرض ، تطوف به الملائكة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه ، ثم بلغ الرسولُ ﷺ سدرةَ المنتهى فأوحى الله اليه ما أوحى ، وفُرضت عليه الصلوات خمسا فى العمل وخمسين فى الثواب ، ثم عاد ، وقد جاء عن أبى هريرة أن رسول الله رأى فى رحلته قوما يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عادوا كما كان ، فسأل جبريل فاخبره أنهم المجاهدون فى سبيل الله تُضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، كما رأى آخرين أمامهم لحم طيب ولحم خبيث ، فيتركون الطيب ويأكلون من اللحم الخبيث فأخبره جبريل بأنهم الزناة يتركون ما أحل الله ويتلوثون بما حرم الله ، وراى قوما تُقرض ألسنتُهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرضت عادت ، فأخبره جبريل بأن هؤلاء هم خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجعَ من حيث خرج فلا يستطيع ، فأخبره جبريل بأن هذا هو الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، وأتى على رجل قد جمع حزمةً عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فأخبره جبريل بأن هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات للناس لا يقدر على أدائها ، وهو يريد أن يحمل عليها . . وبعد رحلته عاد إلى مكة ، وفى الصباح جلس رسول الله فى الحِجْر معتزلا حزينا ـ كما روى الإمام أحمد عن ابن عباس ، وكما

جاء فى الصحيحين ـ فمر به أبو جهل ، فسأل الرسول كالمستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال الرسول : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : إنى أُسرى بى الليلة إلى بيت المقدس ، فقال أبو جهل : وأصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم : فلم يُرِد أن يكذبه مخافَة أن يجحدَ الحديث إن دعا قومَه إليه ، فقال له أبو جهل : أرأيتَ إن دعوتُ قومَك أتحدثُهم بما حدثتنى ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم : فجمع أبو جهل الناس قاصدا إحراج رسول الله ثم قال للرسول : حدثهم بما حدثتنى ، فحدثهم الرسول ، أنه ُسرى به إلى بيت المقدس الليلةَ . . قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم فاندهش القوم وتعجبوا ، ثم قالوا له : أتستطيع أن تصف لنا بيت المقدس ؟ ومنهم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، يقول ﷺ : فجلَّى الله بيتَ المقدس فطفق يصفه لهم ، فقال القوم : أما الوصف فوالله لقد أصاب فيه . وقد ذهب بعض ناس من قريش إلى أبى بكر فقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه أُسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال : لئن كان قال ذلك لقد صدق. . أنا أصدقه فى خبر السماء. . أفلا أصدقه فى ذلك ؟ فلذلك سُمِّى أبا بكر الصديق . وستظل ذكرى الإسراء والمعراج تذكرنا بجهاد رسول الله فى سبيل الدعوة ، وتلفت نظرنا الى منزلته عند ربه وتستصرخنا لإنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين المسجد الأقصى من أيدى الصهاينة الذين لعنهم الله



الصلاة عماد الدين

الحمد لله أمر بإقامة الصلاة ، وجعلها عماد الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله حكم بالفلاح على الخاشعين فى الصلاة المحافظين عليها ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله جُعلت قرة عينه فى الصلاة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

الصلاة هى العبادة الوحيدة التى فُرضت من فوق سبع سموات ، حين أُسرى بالرسول ﷺ ، فقد فرض عليه ربُّه الصلاة خمسين فى الثواب وخمسا فى العمل فى اليوم والليلة ، ونزل جبريل صبيحةَ ليلة الإسراء والمعراج فعلَّم الرسولَ كيفية الطهارة للصلاة وكيفية أدائها وبيَّن له أوقاتها ـ كما جاء فى الحديث الذى رواه أحمد والنسائى والترمذى ، ثم صلَّى بصلاة جبريل وقال ـ كما روى البخارى « صلوا كما رايتمونى أصلى » وبهذا اكتسبت الصلاة أهميتها فى الإسلام ، وقد أمر الله بها المسلمين فى آيات كثيرة ، قال تعالى : ﴿ **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم** ﴾ إبراهيم ٣١ ، فهى عمود الإسلام كما جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن معاذ ، وهى الركن الثانى من أركان الإسلام كما جاء فى الحديث المتفق عليه المروى عن ابن عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قال : « بُنى الإسلام على خمس:شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة» وقد أُمر رسولُ الله أن يُقاتل الناسَ من أجل الصلاة: قال ﷺ «أُمرت أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ... » رواه ابن عمر وهو متفق عليه ، وهى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهى أول ما يُحاسب عليه

العبد يوم القيامة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله ، كما رواه الترمذى والطبرانى ، وهى آخر وصية وصَّى بها رسول الله ﷺ حيث كان يقول وهو يلفظ أنفاسه : « الصلاةَ الصلاةَ وما ملكت أيمانكم » . وأداؤها فى وقتها من أفضل الأعمال كما جاء فى الحديث المتفق عليه المروى عن ابن مسعود أنه سأل رسولَ الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها . . » وحين طُعِن عمر وهو يصلى بالناس أناب عبد الرحمن بن عوف ليصلى بالمسلمين وكان يقول : « لاحظٌ فى الإسلام لمن ترك الصلاة » والصلاة عبادة قديمة ، فالله يقول عن إبراهيم : ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة ﴾ إبراهيم ٣٧ ، ويقول : ﴿ رب أجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾ إبراهيم ٤٠ ، وفى أول لقاء لموسى بربه قال له :﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ طه ١٤ ، ويقول الله عن عيسى : ﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ مريم ٣١ ، ويقول عن إسماعيل : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ مريم ٥٥ ، ويقول الله لرسوله ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ طه ١٣٢ ، وفى الميثاق الذىَ أخذه الله على بنى إسرائيل يقول : ﴿ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ..﴾ المائدة ١٢، ويوصى لقمانُ أبنه فيقول : ﴿ يا بنى أقم الصلاة ..﴾ لقمان ١٧ . والصلاة لقاء متجدد بين العبد وربه ، لا يحرم منه إلا شقى ، ولا عذر لتركها إلا عند ذهاب العقل أو فى حالة عذر شرعى كالحيض والنفاس ، فكل مسلم ومسلمة بلغ العاشرة يُفرض عليه آداء الصلاة ، بوضوء أو تيمم ، قائما أو قاعدا أو على جنب[1] قال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ البقرة ٢٣٨ . فهى تُؤّدى فى السفر وفى الحضر وفى حالة الصحة أو المرض والخوف أو الأمن ، ومن أجل ذلك شرعت

(١) به ـ ﷺ (صل قائما ، فإن لم تستطع فجالسا ، فإن لم تستطع فعلى جنب

صلاة الخوف وهى مفصلة فى كتب الفقه ، وهى التى دخل وقتها وجيش المسلمين يحارب ، فلا يمنعه لقاءُ العدو من آداء الصلاة ، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ..** ﴾ النساء ١٠٢ ، ولهذا حكم علماء السلمين على تارك الصلاة جحوداً لها بالكفر ، أما من تركها كسلا وتشاغلا فهو فاسق ويستتاب ، وإلا قُتل حداً ، وبعض العلماء يرى أنه يُضرب حتى يصلى ، وحملوا الأحاديث التى تثبت كفرَ تارك الصلاة كسلا على التغليظ ، وحملها بعضهم على الكفر مطلقا ، ويرون أن ترك الصلاة دليل على الكفر كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » . والحديث الذى رواه الترمذى عن بريدة أن النبى ﷺ قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »

وقد توعد الله تاركى الصلاة بالعذاب الأليم قال تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين: ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ..** ﴾ المدثر ٣٨/٤٨ ، وقال تعالى : ﴿ **كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق ، وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ، فلا صدق ولا صلى ..** ﴾ القيامة ٢٦/٣٢، وروى عن عبد الله بن عمر وأن رسول الله ﷺ ذكر يوما الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبىّ بن خلف » رواه أحمد والطبرانى وابن حبان ، وقد

علق بعض العلماء على هذا الحديث فقال : من شغله ماله عن الصلاة كان مع قارون ، ومن شغله ملكه كان مع فرعـون ، ومن شغلته رياسته كان مع هامان ، ومن شغلته تجارته كان مع أبيّ بن خلف .

فاتقوا الله عباد الله وأدوا الـصلوات وحافظوا عليها تكن لكم نورا ونجاة يوم القـيامة وأمنا وراحة فى الدنيـا ، وصدق الله ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين** ﴾المعارج ١٩/ ٢٢ .



الخشوع فى الصلاة والمحافظة عليها

الحمد لله فرض الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر بالمحافظة على الصلوات والخشوع فيها ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كان إذا حزّبه أمر فزع إلى الصلاة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد

قلت فى الخطبة السابقة إن الصلاةَ فُرضت من فوق سبع سموات خمسا فى العمل وخمسين فى الثواب ، حين عُرج برسول الله ﷺ وقلت إنها أول ما يحاسب عليه العبد وإنها ركن عظيم من أركان الاسلام . .

واليوم أقول : إن الله سبحانه وتعالى أمر فى كتابه الكريم بالمحافظة على الصلوات ، قال تعالى: ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ البقرة ٢٣٩ ، فهذا أمر من الله بأن نحافظ على كل الصلوات خاصة الصلاةَ الوسطى . . قيل هى الصبح لأن بها قنوتا عند الشافعى ولأنها تتوسط صلاتين نهاريتين هما الظهر والعصر وصلاتين ليليتين هما المغرب والعشاء .

لكن الذى عليه أكثر العلماء أنها صلاة العصر لحديث « الصلاة الوسطى صلاة العصر » رواه أحمد ، وروى أحمد ومسلم أن رسول الله ﷺ قال يوم غزوة الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاةِ العصر ملأ الله قلوبَهم وبيوتَهم ناراً » ويؤكد هذا الحديثُ الصحيح « من فاتته صلاةُ العصر فكأنما وَتر أهلَه ومالَه » ، وفى رواية « فقد حبط عمله » وفى صفات المؤمنين الذين حكم الله لهم بالفلاح يقول تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ الى أن قال ـ والذين هم على**

صلواتهم يحافظون ﴾ المؤمنون ٢، ٩، فقـد وصف الله المؤمنين المفلحين بأنهم يخشعون فى صلاتهم ويحافظون عليها ، وقد كان رسول الله يصلى ولجوفه أزيز كـأزيز الرجل من البكاء » رواه ابن خزيمة وابن حـيان ، فـالعبـد فى صلاتـه يقف أمام ملك الملوك ذى العزة والجبروت ، أخـرج البيهقى مرفوعا « من أحسن الصلاة حين يراه الناس ، وأساءها إذا خلا فذلك اسـتهانة استهان بها ربه » ، فعليه أن يتأدب مع ربه ويخشع فى صلاته ، ولا يفتح بابا للشيطان يفسد عليه عبادته . روى أبو هريرة الحديثَ المتـفقَ عليه « إذا نودى للصلاة أدبر الشـيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يَخْطِرَ بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا .. اذكر كذا »

ومن الخـشوع ألا يلتـفت يمينا أو شمـالا ، وأن لا ينظر إلى السـماء بل عليـه أن يجعل بصره فى مـصلاه .. روى البخارى ومسلم عن عـائشة رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يلتفتُ فى الصـلاة ، فقال اختلاس يختلسـه الشيطان من صلاة العبد » ، وروى الإمام أحمد حديث « لايزال الله مقبلا على عبده مادام العبد مقبلا عليه فى صلاته فإذا التـفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه » . وقـد توعَّد الرسولُ ﷺ الذين ينظرون إلى السماء فى صلاتهم فقال : « لينتـهين أقوام عن رفعهم أبصارهم إلى السـماء فى الصلاة أو لتخطفـن أبصارهم » رواه مسلم والنسائـى ، ومن آداب الصلاة ألا يسبق المأموم الإمـام فى ركوع أو سجـود ، جاء فى الحديث المتـفق عليه أن رسـول الله ﷺ قال : « أما يخـشى أحدكم إذا رفع رأسـه قبل الإمام أن يجـعل الله رأسَه رأس حـمار أو صـورته صـورة حمـا ر » وفى رواية « أو صـورته كلب » ، ومن آدب الصـلاة أيضـا أن يطمئن المصلى فى صلاته فيُتم ركوعَها وسجودَها ، فإذا فعل ذلك تقول له الصلاة : « حفظك الله كما حفظتنى » وإلا قالت له : « ضيعك الله كما ضيعتنى »

رواه الطبراني والبيهقي .

وفي هذا يقول ﷺ فيما يرويه أبو داود وابن حبان « إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها ، إلا ربعها ، إلا خمسها ، حتى بلغ عشرها » ، وقد نهى الرسول ﷺ عن نقرة الغراب كما جاء في رواية أحمد وأبو داود والنسائي - يعني ترك الطمأنينة في الصلاة وسرعة السجود بقدر ما يلتقط الغراب بمنقاره الحب وقد عدَّ رسولُ الله ﷺ ذلك سرقةً ، روى الطبراني عن أبي هريرة حديث « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، فقالوا يا رسول الله ، وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لايتم ركوعها وسجودها » . روى أحمد والشيخان عن أبي هريرة قال : دخل رجلٌ المسجدَ فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام وقال ارجع فصل فإنك لم تصل » فرجع « ففعل ذلك ثلاث مرات ، فقال : والذي بعثك بالحق ما أُحسن غير هذا فعلمني . قال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » .

وصلاة التطوع تجبر ما وقع من نقص في الصلوات الفروضة ، حيث يقول تعالى : انظروا . .هل لعبدي من تطوع يكمل به ما انتقص من الفريضة ؟ » رواه الترمذي وغيره

والصلاة القائمة على الخشوع والإخبات تضيء الوجه وتنير القلب وتقوم السلوك قال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ العنكبوت٤٥ . . اللهم اجعلنا من مقيمي الصلاة ، وأحسن وقوفنا بين يديك . . آمين .

الأخوة والصداقة فى الله

الحمد لله جعل المسلمين أخوة متحابين ، وأشهد أن لا إله إلا الله أقام العلاقة بين عباده على المودة والتراحم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمدا وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد ..

فالإنسان فى مشوار حياته لا يستغنى عن صديق يتخذه أخا يبثه شكواه ويستعين برأيه فيما يعرض له منْ مشكلات ، ويقدم له النصح خالصا لله ، ويتواصيان بالحق والصبر ، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ورُبَّ أخ لك لم تلده أمك ، والمؤمن هيِّن ليِّن إلف مألوف ، روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناسَ ولا يصبر على أذاهم » . ولذا شُرعت الجماعات وفرضت صلاةُ الجمعة ، لكن إذا كانت الصداقة ضرورة لابد منها ، فعلى المسلم أن يختارَ أصدقاءه من الذين يذكّرونه إذا غفل ، وينبهونه إذا سها ، ويصلحون من عيبه ، ويحضونه على الخير . . قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

فالمسلم لا يصادق إلا مؤمنا تقيا ، روى أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى » ويقول تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ آل عمران ٢٨ ، وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصارى أولياء ﴾ المائدة ٥١ ، وبالنسبة للزوجة يقول ﷺ : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك » متفق عليه .

فكل إنسان يُحْكَمُ عليه من خلال صداقاته ، وكل ألف يقع على إلفه والطيور على أشكالها تقع ، وروى مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » ، وروى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة أيضا أن رسولَ الله ﷺ قال : « الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »

قال الشاعر :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

فالصديق يتأثر بأصدقائه ويؤثر فيهم ، إن خيراً وإن شراً كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه المروى عن أبى موسى الأشعرى : « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيَك ـ يعطيك ـ وإما أن تبتاعَ منه ،وإما أن تجد منه ريحا طيبه ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » ، ويقول الشاعر :

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه   يعدى كما يعدى السليم الأجرب

والصداقة فى الإسلام لابد أن تقوم على الحب فى الله والإخلاص فى النصح ، روى الحاكم وأحمد والترمذى حديث : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »

فيشعر الأصدقاء بحلاوة هذه الأخوة ، رُوِى عن أنس الحديثُ المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا الله ، وأن يكره ان يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » ، ورُوى عن أبى هريرة الحديثُ المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله . . ومنهم رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » ، فالحب فى الله علامة على الإيمان فى الدنيا وطريق إلى الجنة فى الآخرة قال ﷺ : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » رواه أحمد ، فالمتحابون فى الله يوم القيامة يكونون فى أمن وفى ظل الله ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » وروى الترمذى عن معاذ أنه سمع رسولَ الله يقول : « قال الله عز وجل المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » . وروى مالك فى الموطأ عن معاذ أيضا أن رسول الله قال : « قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىَّ والمتجالسين فىَّ والمتزاورين فىَّ » ، ولقد أمر ديننا أنه إذا أحب المسلم مسلما أن يخبره بذلك ، فذلك أدعى لدوام هذه الأخوة ولقبولها عند الله ، روى أبو داود والترمذى عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه » وروى أبو داود عن أنس أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمر رجل به ، فقال يا رسول الله إنى لأحب هذا ، فقال له النبى ﷺ أأعلمتَه ؟ قال : لا ، قال : أعلمه ، فلحقه فقال : إنى أحبك فى

الله ، فقال : أحبك الله الذى أحببتنى له » .

أما الصداقة المزيفة التى تكون لمصلحة دنيوية أو منفعة مؤقته فهى لا تدوم لأنها ليست لله وما كان لله دام واتصل . . ومن واجبات الصداقة أن يزور الصديقُ صديقه ، وأن يعودَه إذا كان مريضا ، روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه ؟ قال : لا ، غير أننى أحببتُه فى الله تعالى ، قال : فإنى رسولُ الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » ، وروى الترمذى عن أبى هريرة أيضا : « من عاد مريضا أوزار أخا له فى الله ، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » ، كما يجب على الصديق أن يكون مرآة لصديقه قال عمر : « رحم الله أمرءا أهدى إلىَّ عيوبى » ، ويقول الشاعر :

فإما أن تكون أخى بصدق — فأعرف منك غثى من ثمينى

وإلا فاطرحنى واتخذنى — عدوا أتقيك وتتقينى

ولا يُحَاسَب الصديق على كل صغيرة وكبيرة فلم يوجد بعد الإنسان الكامل :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا — صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه

فعش واحداً أوصل أخاك فإنه — مقارف ذنب يوما ومجانبه

ويوم القيامة تسقط كل الصداقات المزيفة ، ولا تنفع إلا الصداقة الخالصة لله قال تعالى : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ الزخرف ٦٧/٧٣ ، وقال تعالى : ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن**

بعضكم بعضاً ﴾ العنكبوت٢٥ ، وقال تعـالى : **﴿ وقالوا ربنا إنا أطـعنا سادتنا وكبراءنا فأضلـونا السبيلا ﴾** الاحزاب ٦٧/ ٧٣، وقال تعـالى : **﴿ ولوتـرى إذ الظالمون مـوقوفـون عند ربهم يرجع بعـضهم الـى بعض القول يقـول الذين استضـعفوا للذين استكبـروا لولا أنتم لكنا مؤمنين .. ﴾** سبأ ٣١ / ٣٣ ، وقال تعالى : **﴿ يوم يعض الظالم على يديـه يقول يا ليـتنى اتخذت مع الرسـول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا .. ﴾** الفرقان ٢٧/ ٢٩ .



الأخوة الإسلامية وحقوقها

الحمد لله جعل المؤمنين إخوة مـتعاونين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ذكر المؤمنين بنعمة الإيمان الذى ألف بين قلوبهم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جـمع الله به شمل المسلمين فـصاروا بنعمـة الله إخوانا ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعـد

يقول تعالى : **﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾** الحجرات ١٠ ، ويقول الرسول ﷺ « المسلم أخو المسلم » فكل مسلم أخ لجميع المسلمين وإن بعدت الديار والأوطان ، واخـتلفت الأجناس والألوان ، والأخـوة فى الدين أقـوى من أخـوة النسب ، لأنها انـتماء إلى الله لا إلى جنس أو لون ، قـال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتـخذوا آباءكم وإخوانكم أوليـاء إن استحبـوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾** التوبة ٢٣ ، وقال تعالى : **﴿ لا تجـد قومـا يؤمنون بالله واليوم الآخـر يوادون من حاد الله ورسـولَه ولو**

كانوا آباءهم ﴾ (نزلت فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر - أو أبناءهم - نزلت فى أبى بكر همَّ بقتل ابنه عبد الرحمن يومئذ أيضا - أو إخوانهم - نزلت فى مصعب قتل عبيدة بن عمير - أو عشيرتهم - نزلت فى حمزة وعلى وعبيدة بن حارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة) المجادلة٢٢ ، وهذه الأخوة هى التى جعلت سلمان الفارسى من آل بيت الرسول ﷺ كما ذكر ذلك ﷺ ، وهذه الأخوة هى التى فرَّقت بين الرسول ﷺ وعميه أبى طالب وأبى لهب وهى التى فرقت بين أم المؤمنين أم حبيبة وبين أبيها أبى سفيان قبل أن يُسلم حين قدم المدينه فدخل عليها ، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال يابنية : ما أدرى ؟ أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وانت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ، وهذه الاخوة هى التى فرقت بين إبراهيم وأبيه وقومه قال تعالى : ﴿ **قدكانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** .. ﴾ الممتحنة ٤ ، وهى التى فرقت بين نوح وابنه حين ابتلعه الموج فكان من المغرقين ويقول نوح لربه : ﴿ **رب إنَّ ابنى من أهلى** ﴾ ويرد الله عليه ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ نعم هو من صلبك لكنه من أهل دعوتك ، وهى التى فرقت بين نوح ولوط وزوجتيهما ، وصدق الله ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم** ﴾ التغابن ١٤ ، وهى التى فرقت بين فرعون الكافر وزوجه المؤمنه ، فالإيمان يجمع بين

المؤمنين ولو لم يكن بينهم نسب ، ويفرق بينهم وبين الكافرين ولو كانوا أولى قربى ، ولقد ضرب المهاجرون والأنصار مثالا فريدا فى التاريخ للأخوة فى الدين حين آخى بينهم رسولُ الله ﷺ عند الهجرة وكانوا يتوارثون حتى نزلت آيات المواريث ، وحقا لقد كان المجتمع الإسلامى الأول نموذجا لهذه الأخوة فى الله ، حيث صهرهم الإسلام فى بوتقته لافرق بين غنيهم وفقيرهم وعربيهم وعجميهم وأبيضهم وأسودهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، قال تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ آل عمران١٠٣ ، ووصفهم الله فى قرآنه فقال : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ الفتح ٢٩ ، ووصفهم الرسول ﷺ فى الحديث المتفق عليه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وجاء فى الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه » ، وقد رتَّب الإسلام على هذه الأخوة حقوقا لكل أخ على أخيه ، فمن هذه الحقوق ألا يظلم السلم أخاه أو يخذله ، وأن يعينَه فى حوائجه ، ويفرج عنه كربه ويستر عليه ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » ومن حقوق الأخوة ألا يعتدى المسلم على أخيه فى عرضه أو ماله أو دمه أو يحقره ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن أبى هريرة : « كل المسلم على

المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى هاهنا ، يحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، ونصرة المسلم لأخيه بينهـا رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال رجل يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : « تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » ومن حقوق الأخوة أيضا ألا يحسد المسلم أخاه ولا يبغضه ولا يهجره فوق ثلاث ، وروى مسلم عن أبى هريرة حديث « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . . » ، ومن حق الأخوة ألا يغتاب المسلم أخاه ، فقد نفَّر الله من ذلك حيث قال : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه..﴾ الحجرات ١٢، ومن حق المسلم على أخيه أن يحب له ما يحبه لنفسه ، فذلك دليل الإيمان ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه » . وتقوية لهذا الحب فقد استحب رسول الله ﷺ تبادل الهدايا بين الأصدقاء فقال فيما رواه البراز « تهادوا فإن الهدية تذهب دَحَر الصدر » أى غِشه ووسواسه ، ومن حقه عليه أيضا أن يقدم له النصح،روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « الدين النصيحة » ، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وقد بين الرسول ﷺ بعض هذه الحقوق فى الحديث المتفق عليه المروى عن أبى هريرة « حق المسلم على المسلم خمس ، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس » ، فالسلام هو تحية المسلمين وشعارهم يبدأ به المسلم من عرف ومن لم يعرف

كما جاء فى الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو حين سئل رسول الله ﷺ أى الإسلام خير ؟ ، فقال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ، وإفشاء السلام بين المسلمين يولد المحبة ويأخذ بيد صاحبه إلى الجنة ، روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ومن حق المسلم على أخيه أن يلقاه بوجه باش روى مسلم عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال « لا تحقرنَّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » ، وقد علمنا رسولنا ماذا يقول المسلم إذا عطس وبم يرد عليه أخوه ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم » ، وقد حث الإسلام على عيادة المريض والدعاء له بالشفاء روى البخارى عن أبى موسى أن الرسول ﷺ قال : « عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العانى » ، وروى أبو داود والترمذى عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال : « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال له الملك : آمين ولك بمثله » ، ومن حق الأخوة أن يشيع المسلم أخاه ويودعه الوداع الأخير ويستغفر له بعد دفنه ، كما جاء فى الأحاديث الصحيحة عن أبى داود والحاكم والبزاز . . فلو وعى المسلمون هذه الأخوة وأدوا حقوقها ، فقام كل مسلم بحقوق أخيه لعاش المسلمون فى جو من الحب والأمان والمودة والالفة . ونَعموا فى ظل تعاليم دينهم .



حب الله ورسوله والمؤمنين

الحمـد لله يحب الصالحين ويكره الطالحين ، وأشـهد أن لا إله إلا الله ملأ قلوب المؤمنين بمحبته ، ووعدهم بحسن مـثوبته ، وأشهد أن سيدنا مـحمـدا رسول الله ، أحب لله وأبغـض فى الله ،اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعـد

فالحب غـريزة فطر الله الناسَ عليهـا ، وهى موجـودة فى الإنسان والحيـوان فالإنسـان يحب الحيـاة ويحب نفـسـه وأهلـه ووطنه ويحب المال والجاه ، والمؤمن يحب ربّـه ورسوله ودينه ويحب الخيـر والعدل والفـضيلة وكل ما هو حـسن شرعا . فالحب يولِّد الـرحمة ، والرحمـة لاغنى عنها لكل من الإنسان والحـيوان ، والله جلت قـدرته يحب ويكره ، وقد وردت بذلك آيات كـثيرة وأحـاديث وفيـرة ، مثل قولـه تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ البقرة ٢٢٢، وقوله ﴿ **إن الله لا يحب مـن كـان مختالا فخورا** ﴾ النساء ٣٦ ، وروى مسلم عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يحب العـبد التقى الغنى الخفى » وروى التـرمذى وأبو داود عن عبـد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قـال : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » كما روى الترمذى أيضا : « إن الله يحب أن يرى أثر نعـمته على عبـده » وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال :(من عادى ولى وليا فقـد آذنته بالحرب وما تقـرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افتـرضته عليه ، وما يزال عـبدى يتقرب إلى بالنوافل حـتى أحبه ، فإذا أحبـبته كنتُ سمعَه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله

التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذ بى لاعيذنه » وروى عن أبى هريرة أيضا الحديثُ المتفق عليه أن النبى ﷺ قال : « إذا أحب الله تعالى العبدَ نادى جبريل : إن الله تعالى يحب فلانا فاحببه ، فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » زاد مسلم « وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول : إنى أبغض فلانا فابغضه ، فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض » وروى البخارى عن أبى هريرة « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب » ، والرسول ﷺ أيضا يحب ويكره ، روى الترمذى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاق وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »

والمؤمن يحب الله ورسوله أكثر من حبه نفسه وماله وولده قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ البقرة ١٦٥ ، وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ التوبة ٢٤ ، وروى عن أنس الحديثُ المتفق عليه : « ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى االنار » وروى الإمام أحمد أن عمر قال لرسول

الله ﷺ : والله يا رسول الله لأنت أحب إلىَّ من كل شيء إلا من نفسى ، فقال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر فـانت الآن والله أحب إلىَّ من نفسى ، فقال رسول الله ﷺ : « الآن يا عمر » ؟ وروى البخارى حديث : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » ورُوى عن عائشة أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وأحب إلى من أهلى وأحب إلى من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلتَ الجنة رُفعت مع النبيين ، وإن دخلتُ الجنة خشيت آلا أراك فلم يردّ عليه ﷺ حتى نزلتْ عليه ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ النساء ٦٦/ ٧٠ ، وعن أنس أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فقال الرسول ﷺ « ما أعددت لها ؟ » قال : حبّ الله ورسوله ، قال ﷺ : « أنت مع من أحببت » متفق عليه ، وفى غزوة أحد يلتفت سعد بن الربيع إلى زيد ابن ثابت وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فيقول له زيد : « بلّغ رسول الله ﷺ السلام وقل له : إنى أجد ريح الجنة ، وقل لقومى الأنصار : لاعذر لكم عند الله إن خُلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف » وفاضَت نفسُه من وقته ، وهذه امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فلما أُخبرت بذلك قالت : ما فُعل برسول الله ﷺ قالوا خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . وحب الله ورسوله لا يكون ادعاء بل لابد

من ترجمته إلى عمل صالح ، وسلوك مستقيم قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ آل عمران ٣١، فكل من ادعى محبة رسول الله ولم يلتزم بشرع الله وبهدى رسول الله فهو كاذب ، رُوى عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » متفق عليه ، وفى رواية لمسلم « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** » ، قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه … هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كنت تصدق حبه لأطعته … إن المحب لمن يحب مطيع

والمسلم يحب إخوانه المسلمين فى الله ، فقد ورد فى الحديث : « **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان** » رواه أبو داود ، وقد وصف القرآنُ الكريم جماعة المسلمين الأولين فقال ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ الفتح ٢٩ ، ووصف الأنصار ﴿ **يحبون من هاجر إليهم** ﴾ الحشر ٩ ، ووصف التابعين بإحسان فقال : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا** ﴾ الحشر ١٠ ، وجعل الإسلام حبَّ المؤمنين علامة على الإيمان ، روى أنس الحديثَ المتفق عليه : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » ، وروى مسلم عن أبى هريرة حديث « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** » فإفشاء السلام بين السلمين يخلق المحبة وكذلك الزهد عما فى أيدى الناس ، فقد سأل رجلٌ رسولَ الله أن يدله على عمل يكسب به حبَّ الله وحب الناس

فقال : « ازهد فى الدنـيا يحبك الله وازهد فيمـا عند الناس يحبك الناس » رواه ابن ماجه ، وللمتحابين في الله منزلة عظيمة يوم القيامة ، فمن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله «رجـلان تحابا فى الله اجتمـعا عليه وتفرقا عليه » روى الحـديث أبو هريرة وهو متفق عليه ، وعنه أيضا أن الرسـول ﷺ قال : « إن الله تعـالى يقـول يوم القيـامـة : أين المتحـابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مسلم .

وروى الترمذى عـن معـاذ قـال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقـول : « قال الله عزوجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهـداء » . فالمسلمـون لا يعرفون الكره أو البـغضاء لإخـوانهم المؤمنين وليس فى المجتـمع الإسلامى مكان لحاقـد أو حسود . . روى عـبد الله بن عـمر أن رسـول الله ﷺ سئل أى الناس أفـضل ؟ قال « مـخمـوم القلب صدوق اللسان » . قالوا صدوق اللسان نعرفـه فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقى لا إثم فيه ولابغى ولاغل ولاحسد » فالإيمان علاج لأمراض القلوب .



حماية الإسلام لأعراض المسلمات

الحمد لله يقول الحق وهو خير الفاصلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله شرع من الأحكام ما يحفظ الأنساب ويحمى الأعراض ويقطع ألسنة المغرضين والأفاكين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله طبّق شرع ربه ، وأقام مجتمع العدل والأمان ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

إتبع الإسلام فى الحفاظ على أعراض المسلمين وشرف المسلمات أسلوب « الوقاية خير من العلاج » فأوجب على المرأة التزام الزى المحتشم ، وأمر بغض الأبصار ، وحرَّم خلوة الرجل بغير محارمه ، كما رغب فى الزواج ، وحبب فيه ، ودعا إلى تيسير أموره ، حصانة للإنسان وحماية للأنساب وبعدا عن الفاحشة فألزم الحكومة المسلمة إعانة الراغبين فى الزواج ، روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال « من كان لنا عاملا فلم يكن له زوجة فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا »

فإذا حدث بعد ذلك أن وقعت جريمة زنا وثبتت بالطرق الشرعية فلابد من أقامة الحد تاديبا للمنحرف ، وزجرا لغيره ، قال تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائةَ جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ النور ٢ ، وقد ثبت أن رسولَ الله ﷺ أقام الحدَّ على من ارتكب

هذه الفاحشة ، كما أقامه من بعده الخلفاء الراشدون ولكن الإسلام احتاط حيطةً دقيقة لإثبات جريمة الزنا ، حتى يسدَّ الطريق على من يتهمون الناسَ جزافا ويسيئون إلى الابرياء بعار الدهر وفضيحة الأبد ، فجعل جريمة الزنا لا تثبت إلا بالاعتراف ، والاعتراف - كما يقولون - سيد الأدلة - أو بشهادة أربعة شهود ، أو بظهور الحبَل على امرأة لا زوج لها - كما جاء فى خطبة لعمرَ أنه إذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف أقيم الحد ، رواه ابن عباس ، وفى الآيات التى برأت السيدةَ عائشةَ يقول الله تعالى **﴿ لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾** النور١٣ ، واشترط الإسلام فى الشهود الأربعة أن يكونوا رجالا فلا يقبل شهادة امرأة فى إثبات حد الزنا ، وأن يكونوا عدولا ، فلا تقبل شهادة من عرف بفسقه ، وأن يكون الشهود جميعا رأوا عملية الزنا نفسها كالميل فى المكحلة أو الرشاء - الحبل - فى البئر ، ومن باب الحيطة أيضا أنه إذا وجدت أى شبهة أُسقط الحد ، لحديث : « ادرءوا الحدود بالشبهات » رواه ابن عباس ، فإثبات هذه الجريمة عن طريق الشهود من الصعب تحقيقة ، بل من المستحيل ، والإسلام قصد من وراء ذلك قطع الألسنة المغرضة ، ومنع إشاعة الفاحشة ورواج المنكر فى المجتمع الاسلامى ، والحفاظ على سمعة المؤمنات العفيفات ، قال تعالى : **﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** النور١٩ ، وقال تعالى : **﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم،يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون..﴾** النور

٢٦/٢٣ ، وبذلك إذا أراد مسلم أن يتهم رجلا أو امـرأة فى عرضها يفكر قبل أن يتهم ويعمل لكلمتـه هذه ألف حساب ، وكثيرا ما سمـعنا وقرأنا أن فتاة اتهمـها أهلهـا فى سلوكها لمجـرد الشك فقـتلوها ، مع أن إقامـة الحد من اختصاص الحاكم المسلم ، وقد تظهـر براءتها بعد أن يكون السيف قد سبق العذل ، وكم من فتاة انفض عنها الخطّاب ، وعافـها الشباب ، وأصبحت ضمن طابور العوانس ، وذلك بسبب إشاعة كاذبة تتعلق بعرضها وسلوكها أشاعها أحد الآفاكين الآثمين . .

لذلك كان الاسـلام حازما وصـارما فى هذا الموقف . . فكل من يتهم أمـراة أو رجلا فى عرضـه وشرفه ، فعليـه باقامة البـينة على دعواه ، والبينة أربعة شهود عدول ـ كما سبق أن ذكرت

ورد أن عمـر ـ وهو أمير المؤمنين ـ ذكر أنه رأى رجـلا وأمراة على الفاحشة ، فقال علىّ : يا أمير المؤمنين البينة أربعة شهود فسكت عمر

فاذا لم يتوفـر الشهود الأربعة فـيعتبر المدعى فى شـرع الله قاذفا ، ويقام عليه حد الـقذف ، قال تعالى : ﴿ والذين يرمون المحـصنات ثم لم يأتوا بأربعـة فـاجلدوهم ثمـانين جلدة ولا تقـبلوا لهم شـهـادة أبدا وأولئك هم الفاسقـون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غـفور رحيم ﴾ النور ٤/٥ ، وقد تـضمنت الآية ثلاث عـقوبات ، عـقوبه بدنيـة وهى الجلد ثمانين جلدة ، وعقوبة أدبية وهى إهدار كرامـته برد شهادته فى أى قضية ، وعقوبة دينية وهى الحكم عليـه بأنه من الفاسقين ، وفى هذا الأدب الربانى زجر لكل من تحـدثه نفسه باتهـام الناس ، فبذلك حمى الإسـلام أعراض المسلمين ، وحافظ على سمعتهم ، وصان كرامتهم ، وقطع ألسنة السوء ، وسد

الباب على من يلصقون بالبرآء الفواحش ، إضافة الى ذلك فقد اعتبر الإسلام قذف المحصنات من كبائر الإثم والفواحش وحرّمه تحريما قاطعا . روى أبو هريرة الحديث المتفق عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات » وعدّ منها قذف المحصنات المؤمنات الغافلات . ولذلك لم يثبت فى التاريخ الإسلامى أن أقيم الحد على زان أو زانية عن طريق الشهود ، بل الذين أقيمت عليهم الحدود فى عهده ﷺ أو فى عهد الخلفاء رضى الله عنهم كان عن طريق الاعتراف ـ كما حدث مع «ماعز» و«الغامدية» وغيرهما ، روى الشيخان وأبو داود والترمذى أن «ماعزا » جاء الى رسول الله ﷺ فى المسجد وقال له: إنى زنيت فطهرنى ، فأعرض عنه الرسول ﷺ حتى كررها ثلاثا، فقال له أبو بكر لو قلت الرابعةَ لرجمك رسول الله ﷺ ، فقالها . فقال له الرسول ﷺ « لعلك قبّلت أو غمزت أو نظرت » قال بل أتيت منها حراما ما يأتى الرجل من أهله حلالا ، فقال له الرسول : فماذا تريد بهذا القول ؟ قال : أريد أن تطهرنى فأمر به ﷺ فرجم ، فلما أوجعته الحجارة قال : ردونى إلى رسول الله ﷺ ، لكنهم ضربوه حتى مات ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ـ فقال هلاّ تركتموه لعلّه أن يتوب فيتوب الله عليه ؟ ، وسمع الرسول ﷺ بعض الصحابة يقول : لقد رُجم رجمَ الكلاب فغضب ﷺ وقال : « لقد تاب توبة لو قُسّمت بين أمة لوسعتهم » وفى رواية : « والذى نفسى بيده إنه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها » ، وروى مسلم وأصحاب السنن أن امرأة تسمى «الغامدية» جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله زنيت فطهرنى ، فردها ﷺ فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لِمَ تردنى ؟ لعلك تردنى كما رددت

ماعزا فوالله إنى لحبلى ، فقال لها : اذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : فاذهبى فأرضعيه حتى تفطمية ، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبى الله قد فطمته وأكل الطعام ، فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها فنضح الدم على وجه «خالد بن الوليد» فسبها ، فسمعه ﷺ فقال : « مهلا يا خالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مُكس لغُفر له » ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . . ولعل السبب فى وقوع مثل هذه الحوادث فى عهد النبوة وفى عصر الصحابة أن يكتمل هذا الشرع ، ويتم ذلك الدين بتنفيذ الحدود ، حتى تأخذ الشكل التطبيقى ، وإلا كانت أخبارا تروى لاسند لها من الواقع التاريخى .



محاربة الإسلام للمفسدين والبغاة

الحمد لله لا يصلح عمل المفسدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله يعلم المفسد من المصلح ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أصلح الله به العباد فقضى على الفساد ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ـ وبعد : حين خلق الله آدم قال للملائكة : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ فقالت الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ، فقال الله لهم : ﴿ إنى أعلم مالا تعلمون ﴾ البقرة ٣٠، أى

سأرسل إليهم الرسل ويكون منهم الصالحون والأولياء . ووقع أول فساد فى الأرض حين سفك قابيل دم أخيه هابيل بسبب امرأة ، وصدق رسولنا ﷺ حيث قال فى الحديث المتفق عليه الذى رواه أسامة : « ما تركتُ بعدى فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء » ، ولذا جاءت جميع الرسل فحاربت الفساد . يقول صالح لقومه « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون ﴾ الاعراف ٨٥ ، ويوصى موسى أخاه هارون ﴿ اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ الاعراف ١٤٢ ، ويعظ قارونَ الصالحون من قومه فيقولون ﴿ ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ القصص ٧٧ ، ويجىء الإسلام وهو خاتم الديانات فيعلنها حربا لا هوادة فيها على كل مفسد فى الأرض قال تعالى : ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ الاعراف٥٦ ، وينعَى على مدَّعى الإصلاح وهم فى الحقيقة مفسدون ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ البقرة ١٢/١١ ، ويقول : ﴿ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ البقرة ٢٠٥ ، وقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ محمد ٢٢ ، ومنعا للفساد شرع الإسلام الحدود للحفاظ على الروح والمال والعرض ، قال رسول الله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه » رواه أبو هريرة وهو متفق عليه ، ومن هذه الحدود حدُّ الحرابة ، قال تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن فى الأرض فسادا أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو ينفَوْا من الأرض ذلك لهم

خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ المائدة٣٣/٣٤ ، فكل من يروع الآمنين ، ويحدث الذعر بين المسلمين ، ويسفك الدماء ، ويقطع الطريق وينهب الأموال فهو محاربٌ لله ورسوله ، روى مسلم عن أبى هريرة حديث : « من حمل علينا السلاح فليس منا » ويدخل فى هؤلاء من يخرج على الإمام العادل ، لما رواه البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » ، ويدخل فى هذا أيضا من يستجلب السموم البيضاء أو كل ما يفسد على الشباب دينهم من أفكار مضلله أو مواد مسجلة على شرائط تَصرف شباب الإسلام عن غايته النبيلة إلى الانحراف والمجون ، ويدخل فى هذا أيضا الفئتان المسلمتان إذا قامت بينهما حرب وأريد الإصلاح بينهما فرفضت فئة فهى باغية وتحارب حتى تستقيم على أمر الله ، قال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ الحجرات ٩/ ١٠ ، وجاء فى الصحيح عن رسول الله ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قالوا يا رسول الله : هذا القاتل : فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » . وسبب نزول آية المحاربة « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » كما رواه البخارى ومسلم عن أنس وجابر وعائشة : أن نفرا قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة ، وسقمت أجسامهم ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ألا تخرجون مع راعينا فى إبله فتصيبوا من أبوالها وألبانها »؟ فقالوا : بلى : فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا ، فقتلوا الراعى

وطردوا الإبل ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فبعث في آثارهم فأُدركوا فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وسُمِّرت أعينهم ثم نُبذوا فى الشمس حتى ماتوا » هذا لفظ مسلم عن أنس ، وحفاظا على أرواح الناس شرع الإسلام القصاص فى القتل العمد والجنايات واعتبره حياة قال تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ البقرة ١٧٩ ، روى أبو داود « لَحَدٌّ يقام فى الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفِى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان .. ﴾ البقرة ١٧٨ ، وتفصيل أحكام القتل وما يتعلق به من قصاص أو عفو مذكور فى مواضعه من كتب الفقه ، وحفاظا على أعراض المسلمين شرع الاسلام حد الزنا : الرجم للمحصن والجلد مع تغريب عام لغيره كما هو مفصل فى مواضعه من كتب الفقه ، قال تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ النور ٢ ، وحفاظا على سمعة المؤمنات وقطعا للألسنة التى تنهش أعراض المسلمات شرع الإسلام حد القذف المنصوص عليه فى قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا.. ﴾ النور٤/٥ ، وحماية لعقل الإنسان حرم الإسلام الخمرَ وكلَّ مسكر يخامر العقل ، وأوجب الحدَّ على شاربها ولعنه رسولُ الله ولعن ساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة

إليه كما جاء فى حديث ابن عمر الذى رواه أبو داود ، وقد ثبت أن رسول الله أقام الحد على شارب الخمر ، وكذلك فعل الخلفاء من بعده ، وحفاظا على مال المجتمع شرع الاسلام حد السرقة ، قال تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** ﴾ المائدة ٣٨ ، وذلك بشروط موجودة فى مواضعها من كتب الفقه ، وتأكيدا للردع والزجرلا تقبل الشفاعة في تعطيل هذا الحد كما جاء فى الحديث المتفق عليه المروى عن عائشة بشأن المرأة المخزومية التى سرقت فتشفَّع لها أسامة فقال له الرسول : « أتشفع فى حد من حدود الله تعالى » ؟ ثم خطب فقال : « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها » ذلك جزاء المفسدين فى الدنيا أما فى الآخرة ، فقد ادخر لهم الله العذاب الشديد ، قال تعالى : ﴿ **ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** ﴾ المائدة ٣٣ ، وقال عن فرعون : ﴿ **الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد** ﴾ الفجر ١١/١٤ ، وظهور الفساد فى أى مجتمع دليل على إنحلاله وبعده عن منهج الله ، قال تعالى : ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ الروم٤١ .



ذكريات فى شهر شعبان

الحمـد لله فضّل بعض الشـهور على بعض ، وأشـهد أن لا إله إلا الله خصّ شعبـان بمزايا عديدة ، وأشهد أن سـيدنا محمـداً رسول الله كان يصوم أكثر شهر شعـبان حيث ترفع فيه الاعمال ، اللهم صل وسلم وبارك على سيـدنا محمـد وعلى آله وصحبـه . . وبعد : نحن الآن نعيش شـهراً مباركـا هو شهر شعبان ، شـهر الذكريات الطيبة ، والأحـداث العظيمة ، حيث استعد المسلمون فيه لغزوة بدر ، وفيه تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكان لشهر شعبان عند رسولنا ﷺ منزلة عظيمة ، حيث نزل عليه فيه قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ الاحزاب ٥٦، فقد شرّف الله رسوله بالصلاة عليه ـ أى الرحـمـة والرضوان مـنه تعالـى ـ وبصلاة مـلائكتـه عليـه ﷺ ـ أى الاستغـفار ـ وأمر المؤمنين جـميعا فى كل زمـان ومكان أن يصلوا عليه ـ أى الدعاء والتعظيم لأمره ، ولذا قال العلماء : إن الصلاة على الرسول واجبة ولو فى العمر مـرة ، امتثالا لأمر الله تعـالى ، ثم بعد ذلك فهى مستـحبة على كل حـال ، وقد روى البـخارى أن الـصحـابة قالوا : يا رسـول الله السلام عليك نعرفه ، فكيف نصلـى عليك ؟ فقال « قولوا اللهم صل على محـمد وعلى آل محـمد كمـا صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محـمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد »

وقد وردت أحـاديث كثيرة تحض على الصـلاة على الرسول ﷺ ، فقد روى الإمام أحمد حـديث : « من صلى علىَّ صلاةً صلى الله بها عليه

عشراً ، وحُطت عنه عشر خطيئات ، ورُفعت له عشر درجات » ، وروى الإمام أحمد أيضا حـديث : « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل عليّ » وقد كـان رسول الله ﷺ يصـوم مـن شعبان أكـثره ، ولما سـئل فى ذلك أجاب ، كما جاء فى الحديث الذى أخرجه النسائى وأبو داود وصححه ابن خزيمة عـن أسامة بن زيد ، قـال : قلت يا رسول الله لم أراك تـصوم من شهر من الشهـور ما تصوم من شعبان قال : « ذاك شـهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمـضان ، وهو شـهر تُرفع فـيه الأعـمال إلى رب العـالمين ، فأحب أن يرفـع عملى وأنا صائم » ورُوى عـن عـائشـة الحديث المتفق عليه « ما كان رسـول الله ﷺ يصوم فى شهر مـا كان يصوم فى شعـبان ، كان يصومه إلا قليلا بل كـان يصومه كله » ، وصيام أيام من شهر شـعبان اتباع لهَدْى النبى ﷺ وتعويد للمسلم على الصيام استعدادا لشهر رمضان .

وفى شأن ليلة النصف من شعبان وقع خلاف بين العلماء فمنهم من يرى إحـياء هذه الليلة بالصـلاة والذكر والدعـاء مسـتدلين بالحـديث الذى أخـرجه ابن مـاجه عن علىٌ قـال : قـال رسول الله ﷺ « إذا كـانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلهـا وصوموا نهارها فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشـمس فيقول : ألا من مستغفر فأغـفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبـتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا ؟ حـتى يطلع الفجر » ، وبالحديث الذى أخرجه الترمذى وابن ماجه وأحمد والبيهقى عن عائشة أنها قالت : إن رسول الله ﷺ قام من الليل فسجد فأطال السجود حتى ظننت أنـه مـات فحركتُ إصبعـه فتحرك فسمعتـُه يقول فى سجوده : « اللهم إنى أعوذ بعفوك من غضبك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ،

لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ، فلما فرغ من صلاته قال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كماهم » ويرى جمهور العلماء وعلى رأسهم الإمامان محمد عبده ومحمود شلتوت . .رحمهما الله تعالى ـ أن إحياء ليلة النصف من شعان بذكر معين والقيام فيها بصلوات ودعاء مخصوصين بدعة لا أصل لها فى الإسلام ، وهو عمل مردود لما جاء فى الحديث المتفق عليه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفى رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ » ، وقالوا إن الأحاديث التى وردت بخصوصية ليلة النصف من شعبان بذكر معين ضعيفة أو موضوعة وغير متواترة ولا يمكن الاعتماد عليها فى سَنّ عبادة مشروعة . . وهذا رأى وجيه يتفق مع ما كان عليه السلف الصالح .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى شهر شعبان تحويل القبلة ، فقد كان ﷺ يصلى فى مكة بين الركنين فيكون متجها إلى الكعبه وبيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة أمر بالتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس ، وظل على ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يصلى إلى بيت المقدس وهو يتشوق إلى الصلاة جهة الكعبة ، فكان يتجه إلى السماء طالبا من الله سبحانه وتعالى أن يحول القبلة إلى الكعبة البيت الحرام، فاستجاب الله دعاءه ونزل قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ البقرة ١٤٤ ، فأصبح استقبال الكعبة فى الصلاة

شرطا لصحتها ، وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى » ، ولا يسقط هذا الشرط - أعنى استقبال القبلة إلا فى النافلة فى حالة السفر فإنها تُصَلى حيث توجه الإنسان على راحلته ، وكذا فى حالة الالتحام بين جيش المسلمين والكفار فإنها تصلى حيث كان ، وكذا من جهل القبلة يصلى باجتهاده ، روى البخارى عن البراء أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستةَ عشر أو سبعةَ عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة - أى كاملة - صلاة العصر - الحديث » ، وذكر غير واحد من المفسرين أن تحول القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر فى مسجد بنى سلمة فسُمِّىَ مسجد القبلتين ، وكان بعض الصحابة ماتوا قبل تحويل القبلة فسأل عنهم أهلوهم ، فنزل قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى صلاتكم إلى بيت المقدس ، وقد ذكر الله أن تحويل القبلة سيطلق ألسنة السفهاء من اليهود والمنافقين قال تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ البقرة ١٤٢ ، فقالت يهود إن كان ما فعله بالأمس حقا فلماذا تركه اليوم ؟ وإذا كان استقبال الكعبة حقا فلماذا تركه بالأمس ؟ وكان تحويل القبلة اختيارا من الله للمسلمين ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب مرتدا قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾ البقرة ١٤٣ ، والقبلة رمز لوحدة المسلمين . . فالمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يتجهون فى صلاتهم إلى الكعبة ،

فإذا كانت وجوههم جميعا إلى الكعبة .. فلماذا لا تكون قلوبهم جميعا متجهة إلى الله ؟ حتى يعودوا إلى ما كانوا عليه من عزة ومنعة وهيبة وقوة . نسأل الله ذلك .

رمضان شهر الصيام والقرآن

الحمد لله فرض على المسلمين الصيامَ كما فرضه على الذين من قبلهم ، وأشهد أن لا إله إلا الله خصّ شهر رمضان بالتكريم ، حيث أنزل فيه القرآن العظيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سن لنا قيام هذا الشهر ورغب فى إحياء لياليه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فها هو شهر رمضان قد حل علينا بخيره وبركاته . وقد كان رسول الله ﷺ يبشر صحابته بمقدمه ، ويبين لهم ما فيه من خير ، روى أحمد والنسائى والبيهقى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال ـ لما حضر رمضان ـ :

« قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تُفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغَلُّ فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرم خيرها فقد حُرم » . وكان يقول « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل عليكم الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقى من حُرِم رحمة الله عز وجل » رواه الطبراني . هذا هو شهر الصيام ، والصوم ركن من أركان

الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين مـن قـبلكم لعلكم تتـقـون أيامـا معـدودات** ﴾ البقرة ١٨٣/ ١٨٤ ، وجاء فى الحديث المتفق عليـه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « بُنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكـاة وحج البيت وصوم رمضان » ، والصـوم عـبادة قديمـة فرضها الله على السابقين مـن أهل الكتـاب ، فقد أمر الله زكريا حين بشره بيحيى أن يصوم ثلاثة أيام ، وصام موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر ، وصام نوحٌ الدهر كلَّه إلا يومى الفطر والأضـحى ، وكان داود يصوم يـوما ويفطر يوما ، وصام إبراهيم من كـل شهر ثلاثة أيام ، وكان الصحـابة قبل فرض الصيام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ،رُوى ذلك عن معاذ وابن عباس، ولما قدم الرسولُ ﷺ المدينة رأى اليهود تصـوم يوم عاشوراء ، فقال :« ما هذا ؟ » قـالوا : هذا يوم صـالح هذا يوم نجَّى الله فـيـه بنى إسـرائيل من عدوهم فـصامه مـوسى ، فقال الرسـول ﷺ : « أنا أحق بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه ، رواه البخارى عن ابن عباس ، قال تعالى : ﴿ **أياما معدودات** ﴾ والمقـصود بها أيـام شهر رمـضان ، روى أبو هريرة الحـديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثـلاثين يوما » وقد اختار الله هذا الشهر من بين سائر الشهور وفرض علينا صيامه ، قال تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ ، وعليه فـمن أفطر فى رمضـان من غير عـذر لايعوضه صـيام الدهر وإن صامـه ، كما روه البخـارى وأبو داود وابن ماجه والتـرمذى من حديث لأبى هريرة عن النبى ﷺ كما اخـتص الله هذا الشهر بإنزال القرآن

فيـه ، قال تعـالى : ﴿ **شـهر رمـضان الذى أنزل فـيه القـرآن هدى للناس وبينات من الهـدى والفرقـان** ﴾ ، وقـد ورد أنه أنزلت فيـه جميع الكتب السماوية ، روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قـال : « **أُنزلت صحف** إبراهيم فى أول ليلة من رمضـان وأُنزلت التوراة لست مَضَيْـنَ من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضـان » وقد روى من حديث جابر بن عـبد الله أن الزبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان ، والإنجيل لثمـانى عشرة والباقى كما تقدم ، . . . والصـحف والتـوراة والزبور والإنجيـل نزل كل منهـا على النبى الذى أنزل عليه جملة واحـدة ، وأما القرآن فإنما نزل جملـة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، وكان ذلك فى شهر رمضان فى ليلة القدر كما قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ وقال : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ الدخان ٢ ، ثم نزل بعد ذلك مفرَّقًا بحسب الوقائع علىٰ رسول الله ﷺ روى ذلك عن ابن عباس ، قال تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عـليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا** ﴾ الفرقان ٣٢ ، وقد وصف الله القـرآن فى الآيات بأنه ﴿ **هدى للناس وبينات من الهـدى والفرقـان** ﴾ فقد أنزل الله القرآن الكريم لهـداية قلوب عباده المصدقين به وليكون حـجة جلية وبينة واضحة لمن فهمه وتدبره ، وفى هذه الآيات يقول الله تعالى : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريـد بكم العسر** ﴾ فالإسلام دين اليـسر . جاء فى السنن والمسانيـد قوله ﷺ « إنما بُعثت بالحنـيفية السـمحة » ، فـالله رحمة بعـباده وتيسيرا علـيهم قد خص لأصحاب الأعذار الفطر فى رمـضان قال تعالى ﴿ **ومن كان مريضا أو على سـفر فعدة من أيام أخر** ﴾ ، فللمريض والمسافر

الفطر فى رمضان على أن يقضيا ما فاتهما ، وذكر جمهور العلماء أن المرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى منه تأخرالشفاء قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ النساء ٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ الحج ٧٨ ، كما ذكروا أن السفر المبيح للفطر هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه ، فإذا صام المريض أو المسافر فصيامه صحيح ، فقد روى مسلم أن حمزة الأسلمى قال : يا رسول الله ، أجد منى قوة على الصوم فى السفر ، فهل على من جناح ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » ، أما الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذى لا يرجى برؤه وأصحاب الأعمال الشاقة كعمال المناجم الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير هذا العمل ، وليس عندهم من الوقت ما يمكنهم من القضاء ، فلهم الفطر فى رمضان وعليهم أن يطعموا مسكينا عن كل يوم أفطروه ، والحامل والمرضع إن خافتا على أنفسهما وأولادهما أفطرتا وعليهما الفدية أو القضاء على خلاف بين العلماء ، أما الحائض و النفساء فيجب عليهما الفطر ، ويحرم منهما الصيام ، وإذا صامتا لا يصح صومهما ولا يقع باطلا ، وعليهما قضاء ما فاتهما من صيام ، أما الصلاة فلا تقضى ، روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت : كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة .



الصوم تهذيب للروح

الحمد لله فرض علينا صيام رمضان لتكون من المتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لله يجزى به ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله جعل الصوم من اللغو والرفث لا من الجوع والعطش ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

لماذا فرض الله علينا صيام رمضان ؟ هل فرضه الله علينا ليعذبنا بالجوع والعطش ؟ بالطبع . . لا . . فالصوم فُرِض لمعنى أسمى من ذلك أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ البقرة ١٨٣ ، فالغرض إذَنْ من الصوم هو الوصول بالمسلم إلى درجة المتقين ، والتقوى هى أن تجعل بينك وبين النار وقاية أى أن يقىَ المسلمُ نفسَه من عذاب النار ، ولن يكون ذلك إلا بعمل الطاعات واجتناب المحرمات ، والصوم عبادة تعوِّد المسلم جميلَ الخصال وحلو الفعال ، ويكفى الصائم أنه يشبه الملائكة ، فكما أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ، فكذلك الصائم الحقيقى . لأن الصوم يهذب النفس ، ويرقى بالروح ، ويزكى البدن ، ويضيق مسالك الشيطان ، ولأن النفس إذا شبعت طلبت الشهوة ، ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أى قاطع ، وورد أيضا الحديث المتفق

عليه « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » ، والصوم أيضا يعود صاحبه على الرحمة والعطف على المساكين ، فمن ذاق ألم الجوع أحسَّ بالجائع ، قيل ليوسف عليه السلام مالك تجوع وأنت على خزائن مصر ؟ قال : أخشى أن أشبع فأنسى الجائع ، ولذا لا يُعفى الغنى من صيام رمضان إلا إذا كان من أصحاب الأعذار التى تبيح الفطر ، والصوم يعلم المسلم الانضباط والنظام ، ففى رمضان وقبيل المغرب يوضع على المائدة مالذ وطاب ، لكن الصائم لا يمدُّ يدَه إلى شيء من ذلك حتى تغرب الشمس ويتأكد من ذلك ، كما أن الصوم يعود صاحبه على ضبط نفسه والتحكم فى سلوكه وتصرفاته والصبر على تجاوزات الآخرين ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم » ، كما أن الصوم يجعل المسلم يحفظ لسانه من شهادة الزور ومن الخوض فى أعراض الناس وذكرهم بالسوء ، روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ فى أن يدع طعامه وشرابه » وورد . « ليس الصيام من الجوع والعطش ، ولكن الصيامَ من اللغو والرفث » رواه ابن حبان والحاكم وفى الحديث (خمس يفطرن الصائم، الكذب، الغيبة، شهادة الزور، اليمين المغموس ، النظرة

فكيف يقبل الله صيام عبد قضى يومه ينهش فى أعراض المسلمين ويؤذيهم ؟ يقول ﷺ « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ، والصوم سر بين العبد وربه ، فمن الممكن أن يأكل الإنسان فى نهار رمضان بعيدا عن أعين الناس ،

ويدعى أمامهم أنه صائم ، فالصوم عبادة خفية متميزة ، لذا نسب الله الصوم إلى ذاته العلية كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » ومن إكرام الله للصائم أنه جعل رائحة فمه أطيب عنده من ريح المسك كما روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » فإذا كان دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك فرائحة فم الصائم يوم القيامة أطيب من ريح المسك[1] .

ذلكم لأن الصائم يمتنع عن الطعام والشهوة إرضاء لله ، وذلك إذا صام المسلم شهر رمضان محتسبا أجره على الله قاصدا به رضاه كان مكفرا لذنوبه كما جاء فى الحديث المتفق عليه المروى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وروى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « الصلوات الخمس والجمعه إلى الجمعه ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » ، وقد أعد الله للصائمين بابا اسمه الريان فى الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون ، روى سهل بن سعد الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال لهم : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد » روى أبو أمامة أنه قال للنبى ﷺ : مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال : « عليك بالصوم فإنه لا عدل له » : أى لا مثل له ، ثم أتيته الثانية فقال : « عليك بالصيام » رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه ، كما أن الله أعد للصائم فرحتين ،

(١) روى عن أنس مرفوعا (يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم ، أفوههم أطيب عند الله من ريح المسك) .

واحدة عند فطوره والأخرى عند لقاء ربه كمـا جاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة : « للصائم فـرحتان ، فرحة عند فطره ، وفـرحة عند لقاء ربه » كـمـا أن الصـيـام والقـرآن يشـفـعـان فى الصـائم يوم القـيـامـة كـمـا جـاء فى الحـديث الذى رواه أحـمـد بسند صـحـيح عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قـال : « الصيام والقرآن يشـفعان للعبد يوم القـيامة ، يقول الصـيام : أى رب منعتـه الطعام والشـهوات بالنهار فـشفعنى فـيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فـيه فيشفعان »[1] ، وإذا كان رمضان شهر الصـوم والقرآن فهو أيضـا شهر الكرم والجود ، فقـد كان رسول الله أجود ما يكون فى رمضان كما جـاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عباس قـال : « كـان رسولُ الله ﷺ أجـودَ الناس ، وكـان أجـودَ مـا يكون فى رمضـان حين يلقاه جـبريل ، وكـان يلقاه جبـريل فى كل ليلة من رمـضان فيدارسه القرآن . فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » فعلى المـسلمين القادرين أن يمدوا الموائد فى رمضـان ليفطر عليـها الصائمون ، فمن فطَّر صائما فله مثل أجره كما جاء فى الحديث الذى رواه الترمـذى ، ومن الأدب الإسلامى إذا أفطر المسلم عند آخر أن يقـول ـ كما علّمنا رسـولـنا ﷺ : « أفطر عندكم الصـائمـون وأكـل طعـامكم الأبرار وصلَّت عليكم المـلائكة » رواه أبو داود ، ومن السنة تعـجـيلُ الفطر ، لما رواه سهل بن سعـد فى الحديث المتفق عليـه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الناس بخيـر ما عـجلوا الفطر » ، ومن الهدى النبـوى أيضا أن يُفطر المسلم علـى تمرات أو رشـفات مـن الماء كمـا جـاء فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر

(١) يقول الله يوم القيامة : أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة ، ومن جيرانك يارب العزة ؟ فيقول تعالى : أين قراء القرآن وعمار المساجد .

على ماء فإنه طهور » وليقل « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ وإبتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله » .

ومن السنة أيضا أن يتناول المسلم سحورَه فقد أمرنا بذلك رسولُنا ﷺ حيث جاء فى الحديث المتفق عليه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « تسحروا فإن فى السحور بركةً » ولو أكل المسلم أو شرب ناسيا فصيامه صحيح لحديث : « إذا نسى أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه » متفق عليه .

الدعاء مخ العبادة

الحمد لله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وأشهد أن لا إله إلا الله هو الحى فادعوه مخلصين له الدين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله دعا ربه تضرعا وخفية ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد .

حين نقرأ آيات الصيام نجد أنه قد تخللها ، أى جاء وسطها آية الدعاء ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشُدون** ﴾ البقرة ١٨٦ ، وفى هذا إرشاد من الله تعالى إلى الاجتهاد فى الدعاء ، فقد روى أبو داود عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة » وفى رواية لابن ماجه « إن للصائم عند فطره دعوةً ما ترد » ، كذلك روى أحمد والترمذى وابن ماجه والنسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لاتُرد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعهما الله فوق

الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول : بعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

وسبب نـزول هذه الآية أن أعرابيـا سأل رسول الله ﷺ : أقـريب ربنا فنناجـيه أم بـعيـد فنناديه ؟ فـسكت النبى ﷺ فنزل : ﴿ وإذا سـألك عبادى.. ﴾ .

وقد أمر الله عباده بدعائه ووعدهم تفضلا منه بالإجابة قال تعالى : ﴿ وقال ربكم إدعونى استجب لكم ﴾ غافر ٦٠ ، بل لقد اعتبر الإسلام الدعاء هو العبادة ، روى الترمذى عن النعـمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء هـو العبـادة » وروى الإمـام أحمد عـن أنس أن النبى ﷺ قـال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى » ، وإذا كان الله قد أمرنا بالدعـاء وتفضل علينا بالإجابة فإنه قـد ذكر فى القرآن الكريم دعوات يدعو بها المسلم مثل قوله تعالى : ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيـئاتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنـا ما وعدتنا على رسلـك ولا تخزنا يوم القيامة ﴾ آل عمران ١٩٣/١٩٤ ، ومثل : ﴿ ربنا لا تؤاخـذنا إن نسـينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقـة لنا به واعف عنا واغفـر لنا وارحمـنا أنت مولانا فـانصرنا على القـوم الكافرين ﴾ البقرة ٢٨٦ ، وقوله ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آل عمران ٨ ، وقد روى أبو داود عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يسـتحب الجوامع من الدعاء ويـدع ما سوى ذلك» وللرسول ﷺ دعـوات مأثورة ، قال له صـحابته : يا رسـول الله دعوت بدعاء كثيـر لم نحفظ منه شيئا ، فقـال : « ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كلّه ؟ تقول : اللهم إنى أسـألك من خير مـا سألك منه نبيك محـمد ﷺ

وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله » رواه الترمذى ، وكان من تواضعه ﷺ وتعليمه لأمته أن يطلب من غيره أن يدعو له ، فقد روى أبو داود والترمذى أن عمر بن الخطاب استاذن النبى ﷺ فى العمرة فأذن له وقال : « لا تنسنا يا أخىّ من دعائك » ، فإذا توسمت فى عبد الصلاح فاطلب منه أن يدعوَ لك بخير ، ومن الدعوات المستجابة دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب ، فقد روى مسلم عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » . وقد حكى القرآنُ الكريم عن بعض الأنبياء الذين دعوا ربهم فاستجاب لهم ، فأيوب دعا ربه بعد مرض لازمه ثمانيةَ عشر عاما فقال : ﴿ **أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾ الانبياء ٨٣/ ٨٤ ، ويونس دعا ربه وهو فى بطن الحوت فقال : ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾ الانبياء ٨٧/ ٨٨ ، وزكريا دعا ربه فقال : ﴿ **رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ الانبياء ٨٩/ ٩٠

فإذا ألمت بالعبد شدة ، أووقع فى ضائقة ، أو نزل به كرب ، فلمن يلجأ ؟ ومن يدعو غيرَ الله ؟ قال تعالى : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ النمل ١٢٠ ، والله يقول : ﴿ **واسألوا الله من فضله** ﴾

النساء٣٢ ، ومن الجهل بل من الشرك أن يتوجه الإنسان بالدعاء وهو عبادة إلى غير الله قال تعالى : ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ الاعراف ٢٩ ، ومن حديث لابن عباس رواه الترمذى يقول الرسول ﷺ : « إذا سالت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » ويقول الشاعر :

لا تسالنَّ بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركتَ سؤاله وبُنى آدم حين يُسأل يغضب

فالله حيى كريم يستحى إذا رفع العبد يده أن يردَّهما صفرا خائبتين كما جاء فى الحديث الذى رواه أحمد عن سليمان الفارسى . والدعاء خير على كل حال ولن يضيعَ ثوابُه عند الله . إما أن يجاب فى الدنيا أو يدخر فى الآخرة ، روى الإمام أحمد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال : « مامن مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجِّل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قال الصحابة : إذن نكثر ، قال : « الله أكثر » . . وللدعاء شروط وآداب منها ١) التوبة من الذنوب والآثام قال تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ المائدة ٢٧ ، ٢) أن يتحرى العبد الحلالَ الطيب فى مطعمه ومشربه ، روى الإمام أحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ـ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم ..﴾ المؤمنون ٥١ ، وقال ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ البقرة ١٧٢ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه

حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » ؟، وقد طلب سعد بن أبى وقاص من رسول الله ﷺ أن يدعو له بأن يكون مجاب الدعوة ، فقال له الرسول : « أطب مطعَمك تكن مجابَ الدعوة والذى نفسى بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يُتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » ٣) أن يكون خاشع القلب ، قال تعالى : ﴿ **ادعو ربكم تضرعا وخفيه** ﴾ الاعراف ٥٥ ، وورد فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » . ٤) أن يستقبل القبلة . ٥) أن يكون على طهارة . ٦) أن يقدم بين يَدَىْ دعائه صدقة . ٧) أن يصادف الدعاء وقتا من أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل ، قال تعالى : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ الذاريات ١٨ ، أو عند الأذان أو بين الأذان والإقامة أو عقب الصلوات المفروضة ، روى الترمذى عن أبى أمامة ، قال : قيل لرسول الله : أى الدعاء أسمع ؟ قال « جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات » أو عند صعود الإمام يوم الجمعة وآخر ساعة بعد صلاة عصر يوم الجمعة . ٨) ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم . ٩) ألا يتعجل الإجابة ، روى عن أبى هريرة الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « يستجاب لأحدكم مالم يتعجل ، يقول : قد دعوت ربى فلم يستجب لى » . ١٠) أن يدعو ربه بقلب واع وهو موقن بالإجابة ، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل » .

رمضان شهر الانتصارات

الحمد لله كتب النصر لعباده المؤمنين ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل رمضان شهر الصوم وشهر النصر أيضا ، ففى رمضان تحققت انتصارات المسلمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله نصره ربه بالرعب وأيّده بجند من عنده ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه .. وبعد :

لئن كان رمضان شهر الصيام والقرآن والعتق من النار ، فهو أيضا شهر الانتصارات ، ففى رمضان انتصر المسلمون على الكفار فى غزوة بدر التى وقعت يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من رمضان فى العام الثانى الهجرى ، وفى العشرين من رمضان العام الثامن من الهجرة تم فتح مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وفى رمضان أيضا كانت عودة الرسول منتصرا فى غزوة تبوك فى العام التاسع الهجْرى ، وانتصر المسلمون والعرب على التتار والصليبين فى رمضان ، فرمضان هو شهر النصر كما هو شهر الصوم ، ولنا اليوم وقفة مع غزوة بدر ، وهى أول لقاء عسكري بين المسلمين والكفار ، ونحن نعرف أن المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة تركوا أموالهم وديارهم بعد أن نالهم أذى الكفار ، فلما علم الرسول ﷺ وصحابتُه أن قافلة تجارية لقريش بقيادة أبى سفيان قادمة من الشام خرج المسلمون للاستيلاء عليها ، ولما علم أبو سفيان أرسل من يخبر قريشا بمكة ، فخرجت قريش فى ألف مقاتل لحرب الرسول ، وتمثل لهم إبليس

اللعين يغريهم بقتال المسلمين قال تعالى : ﴿ وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ﴾ الانفال ٤٨، ولما علم الرسول بخروج قريش لحربه استشار صحابته خاصة الأنصار ، قال سعد ابن معاذ ممثلا للأنصار : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : «أجل» قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه . ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك ، فسر على بركة الله ، وقال المقداد بن عمرو ممثلا للمهاجرين : يا رسول الله : امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ المائدة ٢٤ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فَسُرَّ رسول الله وقال : « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين - أى العير أو النفير - والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم » ، وخرج رسول الله فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ونزل بهم قريبا من بدر ، فقال الحباب بن المنذر لرسول الله ﷺ : أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه أم الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزل ثم نغور - أى نطمس - ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال ﷺ: لقد أشرت

بالرأى ، ونهض رسول الله ﷺ ومن معه وعملوا بمشورة «الحباب» وبنوا لرسول الله ﷺ عريشا يجلس فيه مع أبى بكر ، ولما رأى رسول الله ﷺ قريشا قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادُك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم أحِنْهم - أى أهلكهم - الغداة » وبدأت الحرب بالمبارزة ثم التحم الجيشان ، ويتوجه الرسول ﷺ إلى الله بالدعاء يسأله النصر الذى وعده ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد » وأبو بكر مشفق على رسول الله يقول له : إن الله منجزٌ ما وعدك ، وقد أخفق رسول الله ﷺ خفقة - أى نام نومة يسيرة - ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع » - أى الغبار - وصدق الله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » الانفال ١٢/٩ ، ثم إن الرسول ﷺ أخذ قبضة من تواب فرمى بها قريشا ثم قال : « شاهت الوجوه » فما بقى أحد من المشركين إلا ودخل فى عينه من هذا التراب مما شغله عن حاله ، وصدق الله : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ الانفال ١٧ ، وحاربت الملائكةُ فى صفوف المسلمين ﴿ إذ يوحى ربك إلي أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق ﴾ الانفال ١٢ ، وتحقق النصر للمسلمين ، وقُتل من الكفار سبعون وأسر سبعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وصدق الله : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ آل عمران ١٢٣ ، ولما فرغ المسلمون من المعركة التمس الرسول ﷺ أبا جهل بين القتلى . فخرج عبد الله بن مسعود

يبحث عنه فوجده فى الرمق الأخير ، فوضع ابن مسعود رجله على عنقه ، فلقد سبق أن أنزل أبو جهل بابن مسعود كثيرا من الأذى وهو بمكة فقال أبو جهل لابن مسعود : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رُوَيْعى الغنم ، فاجتز رأسه وحمله إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ : « الله لا إله غيره » وحمد ربه عز وجل . . وهكذا تحقق النصر لجنده المؤمنين ﴿ **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ آل عمران ١٢٦ ، فليس النصر بالكثرة ولا بالقلة : قال تعالى : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ البقرة ٢٤٩ ، وقد اغتر المسلمون بكثرتهم يوم حنين حتى قالوا : لن نغلب اليوم من كثرة فهُزِموا ثم منَّ الله عليهم بالنصر ، قال تعالى ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها** ﴾ التوبة ٢٥/٢٦ . وعوامل النصر هى الصبر والتقوى كما قال تعالى : ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين** ﴾ آل عمران ١٢٥ ، وصدق الله ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ الحج ٤٠/٤١

وهناك ميدان لابد أن ينتصر فيه المسلم ، هو ميدان الجهاد مع النفس الأمارة بالسوء وضد الشيطان والهوى ، ورمضان فرصة المسلم ليحقق النصر على نفسه ويلزمَها طريقَ الخير وجادة الرشاد ، فإذا انتصرنا على أنفسنا أولا تمكنا من النصر على أعدائنا أعداء الدين .



مع الايام الاخيرة من رمضان

الحمد لله ربِّ الشهــور والدهور ، يقلب الليل والنهار إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار ، وأشهـد أن لا إله إلا الله له الحكم وإليه ترجعون ، وأشهد أن سـيدنا محمداً رسول الله أدى الأمـانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكـشف الغمـة ، اللهم صل وسلم وبارك عـل سيـدنا مـحمـد وعلى آله وصحبه . . وبعد :

ها هو شهر رمضـان أوشك على الرحيل ولم يبق منه إلا القليل ، وكان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشـر الأواخر من رمضان ، لأن فيها ليلة القدر والعبادة فيها خير من ألف شهر ، وهى الليلة التى أُنزل فيها القرآن ، قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القـدر وما أدراك ما ليلة القـدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ ، ويقول فى شأنها الرسولُ ﷺ فـيما يرويه البخارى ومسلم عن أبى هريرة : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من من ذنبه »

ولا ندرى سنشهد رمـضان آخر أم لا ؟ نسأل الله القـدير أن يعيده على المسلمين وقد قويتْ عقيـدتهم ، وحسنت بالله صلتهم ، وأن ينصرهم على أعداء الاسلام ، كـما نسأله سبحـانه أن يجعلنا من عتقـاء هذا الشهر الكريم ومن المقبـولين ، فقد ورد أن القرآن والـصيام يشفـعان فى المسلم ، يقول القـرآن : يا رب أنا منعته النـوم ، ويقول الصوم يا رب : أنا منعـته الطعام والشراب ، فيـشفعان فيه ، ورمضـان من العمر ، وكل يوم يمضى فهـو من العمر ، فـالأيام تمر والليالى تكر ، ورد عن الحسن البـصرى أنه

قـال « ما مـن يـوم ينشق فـجره إلا وملك يـنادى يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » .

لقد كان رمضان فرصة لكل مـسلم يغتنمها فى المزيد من عمل الصالحات ، والتقـرب الى الله بأفضل القـربات ، فصـمنا نهارَه ، وقـمنا ليلَه ، وتلونا كتاب الله وحـفظنا جوارحنا عن كل ما حرم الله وعمَّـرنا بيوتَ الله بالذكر والطاعـات ، وسخت أيـدينا بالصدقـات ، وها هو رمـضـان بما فيـه من نفحات وفيوضات ، قد مضى وفات . . . فماذا بعد رمضان؟ هل نعود مرة أخرى إلى التـفريط والإهمـال فى عبادة الله ؟ هل نضـيِّع الصلوات ؟ هل نترك كتـاب الله ؟ ونصير ممن قال الله فـيهم : ﴿ **وقال الرسـول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** ﴾ الفرقان ٣٠ ، ـ هل نهجر بيوت الله ؟ وهى بيوت قال الله عنها : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهـيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تـتقلب فيه القوب والأبصار..** ﴾ النور ٢٦/٢٨ ، . .

لقد سُئل ابن عـباس عن قوم يعبـدون الله فى رمضان فإذا أنقـضى رمضان عادوا إلى غيهم وضلالهم ، فقال : بئس القوم يعبدون الله فى رمضان ولا يعبدونه فى غـيره . . أيها الأخوة ، إن رب رمـضان هو رب شوال ، هو رب جمـيع الشهـور ونحن مأمورون بعـبادة الله تعالـى فى رمضان وغـير رمضـان ، فإذا كنا نضاعف العـبادة فى رمضان ، فـالغرض من ذلك ، أن نشحن القلوب بشحنة إيمانية ، وطاقة ربانية ، ودفعة روحية تصحب المسلم بقـية شهـور السنة فـفى رمضـان تصفـو القلوب وتطهر النفـوس ويرقى الإنسان فى مـراقى الطاعة والقرب من الله ، فـيفيض عليه من شـعاع هذا

الإيمان مـا ينير له طريقـه ، ولذا ورد « لو يعلم الناس مـا فى رمضـان من الخير لـتمنوا أن يكون الدهر كله رمضان » خـرجه بن أبى الدنيا مـرفوعا، وروى الطبرانى « إن لله فى دهركم نفحاتٍ فتعرضوا لها » .

بقى من رمـضـان شـيء نكمل به صـومنا ، ونرضـى به ربنا ، وهو إخراج زكاة الفطر ، تخـرجها عن نفسك وعن كل من تلزمك نفقـته صاعا من بر أو شعـير أو من غالب قوت الـبلد ، ويجوز إخراجهـا نقداً ، روى البخارى ومسلم عن ابن عمـر قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعـا من تمر أو صاعا من شعير على العـبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبـير من المسلمين ، روى ابو داود وابن ماجه والدار قطنى عن ابن عبـاس قـال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهـرةً للصائـم مـن اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقاتْ » ، فالغرض منها كما ذكر ابن عباس التوسعة فى يوم العيـد على فقراء المسلمين،ومساعدة المعوزين ، قـال ﷺ « اغنوهم عن ذل الســؤال فى هذا الـيـوم » رواه الدار قـطنى والبيـهقى ، وكذلك جبـر ما قد يقع فى صـيام المسلم من قصور ، فـزكاة الفطر للصيام كسـجدة السهو للصلاة ، أما ليلة العيـد فعلى المسلم إحياؤها بحضور الجماعات ، والإكثار من الطاعات ، رُوى عن عبادة بـن الصامت حديث « من أحـيا ليلتَىْ العيـد أحيا الله قلبـه يوم تموت القلوب » . وعلى المسلم حـضور صـلاة العيـد مع إخوانه من المسلمين ، مـشاركـة لهم فى فرحـتهم ، ويلبس أجمل مـا عنده من ثياب ، ويفطر فى عـيد الفطر على تمرات وتراً قـبـل أن يخـرج للصلاة ، ويأمـر أولاده وأهـل بيـته بالخـروج

للصلاة ، فقد كان ﷺ يلبس حلة خاصة بيوم الجمعة ويومَيْ العيد كما ذكر ابن القيم ، وكـان يأمر المسلمين أن يلبسوا أجـود ما عندهم ويتطيبـوا كما رواه الحاكم ، وروى أحمد والبخارى عن أنس أنه قال : كان النبى لا يغدو يوم الفطر حتـى يأكل تمرات ، وكان يأكلهن وترًا » وعن بريدة قـال : كان النبى ﷺ لا يغـدو يوم الفطرحـتى يأكل ، ولا يأكل يوم الأضـحى حـتى يرجع . رواه الترمذى وابن مـاجه وأحمد ، وكان يأمر النسـاء حتى الحُيَّض والعواتق بحضور صلاة العيد ، لحديث أم عطية « أمرنا رسـول الله ﷺ أن نخرج العـواتق والحيض فى العيدين يـشهدْنَ الخيـرَ ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصـلى » متفق علـيه . ويستـحب الذهاب إلى صـلاة العـيد من طريق ، والرجوع من طريق آخر ، روى البخـارى عن جابر قال : « كان النبى ﷺ إذا كان يوم عيد خالـف الطريق » وكان أصحاب رسـول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : « تقبل الله منا ومنك » .

وقـد واسى رسـول الله ﷺ فى يوم العـيـد الفـقـراء والأيتـام ، وأطعمـهم الطعام ، وألان لهم الكلام ، وحثَّ على الـتزاور ، ونهى عن البخل ، وحذر من الإسراف .

أيهـا المسلمون . .انتـهزوا فـرصـة هذا اليوم المبـارك ، صلوا فيـه أرحامكم ، زوروا أقـاربكم ، أحسنوا إلى جـيرانكم ، عودوا مـرضاكم ، قـابلوا الناس بوجـه باسم ، وصـدر منشرح ، واعـفـوا عـمن ظلمكم ، وأعطوا من حرمكم ، وأحسنوا إلى من أساء إليكم ، وطهروا نفوسكم من الحقد والحسد ، والشقاق والنفاق .

أيها المسلمون : اتقوا الله طول يومكم ، وراقبوه فى سركم وجهركم ، ولا تُلهينكم زخارف الحياة الدنيا وزينتها ولا يغرنكم بالله الغرور .

قال ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » متفق عليه

❀ ❀ ❀

خطبة عن عيد الفطر المبارك

الله أكبـر (تسع مرات) ،الله أكبر كبيراً ، والحـمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ،الله أكبر كلما أذن مؤذن فجمع كل بعيد وقريب ، وكلما انتهى من أذانه فـصلى الجميع على الحـبيب، وكلما ابتـهلنا الى الله بالدعاء فكان السـميع المجيب ،الله أكبـر ولله الحمد ، الله أكـبر إذا نادى المنادى ، ادخلوا الجنة أيهـا الصائمـون من عـبادى ، ويقـال لهم إذا دخلوا ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ الحاقة ٢٤ ، فيجدون فيها زوجات كواعب أترابًا ، وكأسـا دهاقا ، مملوءةً شرابا ، لا يجدون فيهـا صخبا ولا هذر أو اغتـيابا ﴿ لا يسمـعون فـيها لـغواً ولا كذابا جـزاء مـن ربك عطـاء حسـابا ﴾ النبأ ٣٥/٣٦ ، فالله أكبر عدد جريان الأنهار وتلاطم الأمواج ، وكلما اتخذ رمضـان عيد الفطر كالتاج ، وكلـما اجتمعت للصـلاة أفواج مهللين مكبرين من كل الفجاج ، فالتقـوا بكل فرج وابتهاج ، وجددوا العزم على الطاعة بلا اعتراض أو احتجاج ، وأخذ فى إعداد العدة للسفر إلى بيت الله الحجاج ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبـر ، الله أكبر من كل كبير ، وأمره لا يقبل الإهمال أو التقصير ، يطيعه الـصغير والكبير ، والعظيم والحقير ،

تباركتْ أسمـاؤه ، وتعاظمت آلاؤه ، سبحـانه من إله كريم ورب عظيم ، وخالق حكيم ﴿ **فسبحـان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحـمد فى السموات والأرض وعشيًا وحين تُظهرون**﴾ الروم ١٧/١٨ ، ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلهـا مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾ يس ٣٦، سبحـان ربك رب العزة عما يصفون وسـلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .

الحمد لله الذى هدانا لفـريضة الصيام ﴿ **ومـا كنا لنهتـدى اولا أن هدانا الله** ﴾ الاعراف ٤٣ ، فالحمد لله ثم الحـمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله فى هذا اليوم السـعيد ، ندخرها ليـوم الوعيد ﴿ **يوم لا تملك نفـس لنفس شيئا والامر يومئذ لله** ﴾ الانفطار ١٩ ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحـبيبنا محمدا رسول الله ، صلوات الله وسـلامه عليك أيها النبى ورحمـة الله وبركاته ، نبعـثهـا إليك وإلى آلك وصحـبك هدية منا واصلة إليك ، نفتـتح بها عـيد فطرنا ، ونرجو بها قبول صومنا وقـيامنا ، إن ربى قريب مجيب أما بعد ، فيأيهـا المسلمون ، تهنئتى إليكم فى هذا اليـوم المبارك ألقيهـا من فوق هذا المنبر باسم العلم الشـريف والدين الحنيف ، بعد أن أتم الله علينا نعمـته ، فصـمنا رمـضان ، وقـمنا لياليـه ، وتلونا كتـاب الله ، فزكت نفـوسنا ، وطهرت قـلوبنا ، وقوى إيماننا ، تحـقيـقا لقوله تـعالى ﴿ **ولتكملوا العـدة ولتكبروا الله على مـا هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ البقرة ١٨٥ ، واليوم هو يوم الجائزة ، يوم العـيد يوم الفرحة والسـرور ، بإتمام صيام أفضل الشـهور ، نسأل الله أن يجعلنا من عتقاء هذا الـشهر ومن المقبولين ، وأذكركم فى هذا المقام أن الرسـول عليه الصـلاة والسلام ، لما هاجـر من مكة إلى المدينة ،

وجد اليهود يحتفلون بيومين ، يوم النيروز ، ويوم المهرجان فاستبدل بهذين اليومين يوم عيد الفطر المبارك الذى هـو يومنا هذا ، وعيد الأضحى المقبل فى يمن ورخـاء إن شـاء الله ، روى أنس أن النبى ﷺ قـدم المـدينة ولهم يومان يلعبـون فيهما فقـال ﷺ : « قد أبدلكم الله بهما خيـرا منهما ، يوم الفطر ويوم الأضحى » رواه النسائى وابن حـبان ، وقد واسى الرسول ﷺ فى عيد الفطـر الفقراء والأيتام ، وأطعمـهم الطعام ، وألان لهم الكلام ، وسنّ ﷺ خطبتَىْ العيد للحث على الصدقـة والشفقة ، والتزاور والتآزر ، والتعاون والإيثار ، وللنهى عن البخل والإسراف والاستكبار . .

وكان من عـادته ﷺ فى عيد الفطر أن يُفطـر على تمرات وترا قبل خروجه إلى الصلاة ، وكان يلبس فى هـذا اليوم أجود ما عنده من ثياب ، ويأمر صحـابته بذلك ، فالبسـوا أجمل ثيابكم ، وتطيبـوا بأزكى طيبكم ، اتبـاعـا لهـدى نبـيكم ، مع تواضع وإخبـات لله ، وبُعـدٍ عن الخـيـلاء والاستكبار ، وشـاركوا إخوانكم المسلمين فـرحتهم فى هذا اليوم السـعيد وتبادلوا التهانى بهـذه المناسبة الكريمة ، فقد كان من عـادة صحابته ﷺ إذا التقوا يوم العيد أن يتبادلوا التـهانى ، فيقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك ، وذهب أكثر أهل العلم الى استحباب الذهاب إلى صلاة العيد عن طريق والرجوع من طريق آخر ، فعن جابر رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق . رواه البـخارى ، روى الإمام أحمد ومـسلم عن أبى هريرة مـثل ذلك ، ويُشـرع خروج الصـبـيان والنسـاء فى العيدين للمصلى ، لا فرق بين البكر والثيب ، والشابة والعجوز والحائض ، لحديث أم عطية « أُمِرنا أن نُخْرِجَ العواتـقَ ـ الأبكار ـ والحُيّض فى العيديـن

يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى » متفق عليه ، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين ، رواه ابن ماجه والبيهقى . .

فالعيد يوم فرح وابتهاج ، وتزاور وامتنان ، ومحبة وألفة ، وبسمة عريضة على الوجه ، وفرحة كبيرة فى القلوب ، تلقى بها إخوانك المسلمين ، تهنئهم ويهنئوك ، وتفتح معهم صفحة جديدة ، لا خصام ولا شقاق ، ولا عداوة ولا بغضاء ، ولكن محبة وأخوة وألفة وتسامح ، منتهزين فرصة هذا اليوم الطيب ، فنعفو عمن ظلمنا ، ونعطى من حرمنا ، ونحسن إلى من أساء إلينا ، ونزور إخواننا فى الله ، ونصل قربانا ، ونود أرحامنا ، ونكثر من التقرب إلى الله بالطاعات ، ونخفف الكرب عن المكروبين ، ونمسح رؤوس الأيتام ونقدم العون للمحتاجين ، حتى تعم الفرحة جميع بيوت المسلمين ، ويشمل السرور كلَّ مواطن المؤمنين ، وحتى يملأ الإيمان قلوبنا ، ونشعر بعظمة ديننا ، والمؤمنون إخوة قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات ١٠ ، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « يأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام ، وصلُّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » . . . أيها المسلمون : اتقوا الله ولا تشغلكم دنياكم عن أخراكم واعلموا أنكم على ربكم ستعرضون وبأعمالكم ستحاسبون ، وإياكم ونزغات الشيطان ، لا تتبعوه فيضلكم عن

سبيل الله ﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ ص٢٦ ، ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ النور ٢١ ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ فاطر ٦ . . .

ورد أن الله ينادى ملائكته قائلا : « ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا ، جزاؤه أن يوفَّى أجره برحمتك ، فيقول سبحانه ، وقد نظر إلى جميع المصلين للعيد نظرة حنان ، سلونى يا عبادى ، فوعزتى لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت إليكم ، قد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم » أخرجه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ، وروى أبو هريرة الحديث المتفق عليه أن رسول الله قال : « للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه »

ملاحظة : يكبر عند أول الخطبة الثانية سبع تكبيرات ، ويكبر فى الركعة الأولى من صلاة العيد سبع تكبيرات سوى تكبيرة الإحرام وفى الركعة الثانية خمس سوى تكبيرة القيام . .



إبراهيم خليل الرحمن وإمام الحنفاء

الحمد لله اتخذ إبراهيم خليلا وجعله أمة وحده ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل إبراهيم إماما للحنفاء ، وأبا للمسلمين ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أولى الناس بإبراهيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد :

فى الخطب القادمة إن شاء الله سنتكلم عن البيت الحرام وبنائه ودعوة الناس للحج إليه ، وهذا يدعونا أن نقدم ذلك بالحديث عن إبراهيم فهو الذى رفع قواعد البيت مع ولده إسماعيل وتوجها إلى الله بالدعوات ، وإبراهيم خليل الرحمن قال تعالى : ﴿ **واتخذ الله إبراهيم خليلا** ﴾ النساء ١٢٥ ، وهو أيضا أبو المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم مسلمين** ﴾ الحج ٧٨ ، وإبراهيم لا يتبع اليهودية ولا ينتمى إلى النصرانية قال تعالى : ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** ﴾ آل عمران ٦٧ ، ووصفه الله بانه أمة ، قال تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين** ﴾ النحل ١٢٠/١٢٢ ، لقد استحق إبراهيم هذا التكريم الإلهى لأنه وقف حياته لمحاربة الشرك ومحاجة المشركين مبينا لهم سوء معتقدهم ، فقال لعباد الأصنام : ﴿ **ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين** ﴾ الأنبياء ٥٢/ ٥٤ ، وكان أبوه يعبد هذه الأصنام بل يصنعها ويبيعها ودعاه إبراهيم

لكنه ردّ عـليـه قــائلا : ﴿ **لئن لم تـنتـه لأرجـمـنك واهجـرنى مليـا** ﴾ مريم٤٦، ودفعته غـيرته على التوحيد إلى تحطيم الأصنام ، وألقى بسـببها فى النار ، لكن الله نجاه منها ، ثم انتقل إلى محاجة عباد الكواكب السيارة ، وبيّن لهم أنهـا لا تصلح أن تكون آلهـة لأنهـا من مخلوقـات الله ، وهى مسخـرة لأمره تَسْبَحُ فى أفلاكـها بقدرته لا تزيغ عنها يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسـها تصـرفا ، تطلُع من الشرق لتـغرب فى جهـة المغرب ، ثـم تعود ، وهكذا ، وتدرج معهم فى محاجتهم ، فبدأ بكوكب الزهرة ، قال تعالى : ﴿ **فلما جنّ عليـه الليل رأى كوكـبا قال هذا ربى فلمـا أفل قال لا أحب الآفلين** ﴾ ثم ثنّى بالقمر ﴿ **فلما رأى القمر بازغـا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين** ﴾ ثم ختم بالشمس وهى أكبر الكواكب ﴿ **فلما رأى الشمس بازغة قـال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قـوم إنى برىء مما تشركون إنى وجـهت وجهى للذى فطر السـموات والأرض حنيفـا وما أنا من المشركين وحاجـه قومه** ﴾ الأنعام ٧٨/ ٨٠ ، وأثبت بالمناظرة والحجة أن هذه الكواكب لا تصلح آلهة وتبرأ منها . وكان إبراهيم بعد نجـاتـه مـن النار قد دعاه الملك واسـمه « النمروذ » وكـان قد تأله فى قومه ، وكان عليـه أن يؤمن برب إبراهيم الذى نجاه من النار ، لكنه طلب مـن إبراهيم دليـلا على وجـود ربـه ، فـقـال إبراهيم : ربى الذى يحـيى ويميت ، فقال النمروذ وأنا أحـيى وأميت ، وذلك أنّه أُتى له برجلين حُكِما عليهما بالقـتل ، فأمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخـر ، فقال ها أنذا أحيى وأميت وكان ذلك من الملك على سبيل المكابرة والعناد ، فقال له إبراهيم : إن كنت تدعى أنك تحيى وتميت فالذى يحيى يميت قادر على أن يتصرف فى

الوجود فى خلق ذراته وتسخير كواكبه ، فهـذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلهـا كما تدعى تحيى وتميت فات بهـا من المغرب ؟ فلما علم عجزَه ولم تنفعه المكابرة أُخرس وقامت عليه الحجة ، وسلط الله على هذا الملك وجيـشه جندا من جنده وهو البـعوض أكلت لحومـهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدةٌ فى منخرَىْ الملك لا تهدأ حتى يضرب بالمرازب حتى أهلكه الله قال تعالى ﴿ **الم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك** ..﴾ البقرة ٢٥٨ . ولم يؤمن برسالة إبراهيم إلا زوجـه سارة وابن أخيه لوط .. ثم أوحى الله إلى لوط وأرسله إلى سـادوم وعامورة ، وكانت بلادهم فى دائرة الأردن قريبا من البحـر الميت ، وكانوا أهل فاحشة يأتون الذكران فى ناديهم ولا يستحيـون ويقطعون السبيل ، فأرسل الله إليه ملائكة لهلاكـهم وكانوا على هيئة رجـال شبان مُرْد حِسَان الوجوه ، وفى الطريق مروا بإبراهيم فـاستضافهم وأكـرمهم وذبح لهم عجلا سـمينا شواه على الرَّضْف .. أي الحـجارة المحـماة ، وقـربه إليهم ، فلمـا لم يأكلوا طعامـه إرتاب فى شأنهم وأوجس منهم خـيفة ، فـأخبـروه أنهم ملائكة ، وأنهم جـاءوا لإهلاك قـوم لوط ، فـانزعج إبراهيم وخـاف على لوط فـقـال : ﴿ **إن فيـها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيـها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ العنكبوت ٣٢ ، وكـان إبراهيم رجلا رقـيق القلب ، فأخـذته الشـفـقـة على قـوم لوط فـجـادل الملائكة فى سـأنهم فـقـال له الملائكة : ﴿ **يا ابراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** ﴾ هود ٧٦ ، ثم قـالت الملائكة لإبراهيم : إنما جـئنا لنبـشرك بغـلام تلده سـارة اسمـه إسحاق ، فـتعجب إبراهيم كمـا تعجبت سارة لكبر سن إبراهـيم وبلوغها

سن اليأس وأنها عقيم لا تلد فقالت الملائكة هذا أمر الله :

قال تعالى : ﴿ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ هود ٧١/٧٣ ، وقال تعالى : ﴿ وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرّة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ، قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ﴾ الذاريات ٢٨/ ٣٠ ، ولما ذهبت الملائكة إلى لوط ساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم وخشى إن لم يُضفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينا لَهم بسوء وقال : ﴿ هذا يوم عصيب ﴾ هود ٧٧ ، لانه علم أن قومه سيتعرضون لهم،ولابد أن يدافع عنهم وهو لا يقدر على ذلك ، فجاء بهم إلى داره فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها بقدوم شبان حسان الوجوه فى بيت لوط ، فجاء القوم يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك،فأرشدهم لوط إلى نسائهم قال : ﴿ يا قوم هؤلاء بناتى هنّ أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد ﴾ هود ٧٨ ، المقصود ببناته زوجاتُهم فإن النبيّ بالنسبة للأمة بمنزلة الوالد واستُأنس لهذا الرأى بقوله تعالى : ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ الاحزاب ٦ ، وأحس لوط بالعجز عن مدافعتهم فقال : ﴿ لو أن لى بكم قوةً أو آوى إلى ركن شديد ﴾ هود ٨٠ ، فعند ذلك اخبر الملائكةُ أنهم رسل الله وأنهم لا وصول لهم إليه ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ هود ٨١ ، عند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوهَهم بجناحه فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون

الطريق قال تعالى : ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى و نذر ﴾ القمر٣٧ ، ثم أمرت الملائكة لوطا أن يتركَ القريةَ مع ابنتيه المؤمنتين ، أما زوجته فهلكت مع الهالكين : ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد لا أمراتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ هود ٨١ ، ثم أهلك الله قوم لوط عند طلوع الشمس فجعل عاليها سافلها : أى قرى قوم لوط ، وأرسل الله عليهم حجارة كل حجر مكتوب عليه اسم صاحب الذى ينزل عليه ، فتتبعتهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم ، قال تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عيها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظامين ببعيد ﴾ هود ٨٢/٨٣ .

وتلك عاقبه كل ظالم ونهاية كل فاجر .. وصدق الله ﴿ وما هى من الظالمين ببعيد ﴾



إبراهيم والبيت الحرام

الحمد لله جعل الكعبة البيت الحرام للناس وأمنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، جعل قلوبَ المسلمين موجهةً إلى بيته الحرام ، ورزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله طهّر بيتَ الله للطائفين والقائمين والركع السجود ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فى هذه الأيام يشعر المسلمون فى كل مكان بالحنين إلى الأرض

المقـدسة ، ويدفـعهم الشـوق إلى هذه البقـاع الطاهرة التى شع منهـا نور الإسـلام فعم الأنام ، والتى عـاش فيـها رسـول الله ﷺ ، وعاش فـيهـا صحابته رضوان الله عليهم ، وعاش فيـها قبلهم جَدُّ العرب إسماعيل وأبوه خليل الرحـمن إبراهيم . . وقد كانـت هذه البقعـة « البيت الحـرام » وما حولهـا خرابا ، لا زرع فـيها ولا مـاء ، ولا أنيس ولا جليس ، لكن الله أراد لهذه الأرض أن تعـمر بالوافدين ، وتكثـر بها الخيرات ، ويأتى إليـها الحـجيج مـن كل مكان ، فكان مـا كان من إبراهـيم مع ولده إسمـاعـيل الرضيع وأمه هاجَر ، . . وهاجَر أم إسماعيل هذه من مصر ، وكان إبراهيم قد نزل بمصـر فأهداه ملكها « هاجـر» لتكون خادما لسارة ، وكـانت سارة عقيما لا تلد ، فدخل إبرهيم بهاجر ، فرزقه الله منها ولده إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم . .

وتنفيذا لإرادة الله صحب إبراهيم زوجه هاجر مع وحيده إسماعيل إلى الأرض المباركة إلى بيت الله الحرام ، والقصـة كما رواها البخارى عن ابن عباس جاءت بروايات متعددة مجملها أن إبراهيم ﷺ جاء بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهى ترضعه ـ ولم يكن له ولد سواه ـ حتى وضعهما عند البيت ، عند دوحة فـوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومـئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهمـا جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قضى ـ أى رجع ـ إبراهيم منطلقا ، فتبعـتْه أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا جليس ؟ حيث الوحـوش والعطش والجوع ، وإبراهيم قلبه يتـقطع ونفسه تتحسـر ، لكنه لا يستطيع جوابا ، فلما قالت له مرارا وهو لا يلتفت اليها ، قالت :

آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية « الحجون » حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم رفع يديه ودعا بهذه الدعوات ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل** أفئدة من الناس تهوى **إليهم وارزقهم من الثمرات لعلكم يشكرون** ﴾ إبراهيم ٣٧ ، وقد استجاب الله دعوة إبراهيم فجعل قلوبَ المسلمين فى كل زمان ومكان معلقة ببيت الله الحرام ، لا يمل الناسُ زيارتَه ولا يقضون منه وطرهم وصدق الله : ﴿ **وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** ﴾ البقرة ١٢٥ ، كما أن البركات حلَّت بهذا المكان فكثر فيه الخير قال تعالى : ﴿ **أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾القصص ٥٧ . . ثم إن أم إسماعيل جعلت ترضع صغيرَها ، وتشرب من الماء حتى نفد ما فى السقاء وعطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت إلى الصفا ، فصعدته ، فلم تر أحدا ، ثم هبطت تسعى سَعْى المجهود ، فصعدت المروةَ فلم تر أحدا ، فعلت ذلك سبعَ مرات ، وذلك أصل السعى بين الصفا والمروة ، ثم سمعت صوتا ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فضرب الأرض بجناحه فانبثق الماء ، وصدق الله : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء** ﴾ البقرة ٧٤ ـ فجعلت هاجَرُ تحوط هذا الماء وتغرف منه فى سقائها ، فشربت وأرضعت ولدَها ، فقال لها المَلَك : لا تخافوا الضَّيْعة ـ أى الهلاك ـ فإن هاهنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . . .

هـذا المـاء الذى انبثق هـو ماء زمـزم الذى يقـول فيـه الرسول ﷺ « مـاء زمزم لما شـرب له » رواه الحـاكم أى : أن من شـربه يقصـد الرى أرتوى ، ومن شربه يقصد الشفاء شفى بإذن الله ، وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ شرب من مـاء زمزم وأنه قال : « إنها مباركـة ، إنها طعام طُعم وشفاء سُقم » . وروى الطبرانى وابن حـبان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم » ثم إنه مر بهم أهل بيت من قبيلة جُـرْهُم فنزلوا فى أسفل مكة ، فرأوا طيرًا عـائفا ـ أى تحوم ـ فقالوا : إن هذا الطير ليدور على ماء فـأرسلوا من يخبرهم فعرفوا أن بهذا المكان ماءً ، فجاءوا إلى أم إسماعيل ، واستأذنوها فى النزول عندها فأذنت لهم ، وكبر إسماعيل وتعلم العربية منهم ، وتزوج أمرأة منهم ، ثم ماتت أم إسماعيل ، وجاء إبراهيم لزيارة إسماعيل فلم يجده ووجد زوجته فسألها عن حالـها فقـالت : نحن بِشَرٍّ وفى ضـيق وشدة ، فـقال لهـا : إذا جاء زوجك فاقرئية منى السلام وقولى له : يغير عـتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فعرف أنه أبوه ، وأنه أمره بفراقـها ، فقال لها : ألحقى بأهلك ، فطلقهـا ، وتزوج منهم أخرى . . فغـاب عنهـم إبراهيم مـا شاء الله ، ثم جاء لزيارتهم فلم يـجد إسماعـيل ووجد زوجتـه ، فسألهـا عن حالهم ، فقالت نـحن بخير وسَعة وأثنـت على الله ، فدعا لهمـا ، ثم قال إذا جاء زوجك فأقـرئى عليه السلام ومـريه يثبت عـتبة بابه ، فلمـا جاء إسمـاعيل أخبرته الخبـر ، فقال : ذاك أبى وأنت العتبة أمـرنى أن أمسكك ، ثم غاب عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، فوجـد إسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فـلما رآه قام إليه فتعانقا وتصافـحا ، فقال إبراهيم

لابنه إسماعيل : إن الله أمرنى أن أبنىَ بيتـا هاهنا ، وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رفع القواعدَ من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعـيل يناوله وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل من إنك أنت السميع العليم ﴾ البقرة ١٢٧ .

وإن شاء الله فى الخطبة القادمة نكمل أحداث قصة بناء الكعبة وأمر الله إبراهيم بأن يؤذن فى الناس بالحج .



وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا

الحمد لله أمـر إبراهيم مع ولده إسماعيل ببناء البـيت العتيق ورفع قـواعده ، وأشـهد أن لا إله إلا الله طلـب إلى إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج ليشهدوا منافع لهم ، ويذكـروا اسم الله فى أيام معلومات ، وأشهد أن سيـدنا محمدا رسـول الله أفضل من طاف وحج واعتـمر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . .وبعد. .

فى الخطبـة السابقـة قلت إن إبراهيم ذهب بزوجه هاجـرَ ورضيـعه إسماعيل ، وتركـهما عند البيت الحرام ، ثم نبع ماءُ زمزم وكَبِـر إسماعيلُ وتزوج وكان أبوه إبراهيـم يتردد عليه لزيارته ، وفى إحـدى الزيارات أعلم إبراهيمُ ولدَه إسماعيلَ أن الله أمره ببناء البيت الحرام ، وطلب من إسماعيل أن يساعـده ، وهيأ الله مكانَ البيت لإبراهيم حـيث اختار مكانا مرتفـعا ،

قال تعالى . ﴿ وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ الحج ٢٦ ، وهو أول بيت يبنى فى الأرض للعبادة ، وقال تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا ﴾ آل عمران ٩٦/٩٧ ويقال : إن الملائكة سبق أن بنته ، ويقال : إن آدم بناه ، ويقال : إن « شيث » ابن آدم قد بناه ، وقد أُعيد بناءُ الكعبة فى عهد النبى ﷺ وكان عمره خمسا وثلاثين سنة ، وقد شارك فى بنائها ، ولما رُفعت القواعدُ وتم البناء اختلفت القبائل فيمن يضع الحجر الأسود مكانه فى الركن ، وكادت تقوم بينهم الحرب ، إلا أنهم اتفقوا على أن يحكّموا أول داخل من باب المسجد ، فكان أولُ داخل رسولَ الله ﷺ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد ـ وكانت قريش تسمى الرسولَ ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى « الأمين » ـ فلما أخبروه الخبرَ قال ﷺ : هلمّ إلى ثوبا ، فأُتى به فأخذ الركن يعنى الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم أرفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعَه ، وضعه هو بيده ﷺ ثم بُنى عليه . . . وقد بُنيت الكعبة مرة أخرى فى عهد عبد الله بن الزبير فى أواخر خلافة يزيد بن معاوية ، ثم بناها الحجاج بأمر من عبد الملك بن مروان . .

نرجع مرة أخرى إلى إبراهيم وبناء الكعبة ، أخذ إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة حتى ارتفع البناء ، فطلب إبراهيم حجرًا كبيرًا ليقف عليه ويواصل البناء ، فجاء إسماعيل بالحجر ، فوقف عليه إبراهيم وأخذ يبنى ، كلما فرغ من جهة نقله إلى الآخرى ، حتى إذا انتهى من البناء وضعه فى الركن ، والحجر الأسود يقبله الحجاج اقتداء بالرسول

ﷺ ومن لم يستطع تقبيلَه لمسه بيده فإن لم يستطع لمسه بعصا أو نحوها فإن لم يستطيع أشار إليه بيده ، وقد قـبَّل عمرُ الحجرَ الأسودَ ، وقال : « والله إنى أعلم أنك حـجر لا تضر ولا تنفع ، ولـولا أنى رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » متفق عليه ، ويقـول ﷺ كما يروى ابن حبان : « الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح به خلقه ، كما يصافح الرجل أخاه » (ضـعيف) ، وكـان إبراهيم يبنى ويسـاعده ولده إسـماعيـل وهما يدعوان كما يقول القرآن الكريم : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيمُ القواعـدَ من البيت وإسمـاعيل ربنا تقـبل منا إنك أنت السمـيع العليم** ﴾ البقرة ١٢٧ ، وفى هـذا إشارة لتعليم المسلم أن يعمل العملَ الصـالحَ ويدعوَ اللهَ بأن يتقبلَه ، كذلك كان من دعـوات إبراهيم ﴿ **رب اجـعل هذا الـبلد آمنا** ﴾ إبراهيم ٣٥ ، وقد استجاب الله دعـوة خليله حيث يقول تعالى : ﴿ **أولم يروا أنا جعلنا حـرما آمنا ويُتخطف الـناسُ من حولهم** ﴾ العنكبوت ١٦٧ ، وقال تعـالى : ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ آل عمران ٩٧ . . . وكان من دعوات إبراهيم أيضا : ﴿ **وأرنا مناسكنا** ﴾ البقرة ١٢٨ : أى مناسك الحج ، فأتاه جـبريل فعـلمه المناسك من طواف وسعى ورَمْى ، روى عن ابن عباس أنه قال : انطلق جبريل بإبراهيم حتى إذا أتى مِنىً فـقال : هذا مناخ الناس ، فلما انتـهى إلى جمرة العقـبة تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أتى به إلى الجمرة الوسطى فتعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أتى إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فـرماه بسبع حصيات حتى ذهب إلخ ، ثم أمـر الله إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج ، قال تعـالى : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضـامر يأتين من كل فج عميق لـيشهدوا**

منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ الحج ٢٧/٢٨ ، وورد عن ابن عباس وغيره أن إبراهيم قال : يارب كيف أبلّغ الناسَ وصوتى لا ينفذهم ؟ فقال الله تعالى : ناد وعلينا البلاغ ، فنادى إبراهيم حتى بلغ الصوتُ أرجاءَ الأرض ، فاسمع من فى الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كَتَبَ الله له أن يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك .

وجاء الإسلام فجعل الحجَّ ركنا من أركانه ، يجب على المستطيع مرة واحدة فى العمر ، قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلا ﴾ آل عمران ٩٧ ، روى أبو هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله فرض عليكم الحجَّ فحجوا » فقال رجل « أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال : « ذرونى ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم وإختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم . والحج يكفّر الذنوب ويمحو الآثام ، قال ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيومَ ولدته أمه » ،رواه أبو هريره وهو متفق عليه ، وقال ﷺ « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنةَ » متفق عليه ، روى ابن حبان حديثَ « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره،إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم،وإن دعوه استجيب لهم » ، روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسولُ الله ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسله » قيل ثم ماذا ؟ قال : « جهاد فى سبيل الله قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »

والحج أيضا مؤتمر إسلامى يلتقى فيه المسلمون من شتى بقاع الأرض ، وأركان الدنيا . . ففيه فرصة لاجتماع حكام المسلمين أو من ينوب عنهم ليتدارسوا - بعد الفراغ من آداء مناسك الحج - مشكلات المسلمين والأقليات المسلمة ، ويضعوا لها الحلول فى جو من الأخوة الإسلامية والمودة الربانية . .

كما أننى أذكّر إخوانى فى الله بفضل العشر الأوائل من ذى الحجة ، حيث روى البخارى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر » قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع بشيء من ذلك » ويسن صوم يوم عرفه لغير حاج فقد ورد أنه يكفر سنتين .



اصحاب الفيل

الحمد لله حمى بيته من كيد الكائدين ، ورد عنه عدوان العادين ، وأشهد أن لا إله إلا الله شرف بيته وجعله مثابة للناس وأمنا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله طهر بيته لكل حاج ومعتمر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد :

الكعبة بيت الله الحرام التى أمر الله إبراهيم ببنائها مع ولده إسماعيل أول بيت وضع للناس جعله الله مباركا وهداية للعالمين وأحاطه

بالأمن ، قال تـعالى : ﴿ وإذا جعلنا البيت مـثابة للناس وأمنا ﴾ البقرة ١٢٥ وقال : ﴿ ومن دخله كـان آمنا ﴾ آل عمران ٩٧ ، فكان الرجل يلقى قـاتلَ أبيه فى الحرم فلا يتعرض له تعظيما لهذا البيت ، وكانوا فى الجاهلية يتخطّفون ويُسْبَوْن من حول الحرم ، أما أهل الحـرم فهم فى أمن ورخاء قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حـرما آمنا ويُتخـطفُ الناس من حولهم ﴾ العنكبوت ٦٧ وقال تعالى : ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ القصص ٥٧ ، وقد توعد الله كلَّ من تسـول له نفسه بأن يروع أهلَ الحرم أو يتعرض لهذا البيت بسوء بالعذاب الأليم قال تعالى : ﴿ ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ الحج ٢٥ . . هذا البيت الآمن أراد أحد الملوك الظالمين مع أتبـاعه أن يهدمّـه ويمحوَ أثرَه من الوجـود ، فأبادهم الله وخيب سعيَهم ، ورد كيدَهم فى نحورهم ، وأهلكهم ، وشردهم ، صيانةً لبيـته وعبرةً لكـل ظالم ، وإعلاما بقرب بعـثته ﷺ فـقد ولد ﷺ فى هذا العام على أشهر الأقوال ، وهذه القصة تسمى قصة أصحاب الفيل ، وهذا الملك اسمه أبرهة ، وكان يحكم اليمنَ ويدين بالنصرانية لكنه كان أقرب إلى الوثنيـة . وقد رأى العـربَ تعظم البـيتَ الحـرام ، وتحج إليه ، فـاراد أن يصرفَ الناسَ عن الكعبة فبنى كنيسة سميت « القُلَّيس » نظرا لارتفاعها لأن الناظر إليـها تكاد تسقط قلـنسوته ـ أى عمـامته ـ عـن رأسه ، ونـادى بأن يحج إليها الناس بدلا من البيت الحرام فكرهت العربُ ذلك وغضبت غضبا شديـدًا ، حتى إن أحدَ العرب تسلل إلى هـذه الكنيسـة ليلا وأحدث بهـا ـ تبرز ـ فلمـا علم « أبرهةُ » غضب غضبًـا شديدا وأقسم ليسـيرنَّ إلى بيت مكة وليهد منه حجرا حجراً ، وخرج فى جيش عظيم عرمرم ، واصطحب

معه فيلا عظيما كبير الجثة لم يُرَ مثله يقال له : « محمود » ليهدم به الكعبة ، بأن تُربطَ جدرانُ الكعبة بالسلاسل وتعلق فى عنق الفيل ثم يزجر فيتحرك فتسقط جدران الكعبة مرة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيرة جيش أبرهة أعظموا ذلك ، ورأوا أن يمنعوه عن البيت ، فخرج إليه رجل من أشراف اليمن يقال له : ذو نفر فقاتله مع قومه فهزمه أبرهة وأسره لما يريده الله عز وجل من كرامة بيته وتعظيمه ، ووصل أبرهةُ بجيشه إلى مشارفِ مكة ، وأغار على إبل لقريش واستولى عليها ، وكان فيها مائتا بعير لعبد المطلب جدِّ الرسول ﷺ وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانه وهذيل وغيرهمُ بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم بذلك ، وبعث أبرهةُ من يسأل له عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ليخبره أنه لم يات لحربهم ، ولكنه جاء لهدم هذا البيت ، فإن لم يتعرضوا له فلا حاجة له فى حربهم ودمائهم ، ودُلَّ رسولُ أبرهةَ على عبد المطلب فأخبره بخبر أبرهة ، فقال له عبد المطلب:والله ما نريد حربه،ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، فإن يمنعْه اللهُ فهو بيته وحرمه ، وإن يُخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ، فقال رسول أبرهة لعبد المطلب:فانطلق معى فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، فلما رآه أبرهةُ أجلَّه ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسنَ المنظر ، ونزل أبرهةُ عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه . . قل له ما حاجتك ؟ فقال عبد المطلب : إن حاجتى أن يردَّ على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فقال أبرهة لترجمانه قل له : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى

بعير أصبتها لك وتتركُ بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟ فقال له عبد المطلب : أما الإبل فهى لى،وأما البيتُ فله رب يحميه ، فقال أبرهة مـا كان ليمتنعَ منى ، فقـال له عبد المطلب : أنت وذاك . وردَّ أبرهةُ على عـبد المطلب إبلَـه ورجع إلى قريش فـأمرهم بالخـروج من مكة والتحـصن فى رءوس الجبال تخوفـا عليهم من جيش أبرهة ، ثم قـام عبد المطلب فأخذ بحلقة الكعبة وقام مـعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهةَ وجنِدِه . . فلما أصبح أبرهةُ تهيأ لدخـول مكة وعبَّأ جيشَه وأعدَّ الفيلَ لهدم جدران الكعبة ، فلما وجهوا الفيلَ نحو مكةَ برك فضربوه ليقومَ فأبى وأكثـروا به الضربَ ، ضربوه على بطنه بِعِصِىٍّ من حـديد والفيل يأبى أن يتحركَ ، فلما وجهوه راجعا إلى اليمن قام يهرول ، فوجهوه إلى الشام فهـرول أيضا ، ثم وجهـوه الى مكةَ فبـرك مرة ثانية ، ثم كـانت العاقـبة القاصمة ، أرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف « طيور سوداء » مع كل طائر منهـا ثلاثةُ أحجار ، حَـجَرٌ فى منقاره وحـجران فى رجليه أمثال الحمص والـعدس لاتصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخـرجوا هاربين يبتـدرون الطريق الذى منه جاءوا ، يتـساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك ، وأصيب أبرهة فى جـسده وخرجوا به معهم فكانت أعـضاء جسده تتسـاقط قطعةٌ قطعة ، فما مـات حتى انصدع صدره عن قلبه وهلك أبرهة وهلكت معه الفئة الباغية .

وفى هذا يقول تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى تضليل،وأرسل عليهم طيـرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل،فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ الفيل/١-٥ .

عن يوم عرفات وحكم الأضحية

الحمد لله هدانا للإيمان ، وفدانا ببهيمة الأنعام ، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أكمل لنا الشرع ، وأتم علينا النعمة ، ورضى لنا الإسلام دينا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أحيا سنة أبينا إبراهيم الخليل ، حيث ضحّى بكبشين أملحين وقال : هذا عن أهل بيتى ، وهذا عن فقراء أمتى ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد :

فالخطبة اليوم تتناول موضوعين . . . الموضوع الأول وهو الوقوف بعرفة ، حيث يجتمع الحجيج من كل مكان ملبين مكبرين داعين الله بكل اللغات ومن كل الأجناس ، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، وحاكمهم ومحكومهم ، الكل أمام الله سواء ، يرجون رحمتَه ويخافون عقابَه، نسوا أهليهم وذويهم وشُغِلوا بأنفسهم ، رُوى عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال « إن الله يباهى بأهل عرفات أهلَ السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادى قد جاءوا شعثا غُبرًا ، أشْهدكم أنى قد غفرت لهم » ، وروى مالك عن أبى الدرداء حديث « ماروُى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام » فهذا الموقف تكثر فيه الرحماتُ ويذكرنا بأن الناس جميعا متساوون أمام الله . كما أن ملابس الإحرام تذكرنا بالكفن ، والكفن يذكرنا بالموت ، ويذكرنا أيضا بيوم الحشر ، يوم الحساب والعَرْض : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ الحاقة ١٨ ، وتعرف

كلُّ نفس مـا قدمت : ﴿ **علمت نفس ما قـدمت وأخرت** ﴾ الانفطار٥ ، يوم يقول كل إنسان نفسى : ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتُوفَّى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون** ﴾ النحل ١١١ ، يوم ينكشف المخبوء : ﴿ **يوم تُبلى السرائـر فماله من قـوة ولا ناصر** ﴾ الطارق ٩/ ١٠ ، وقد حـج رسولُ الله ﷺ حجةً واحدة فى العام العاشر من الهجرة وحجَّ معه أكثرُ من مائة ألف مسلم ، واعـتمر رسـولُ الله ﷺ أربعَ عمـرات : عمرة الحـديبية وعـمرةَ القضاء وعمرة جعرَّانه، وعمرةً مع حجه ، وصادف يومُ عرفة يومَ الجمعة ، وفيها نزل قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ المائدة٣ ، فبهذه الآية الكريمة أتم اللهُ النعمةَ على الأمة الإسلاميـة بإكمال شريعتها ، وارتضاء الإسـلام دينا لها ، وهذه أكبر نعمة وأجل منَّة ، روى الإمامُ أحمدُ قـال : جاء رجل من اليهود إلى عمر ابن الخطاب ، فقـال : يا أميـر المؤمنين ، إنكم تقرءون آيةً فى كـتابكم لو علينا يا معشـرَ اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليومَ عـيدًا ، قال : وأىُّ آية ؟ قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ..الآية ..الحديث** ﴾ كما نزل على رسول الله ﷺ سورةُ ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** ﴾ فكانت هذه آخرَ سورة نزلت من القرآن ، وفـيها نَعْىُ رسول الله ﷺ وإعلامٌ بـقرب وفاته ﷺ ، فعرف أنها حجة الوداع ، وسيلحق بالـرفيق الأعلى ، فسميت لذلك حجة الوداع ، روى عن ابن عبـاس ، قـال : لما نزلت ﴿ **إذا جـاء نصـر الله والفـتح ...** ﴾ دعا رسـولُ الله ﷺ فاطمـةَ وقـال : « إنـه قد نُعِـيت إلى نفـسى » فبكت ثـم ضـحكت ، وقالت : أخـبرنى أنه نعيت إليـه نفـسه

فبكيت ، ثم قال : اصبرى فإنك أولُ أهلى لحاقا بى ، فضحكت ، ثم إن رسولَ الله ﷺ قام فركب ناقتَهُ القـصواء ، ووقف بعرفات ، وخطب فيهم خطبة الوداع التى جاء فـيها : « يأيها الناس اسمعـوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بـهذا الموقف أبدًا ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم وأعـراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحـرمة يومكم هذا فى شهركم هـذا.إلى ما آخر ماجاء فـيها » رَوى ابن جرير وغـيرُ واحد أن رسولَ الله ﷺ مات بعـد واحد وثمانين يوما من يوم عـرفة ، بعد أن بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونـصح الأمة وكشف الغمة وتركنـا على المحجة البيضاء ليلهـا كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك ، فجـزاه الله عنا خير الجزاء ورزقنا شفاعتَه ﷺ . . .

أما الموضوع الثـانى : فيتعلق ببيـان أحكام الأضحية : فالأضـحية سنة مؤكدة لقوله تعالى : ﴿ فصلِّ لربـك وانحر ﴾ . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لـم يتـرك عيـدَ أضحى دون أن يضحيَ فـيـه ، سواء كان مسافـرا أو مـقيـما ، وقـد رَوى أنسُ أن النبيّ ﷺ ضحّـى بكبشين أملحين أقـرنين ذبحهما بيده الشريفه وسمّى وكبّر ، ذبح واحدا عن أهل بيته ، والآخرَ عن فقراء أمته ، وللحديث الذى رواه أبو هريرة : « من كان له سَعَةٌ ولم يضح فلا يَقْرَبَنَّ مصلانا » رواه أحـمد ، وحديث : « على كل بيت فى كل عام أضحـية » قـالوا يا رسول الله : مـا هـذه الأضاحى ؟ قـال : سنـة أبيكم إبراهيم ، قالوا : مالنا فـيها ؟ قال : بكل شعرة حـسنة « رواه أحمد » ، وروى الترمذى عـن عائشةَ أن رسولَ الله ﷺ قال : « مـا عَمِل آدمىٌّ يوم النحر من عمل أحبٌ الى الله من إهراق دم، وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها

وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا » ، وليس على الحاج بمنى أضحيةٌ إلا أن يتطوع . . .

وحكمة مشروعيتها : أنها إحياء لسنة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأنها توسعه على المسلمين فى هذه الأيام المباركة ، ويجوز الأضحية بالغَنَم بشرط أن تبلغ ستة أشهر وبالماعز بشرط ان يبلغ سنة ، وبالإبل والبقر ، ويكفى الجمل أو البقرة عن سبع عائلات بشرط بلوغ الجمل خمسَ سنين وبلوغ البقرة سنتين ، كذلك يجوز الأضحية بما ليس قرن أو ذَنَب أصلا وبالخَصِيِّ ، ولا تجوز الأضحية بالعمياء ولا العوراء البيِّن عورها . . ولا الهزيلة ولا المريضة البيِّن مرضها ، ولابد أن تُذْبَحَ بعد صلاة العيد؛ لأن الله يقول : ﴿ فصلِّ لربك وانحر ﴾ ، فمن ذبح قبل الصلاة لم يُصبْ السنةَ ولا تُعدُّ أضحية ، روى البراءُ بنَ عازب رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « أول ما نبدأ به عملَنا فى يومنا هذا نصلى ثم نرجعُ فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتَنا ، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك فى شيء » ، وعلى المسلم أن يذبحَ أضحيته بنفسه ، وإلا فليحضرْ ذبحَها وليقلْ عند ذبحها . . . باسم الله والله أكبر ، اللهم هذا منك وإليك ، اللهم تقبل منى ، فقد قال رسول الله ﷺ لفاطمة : « احضرى أضحيتك ، فَيَغْفِر الله لك بأول قطرة منها » ، ويجوز الذبح كذلك أيامَ التشريق الثلاثة وهى التى تلي يوم العيد ، وتُقَسَّم الأضحية ثلاثةَ أقسام ، قسم لأهل بيتك ، وقسم لضيوفك ، وقسم للفقراء ، قال ﷺ : « كلوا وأطعموا وادخروا » ولا يجوز بيع شيء منها ولا إعطاء جلدها أجرةً للجزار .

ختـاما : أذكركـم أن صوم يوم عرفـة سنه عن الرسول ﷺ لغـير الواقف بعرفة ، فقـد سئل عنه ﷺ فقال : « يكفر السنة الماضيـة والباقية » رواه مسلم .

❀ ❀ ❀

خطبة عيد الاضحى المبارك

يكبر تسعا . . الله أكبر (تسع مرات) . . الله أكـبر كبيرا ، الحمد لله كثيرا ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر مـا هامت نفوس الأحباب ، لزيارة بيت الله المهاب ، الله أكبـر مـا أجابوا دعـوة الخليل ، بـقصـد بيت الله الجليل ، الله أكـبر ، الله أكبر ، الله أكبر ما طافوا طواف القـدوم ، ببيت الحى القيوم ، الله أكبر ما وقفوا جميـعا بعرفات ، الله أكبر ما استجيـبت لهم الدعوات ، الله أكبر ما ندم كل منهم على ما فات وتاب إلى الله واستعـبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

سبـحان من سقـاهم من ماء زمزم للإكـرام والمبرة ، سبـحان من دعاهم إلى بيـته ليودَعهم سـراً ، سبحان الله والحـمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر . الحمد لله وسع فى هذا اليوم الخـيرَ للمسلمين ، وأعتق فيه من النار الكثـيرين ، وجعل الجـنةَ جزاءَ الطائعين ، والنارَ مـصيرَ الـعاصين ، وأشهـد أن لا إله إلا الله استحق أن يُحـمد ويُشكر ، وله يُسجـد ويُكبَّر ، وأشهد أن سيدَنا مـحمدا عبدُه ورسولُه ، الرحمة المهـداة والنعمة المسداة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم

بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعد أيهـا المسلمون . . فهذا يوم العـيد لمن طاعاته تزيد ، وعمل ليـوم يشيب فيه الوليد ، ويحاسب الله فيـه العبيد ، فليس العيدُ لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن خاف الوعيد ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فـاتقوا الله ولا يغرنكم الشـيطان الرجيم ، فقـد حاول ذلك مع أبينا إبراهيـم ، حيث أُمـر فى المنام بذبح وحـيـده ، وفلذة كبـده إسماعـيل ، ورؤيا الأنبياء وحى لا يُنكر ، فخـرج فى مثل هذا اليوم وبادر وبكر ، بعد أن قال لابنه إسماعيل : ﴿ يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ ويرد عليه ولده قائلا : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ الصافات ١٠٢ ، وفشل الشيطان فى وسوسته لإسماعيل وأمه هاجـر ، أما إبراهيم ، فقد أخـذ معه حبـلا وسكينا ، وشد وثاق ابنه شدًا مـتينـا ، والذبيح ينظر إليه صـابرًا على البلاء المقـدر ، يقول لأبـيه : ياأبت اشـدد كتـاف يَدَىّ ، واصرف وجـهك وقتَ الذبح عن النظر إلىّ ، وثبّت قلبك واصبر ، وامض إلى ما أمرك به ربُّ العالمين وأحسن ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يوسف ٩٠ ، والسلام عليك إلى يوم المحشر ، فعند ذلك أوثق الخليلُ كـتافَه شـدا ، واتخذ هذا المقـامَ عند الله عهـدًا ، وقلبُه ذائب ودمعه يتحدر ، ﴿ فلما أسلما وتلّه للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ الصافات ١٠٣/١٠٥ ، عند ذلك أمرّ إبراهيم السكين قـائلا : باسم الله الله أكبر ، ونادى الله فى مـلائكته ، أن أدركوا الخليل ، قبل أن يذبح ولدَه إسماعـيل ، وأمر بذلك جبريل ، قائلا له ، لئن سبقك بذبح ولده ، لأمـحون اسمك من ديوان الملائكة المسطر ، فنزل جبريل مسرعا بأمر الملك الجليل ، وقلب السكينَ من يد أبينا الخليل ،

فأمرّها بعد ذلك فلم تقطع ولم تكسر ، فأمرها ثانية فلم تقطع لحما ولا وريدًا ، فتفكر فى أمره وتحير ، فطعن بها فى لبته فأبت أن تنزل فى المنحر ، ونزلت أسفل النصاب ، ولان حديدها فى الذهاب والإياب ، وكادت من الاضطراب تتكسر ، فاعادها ثالثة وهى لا تزداد إلا كلالا ، وإزداد الخليل الى ربه تضرعا وابتهالا ، وقال للسكين : عجبا : ما رأيت سكينا مثلك لا تقطع ، فردت عليه السكين عجبا : ما رأيت عينا مثل عينك لم تدمع ، فقال : إن الذى أعهده فيك القطعُ عند المرور على المنحر ، فقالت السكين : إن الذى سلب منك الشفقةَ التى كانت فيك موجودة ، سلب منّى بقدرته الحِدَّة التى كانت فىَّ معهودة ، فسبحان المنفذ لما أراد وقدر ، فقال لها أيتها السكين : احتجت لك فى العمر مرة ، فلم تسفكى دما لم تقطعى شعرة ، قالت السكين : يا إبراهيم إنى مقهورة ، وعلى عصيانك مجبورة ، يا إبراهيم ، كيف أقطع منه الحلقوم والأوداج ؟ وفيه نور محمد صاحب اللواء والمعراج ، يا إبراهيم أقسم عليك بالقدوس السلام ألا تجعلنى سببا فى ذبح هذا الغلام ، كل ذلك والذبيح مطروح على الأرض صابر على البلاء المقدر ، عند ذلك هاجت الأرض بقوة حراكها ، وتهافتت الكواكب من أفلاكها ، وما من ملَك إلا وضجَّ بالدعاء ومنه قد أكثر ، رب ارحم هذا الشيخ الكبير ، وافد هذا الغلام الصغير ، فعاجله بالفداء فاستبشر) وناداه الجليل نداء سرَّ به قلوب المؤمنين : ﴿ إن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ﴾ الصافات ١٠٤/ ١٠٧ ، فذبحه الخليل وكبَّر ، وأُفرغ على الوالد حلة الخلة وعلى الولد حلة النبوة ، . . وقد وقع لأبى

النبى محمـد مثلُ ما وقع لإسماعـيل ، فقد حاز محمـد الشرفين ، حيث جُعل ابن الذبيحين ، فاتقوا الله إذ فداكم ببهيمة الأنعام ، حيث كانت عن الأنبياء تنحر ، وتدبروا قوله تعالى ﴿ فصلِّ لربك وانحر ﴾ فسُرت الصلاة بصلاة العيد ، وفسر النحر بنحر الأضـحية وتُقسم الأضحية ثلاثة أجزاء ، جزء لأهل بيتك ، وجـزء لضيوفك ، وجزء يوزع على الفـقراء ، ولا يباع منهـا شيء ، ولا يعطى الجلدُ أو شيء منهـا أجرة للجـزار ، وقد ضـحَّى رسول الله بكبشين أقـرنين أملحين ذبحهما بيده الشـريفة ، وقال : هذا عن أهل بيتى ، وهذا عن فقراء أمتى ، فلا تحزن أيها الفقير ، فقد ضحى عنك البشير النذير ، روى البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: « أول ما نبدأ فى يومنا هذا نصلى ثم نرجع فننحر ، مـن فعـل ذلك فقـد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه إلى أهله ليس من النسك فى شئ »

❀ ❀ ❀

دروس من قصة الفداء

الحمد لله أن جعلنا مـسلمين ، وعلى ملة أبينا إبراهيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب ، وأشهد أن سيدنا محمـدا رسول الله نال المشرفين ، حيث جُـعل ابنَ الذبيحين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

فى خطبة عـيد الأضحى المبارك ذكـرتُ قصة الفداء ، حـيث أُمر إبراهيم فى المنام بذبح ولده ووحيده إسماعيل ، ورؤيا الانبياء وحى ، فقام إبراهيم لينفذ مـا أمره بـه ربـه ، واستـسلم الابن لأمر الله ، وسلم رقبـته

لأبيه ، قال تعالى : ﴿ يابُنيَّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يأبت افعل ما تُؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ الصافات ١٠٢ ، ونجح إبراهيم وولده فى الاختبار ، ومنَّ الله على الولد بالفداء والنبوة قال تعالى : ﴿ وفديناه بذِبح عظيم ﴾ الصافات ١٠٧ ، ومنَّ على الوالد بمنزلة الخلة وبشره بأنه سيرزق من سارة العاقر بولد اسمه إسحاق

قال تعالى : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ﴾ الصافات ١١٢ .

والعبرة فى هذه القصة تتمثل فى شيئين ، الأول طاعة الله سبحانه وتعالى فى كل ما يأمر وما ينهى ، الأمر الثانى طاعة الوالدين ، فالله أمر إبراهيم بذبح وحيده إسماعيل فلم يتباطىء فى تنفيذ أمر ربه ، ولو كانت الطاعة أن يذبح وحيده وهو فى سن متأخرة لا تسمح له بإنجاب أولاد آخرين ، وإسماعيل أيضا حين علم أنه أمرٌ من الله سلم أمره لله ، طاعة لله أولا ثم طاعة لأبيه ، لقد طَرَحَ إسماعيلُ نفسَه أرضا ليذبحه أبوه طاعة لله ، ولو كان ثمن هذه الطاعة حياتَه ، قال تعالى :﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ الاحزاب ٣٦ ، فالعبرة من القصة كما ذكرتُ طاعة الله أولا ثم طاعة الوالدين ، وذلك ما حثت عليه جميع الأديان ، ونخص هنا الحديث بطاعة الوالدين والإحسان إليهما ، فالله يقول عن يحيى : ﴿ وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴾ مريم ١٤ ، ويقول على لسان عيسى ﴿ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ مريم ٣٢ ، ويؤكد القرآن الكريم ذلك فى الميثاق الذى أخذه على بنى إسرائيل فيقول : ﴿ وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ...﴾ سورة البقرة ٨٣ ، ونلحظ أن

كثيرا من الآيات أعقبت الأمر بعبادة الله بالأمر بطاعة الوالدين ، قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ النساء ٣٦ ، وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ الانعام ١٥١ ، وقال : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ الإسراء ٢٣/٢٤ ، وجاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين » فمجىء الأمر بطاعة الوالدين والإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله دليل على أن طاعة الوالدين تأتى فى الترتيب بعد الأمر بعبادة الله تعالى ، ولا توجد فى القرآن الكريم آية تحث الآباء على البر بالأبناء ، ذلكم لأن عطف الآباء على الأبناء فطرى فى النفوس لا يحتاج إلى توصية ، إلا آية واحدة تتعلق بالميراث يقول الله تعالى فيها : ﴿ يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ النساء ١١ ، وقد علّق المفسرون على هذه الاية بأنها تدل على أن الله أرحم بالأبناء من الآباء ، ومن المعروف أن طاعة الأبناء للآباء مشروطة بأن تكون فيما يرضى الله ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، جاء فى الصحيحين أن رسول الله قال : « إنما الطاعة فى المعروف » وروى أبو داود عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية ، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، ويقول تعالى : ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا .. ﴾ لقمان ١٥ ، روى الطبرانى أن سعد بن مالك قال : أنزلت فىَّ هذه الآية ﴿ وإن جاهداك ﴾ قال : كنت رجلا بارًا بأمى ، فلما أسلمتُ ، قالتْ يا سعد : ما هذا الذى أراك

أحدثت ؟ لتدعَنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموتَ فتُعَيَّر بى فيقال : يا قاتلَ أمه ، فقلتُ : لا تفعلى يا أمه ، فإنى لا أدع دينى هذا لشيء ، فمكثت يوما وليلة لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل ، فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه : تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشيء فإن شئت فكلى ، وإن شئت لا تأكلى ، فأكلتْ .

فينبغى على شبابنا اليوم أن يتخذ من نبي الله إسماعيل قدوةً وأسوة فى طاعته لربه وطاعته لأبويه ، فيعامل أبويه معاملة طيبة ، كلها رفق ولين ، وحبٍّ ومودة ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى قضى بذلك ، قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ - ثم خص مرحلة كبر السن للأبوين بمزيد من الأدب والإحسان فى المعاملة ، لأن الأبوين فى هذه المرحلة من العمر يكونان بحاجة إلى مزيد من العطف والحنان ، وإلى من يقوم بشئونهما ويرعى أمرهما ، اعترافا بجميلهما وردًا لمعروفهما ، فقد قدَّما الكثير ، قال تعالى : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر** ﴾ ولاحظ كلمة « عندك » يعنى أن يكون الأبوان عندك أى معك ، فليس الأمر أمر نفقة أو إيداع فى دار للمسنين ، ويظن الابن بذلك أنه قام بواجبه ، فكلمة « عندك » توحى بغير ذلك مما تحسه قلوب الأبناء البررة ، وقد فسرت الآيات بعد ذلك طريقة التعامل مع الآباء والأمهات ففيها نهى عن القول القبيح والفعل القبيح : ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ وفيها أمر بالقول الحسن والفعل الحسن : ﴿ **وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح**

الذل من الرحمة ﴾ ثم بعد موتهما يطلب الابن لهما الرحمة : ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ ونظرا لمنزلة الآباء والأمهات فى الإسلام فقد أمر الله الأبناء أن يشكروه سبحانه وتعالى ، فهو خالقهم ثم يشكروا الآباء فهم سبب وجودهم فى هذه الحياة ، قال تعالى : ﴿ أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾ لقمان١٥ ، بل لقد اعتبر الإسلام القيام بشئون الأبوين ورعاية مصالحهما كالجهاد فى سبيل الله ، روى مسلم أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه فى الخروج للجهاد ، فقال له ﷺ : « أحيى أبواك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » ، روى الإمام أحمد والنسائى : أن رجلا جاء إلى الرسول ﷺ فقال يا رسول الله : أردت الغزوَ وجئت أستشيرك ، فقال ﷺ : « هل لك أم ؟ » قال : نعم ، قال : « فالزمها فإن الجنة عند رجليها » ، ولقد اعتبر الإسلام الولدَ ومالَه ملكا لأبيه ، جاء ابن يشكو إلى رسول الله ﷺ أباه لأنه يأخذ من ماله ، فقال له ﷺ « أنت ومالُك لأبيك » رواه ابن ماجه عن جابر ، وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عائشة أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن أطيبَ ماأكلَ الرجلُ من كسب يده وولده من كسبه » . فيا شباب الإسلام : اللهَ اللهَ فى آبائكم وأمهاتكم ، واعلموا أنكم ستكونون يوما آباء وستلْقَوْن من أبنائكم ما قدمتموه مع آبائكم يقول ﷺ :« بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » رواه الحاكم والطبرانى وقال عنه ابن الجوزى غير صحيح ..

واعلموا أن أى ذنب يمكن أن يؤجل عقابه للآخرة إلا عقوق الوالدين ، فإنه يعجَّل فى الدنيا قال ﷺ « كل الذنوب يؤخر الله فيها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة

قبل الممات » رواه البخارى . وروى الطبرانى حديث « اثنان يعجلهما الله فى الدنيا ، البغي وعُقوق الوالدين » .



واجب الأبناء نحو الآباء فى حياتهم وبعد مماتهم

الحمد لله قرن الأمر بعبادته بالأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله عـجَّل عقـوبة عقـوق الوالدين فى الحيـاة قبل الممـات ، وأشهد أن سـيدنا محمـدا رسول الله القائل « الجنة تحت أقـدام الأمهات » ضعـفه الألبـانى ، اللهم صل وسلم وبارك على سـيدنا مـحمـد وعلى آله وصحبه . . وبعد :

أشـرتُ فى الخطبـة السـابقة الى أنـه يجب على المسلمين أن يَعُـوا الدرسَ من قصة الفداء فذكرت أن العبـرة فيها هى طاعة الله ثم طاعة الآباء فيما يرضى الله ، وذكرت أن القـرآنَ الكريمَ فى كثير من آياته أوصى الأبناء بالآباء خـيرا ولم يوص الآباء بالأبناء ، لأن الـعطفَ عند الآباء على الأبناء فطرى فى النفوس . . . وأقول اليوم : إن الإسلام جعل حياةَ الأبِ أو الأم فرصةً للابن عن طريق طاعـتهما والإحسان إليـهما يدخل الجنة ، وكل ابن يسئ إلى أبويه يضيِّـع على نفسه الجنة ، وهى غـالية ، وهذا ما أشـار إليه قوله ﷺ « الأبوان جنة الولد وناره » رواه ابن ماجه ، وروى الترمذى عن ابن عمـر أن رسولَ الله ﷺ قـال « رضا الرب فى رضا الوالـدين وسخط الرب فـى سخـط الوالدين » وروى أبـو هريـرة أن رسـول الله ﷺ قـال :

« رَغِم أنف ، رغم أنف ، رغم أنف » ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه أحدَهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة » رواه مسلم ،وروى أنس أن النبى ﷺ لما صعد المنبرَ قال : آمين ، آمين ، آمين ، قيل . يارسولَ الله علام أمَّنت ؟ فقال : « أتانى جبريل ، فقال : يامحمد رغم أنفُ رجلٍ ذُكِرْتَ عنده فلم يصل عليك قل : آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، قل : آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدَهما فلم يُدخلاه الجنة ، قل آمين ، فقلت : آمين » فالأبناء المغضوب عليهم هم الذين يضيِّعون هذه الفرصةَ على أنفسهم ، وقد يحس بعضُ هؤلاء العاقين بعد رحيل أبويهم بتقصيرهم وتفريطهم مع آبائهم ، ويريدون أن يتوبوا إلى الله ويتخلصوا من هذا الذنب ، وباب التوبة أمامهم مفتوح ، ورحمة الله واسعة ، وعليهم بمداومة الدعاء للوالدين والاستغفارِ لهما والتصدقِ عليهما ، روى أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « إن العبدَ ليموت والداه أو أحدُهما وإنه لهما لعاق ، فلا يزال يدعولهما ، ويستغفر لهما حتى يكتبَه الله بارا » ،وقد خص الإسلامُ الأمَّ بمزيد عطف لما بذلته من تعب فى الحمل والوضع والرضاعة ، قال تعالى : ﴿ حملته أمه وهنا على وهن ﴾ لقمان ١٤ ، وقال تعالى ﴿ حملته أمه كُرها ووضعته كرها ﴾ الاحقاف ١٥، رُوى عن الرسول ﷺ الحديث المتفق عليه أنه سئل : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال « أمك » ، قال ثم من ؟ قال « أمك » قال ثم من ؟ قال « أبوك » ، وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يوصيكم بآبائكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن

الله يوصيكم بـأمهاتكم ، إن الله يوصـيكم بأمهـاتكم » ومهـما بذل الابنُ لأبويه من عطف وقدم لهما من إحسان فلن يوفيّهما حقّهما ، ففى الحديث الذى رواه مـسلم يقول ﷺ : « لا يَجْـزى ولد والدا إلا أن يجدَه مملوكـا فيشتريَه فيعتقَه » ، وروى البراز أن رجلا كان فى الطواف حاملا أمه يطوف بهـا ، فسـأل النبيّ ﷺ . . هـل أديتُ حـقّـها ؟ قـال ﷺ « لاولا بزفـرة واحدة » ، ورأى عبدُ الله بُن عـمر رجلا يحمل أمه على كتـفيه ، ويطوف بها حول الكعـبة ، فقال الرجل لعبد الله . . هكذا يا صـحابيٌ رسول الله ﷺ أسهر على راحتـها ، وأقـوم بخدمتها ، وكـما تـرى أحملهـا وأطوف بها ، فهل تُرانى وفـيتُها حقّـها ؟ فقال ابن عمـر : « ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكن أحـسنتَ ، والله يُثيبك على القليل كثيـرا » رواه البخارى فى كـتاب (الأدب المفـرد) . وبر الآباء والأمهـات موصـول حتى بعـد موتهما ، قال تعالى : ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ الاسراء ٢٤ ، روى أبو داود وأحمـد وابن ماجه أن رجـلا مـن الأنصار سـأل رسولَ الله ﷺ : أبَقِيَ من بِرّ أبوَىّ شيء أبرهـما به بعـد مـوتهمـا ؟ قـال : نعم ، الصلاة عليهما - أى الدعـاء لهما - والأستغفار لهمـا ، وإنفاذ عهدهما من بعـدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بـهمهاوإكـرام صديـقهـما » ، وروى أبو هريرة أن رسـولَ الله ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطـع عمله إلا من ثلاث : صـدقة جـارية أو علم ينتـفع به أو ولد صالح يدعـو له » وروى الإمام أحمـدُ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله يرفع الدرجةَ لـلعبد الصالح فى الجنة ، فيقول : يارب : أنّى لى هذا ؟ فيـقول باستغفار ولدك لك » ولقد أحسن من قال :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنى بك قد حُملت إليهما

وروى الترمذى عن البراء بنِ عازب أن رسولَ الله ﷺ قال : « الخالة بمنزلة الأم » : يعنى الابن الذى ماتت أمه وله خالة ، فإكرام خالته إكرام لأمه ، وروى مسلم عن عبدِ الله بنِ عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن أبر البر صلةُ الولد أهلَ ود أبيه » وقد تتعرض بعضُ البيوت أو العائلات لمشكلات بسبب ما يقع من خلاف أو سوء تفاهم بين زوجة الابن وأمه، مما يُحيل الحياة إلى جحيم ، ويوقع الشقاقَ والمشاحنة بين الأهل ، فالزوجة تريد أن يكون الزوجُ لها وحدها ، والأم ترى أنها صاحبة الحق عليه ، وهكذا ، وإلى هؤلاء أسوق قصةَ « علقمة » وهو صحابى عانى من هذه المشكلة ، فحين أدركتْ علقمةَ الوفاةُ حُبِس لسانهُ عن النطق بالشهادتين ، وحاول الحاضرون تلقينَه بها لكنه لم ينطق ، وقد أمر الرسولُ ﷺ بتلقين من حضرته الوفاةُ ، روى مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسولَ الله ﷺ قال « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » ، كما روى أبو داود عن معاذ بنِ جبل حديثَ : « من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » فذهب الصحابة لرسول الله ، فأخبروه ، فسأل : أله أم ؟ قالوا : نعم ، فأحضروها ، فسألها : كيف كان حال علقمة معك ؟ قالت : يا رسولَ الله ، كان يفضِّل زوجتَه علىَّ ، فقال لها « سامحيه فإنه الآن يموت ولسانه محبوس عن النطق بالشهادتين » ، قالت : يا رسول الله : إنى عليه غاضبة ، فقال الرسول ﷺ : « اجمعوا حطبا » فقالت : لماذا ؟ قال : « لنحرقَ علقمةَ » قالت : ولم تحرقُه ؟ قال « لأنك غاضبة عليه ، وإن مات على هذه الحال كانت خاتمته سيئه » ، فقالت : سامحتُه يا رسولَ

الله ، فقال الرسول لصحابته : انطلقوا إلى علقمةَ ، فذهبوا إليه ، فإذا هو يحرك لسانه بالشهادتين . . ثم خطب رسول الله ﷺ فقال : يا معشرَ المهاجرين والأنصار : لا تفضلوا زوجاتِكم على أمهاتكم ، فإن من فضل زوجته على أمه ، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا (نافلة) ولا عدلا (فريضة) » . القصة ذكرها الذهبى فى كتاب « الكبائر » ص٨٥ ، وروى البخارى عن عبدِ الله بنِ عمرو أن النبى ﷺ قال : « االكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » ، وروى الترمذى حديث « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن ، دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »



مسئولية الأب المسلم نحو أسرته

الحمد لله خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وأشهد أن لا إله إلا الله منَّ على عباده بالبنين والحفدة ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أوصانا بأهلنا خيرا وكان خير الناس لأهله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

فالمجتمع مكون من أسر والأسرة مكونه من أب وأم وأولاد ، فإذا كانت الأسرة صالحةً صلح المجتمع وإذا كانت فاسدةً فسد المجتمع ، وقد جعل الله القوامةَ للرجل ليقومَ بشئون أسرته من ناحيةَ الرعاية والتربية والنفقة وحمَّله تلك المسئوليةَ ، وسيُحَاسَب عليها يوم الحساب ، روى ابن عمرَ فى الحديث المتفق عليه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها الحديث » ، وروى ابن حبان حديثَ : « إن الله سائل كلَّ راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ؟ حتى يسألَ الرجلَ عن أهل بيته »

وقد أمر الله المؤمنين بأن يقوا أنفسَهم وأهليهم من النار فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ التحريم ٦ ، ولن يحفظَ المسلمُ نفسَه وأهلَه من النار إلا إذا ألزم نفسَه وأهلَه منهجَ اللهِ ، ومن منهج الله لإصلاح الأسرة أن ينشأ الأولاد منذ صغرهم

نشأة دينيـة في جو إسلامي ، فيـتعودوا على العبـادات من صلاة وصوم ، روى أبو داود بسند حسن حديثَ : « مروا أولادَكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين،واضربوهم عليها وهم أبناء عـشر، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع » ، والله يقـول لرسـولـه ﷺ : ﴿ وامـر أهلك بالصـلاة واصطبر عليهـا لانسألك رزقا ... ﴾ طه ١٣٢ ، ويقول عن إسماعيل ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ مريم ٥٥ ،روى أبو داود وابن ماجـة من حديث لأبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : « رحم الله رجـلا قـام من الليل فـصلى وأيقظ امراته فـإن أبت نضح فى وجهـها الماء ، ورحم الله امـرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فـإن أبى نضحت فى وجهه الماء » وفى وصايا لقمان لابنه : ﴿ لقـمان ١٣/ ١٩ ﴾ منهج لكل أب مسلم فهـو يوصيه أولا بعبادة الله ، ثم بطاعة الوالدين ، وإقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر عـلى المصائب ، والتواضع ، وعدم مضـايقة الآخرين بالصـوت المزعج ، وينبـغى على كل أب أن يُـلزم زوجَـه وبنـاته بالزى الإسلامى وأن يلتـزمن الحياءَ ولا يختلين بالأجانب قـال تعالى : ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونـساء المؤمنين يدنين عليـهن من جـلابيبـهن ﴾ الاحزاب ٥٩ ، وعلى كل أب مسلم أن يـكون قدوة طيبـة لأهله ومثالا صـالحا لولده ليقـتدوا به فى جمـيل الخصال،وحلو الفـعال ، فلا يصـدر منه قول بذىء أو تصـرف سيء ، ولا يكون كـذابا ويطلب مـن أولاده أن يكونوا صادقين ، فقد يجىء ضيف يسـأل عن الأب فيقول الأب لابنـه قل له : إن أبى غير مـوجود !!! فالأب بهذا السلوك يعلّم ابنَه الكذبَ ويـزعزع ثقتَـه فيـه ، روى الإمام أحـمد وأبو داود عن عبد الله بن عامـر قال أتانا رسولُ

الله ﷺ وأنا صبى فذهبت لأخرج لألعب فقالتْ أمى : يا عبدَ الله تعال أُعْطك ، فقال لها رسولُ الله ﷺ : « وما أردتِ أن تعطيَه ؟ » قالت : تمراً فقال : « أما إنك لو لم تفعلى كُتبتْ عليك كذبة » ، وروى أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لصبى : تعال هاك . ثم لم يعطه فهى كذبة » . وكذلك على الأم أن تكون مثالا طيبا لبناتها فلا تشجعهن على السفور والاختلاط : فالشاعر يقول :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ولا تكفى القدوة بل لابد من التأديب والرعاية ، يقول ﷺ : « الزموا أولادَكم وأحسنوا أدبَهم » ومن الرعاية أيضا أن يعوِّد الأب أولاده على طريقة الأكل الإسلامية ، روى ابن أبى سلمة فى الحديثِ المتفقِ عليه قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفه - طبق الطعام - فقال:« يا غلام سمِّ اللهَ،وكل بيمينك،وكل مما يليك » فما زالت تلك طِعمتى بعد ، وقد أجمع علماءُ التربية على أن السنواتِ الأولى فى حياة الطفل لها أهميتها فى تكوين سلوكه وتصرفاته فى مستقبل حياته ، فإذا عُنى بالطفل فى طفولته المبكرة شبَّ على الخير والفضيلة،وقد قالوا : « من شب على شيء شاب عليه » ، وقال الشاعر :

وينشأُنا شيء الفتيان فينا على ما كان عوَّده أبوه

وورد : « لاعب ولدك سبعا،وهذبه سبعا،وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه » ، وورد : « من أدب ولده صغارا ، سُرَّ بهم كبارا » ، فإذا انحرف طفل فالمسئول عن ذلك هو الأب لأنه لم يحسن تربيتَه ولم

يقم بمسئوليته ، روى النسائى أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء إثما أن يضيِّعَ من يقوت » ومن واجبات الأب نحو أسرته النفقة عليهم من كسب حلال قال تعالى: ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ البقرة ٢٣٣ ، وليعلمْ الأبُ أن سعيَه على عياله بنيَّة العفاف والكفاف يكفِّر الذنوب ويُؤْجَر على ذلك ، روى مسلم من حديث لأبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « دينار أنفقتَه فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذى أنفقتَه على أهلك » ، وفى الحديث المتفق عليه عن عائشةَ قالت : قالت هندُ امرأةُ أبى سفيان للنبى ﷺ : إن أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ؟ قال : « خذى ما يكفيك وولدَك بالمعروف » ، وعلى الأب أن يسويَ بين أولاده فى العطية ، حتى يكونوا له فى البر سواء ، ويحرم أن يخص بعضَهم بعطاء دون مسوغ ولا حاجة حتى لا يزرعَ بينهم البغضاء ، ويولد العداوة،فقد جاء فى الحديث المتفق عليه أن بشيرَ بنَ سعد الانصاريَّ أعطى ولده – حديقةً أو غلامًا – وطلب من الرسول ﷺ أن يشهدَ على ذلك ، فقال الرسول لبشير : « أكُلُّ ولدِك نحلتَه – أعطيته – مثلَ ذلك » ؟ قال : لا : فقال الرسول : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفى رواية : « أَشْهِدْ عليه غيرى لا أشهد على جَوْر » وفى رواية « إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كمالك عليهم من الحق أن يبروك » ويرى الإمام أحمد أنه لا بأس من أن يخص أحدَ أولاده بعطية لسبب كعاهة أو مرض أو كثرة عائلة؛وله أن يمنع عن ولده عطية إذا كان فاسقا أو مبتدعا أو يستعين بها على معصية كما جاء فى كتاب

المغنى ج٥ص١٠٥ ، فالأبوة مسئولية كبيرة ، والأمومة عبء عظيم ، وإن أطفالَ اليوم هم رجال الغد، وهم بحاجة إلى تربية إسلامية ، وتنشئة دينية، لأن الأسرة أساس المجتمع ، وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع ، قال تعالى : ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا** ﴾ الاعراف ٥٨ . .



الهجرة النبوية الشريفة

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كله ولو كره المشركون ، وأشهد أن لا إله إلا الله بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله جاهد فى الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد :

ها نحن على أبواب عام هجري جديد، ومع شهر من أشهر الله الحرم ، والتقويم الهجرى يرمز إلى حدث عظيم من أحداث الإسلام وهو الهجرة ، لقد كانت الهجرة إيذانا بانتقال الدعوة الإسلامية من الخطر إلى الأمان ، ومن الحبس إلى الانطلاق ، من قوم فى مكة رفضوا الدعوة وتصدّوا لها إلى أرض جديدة فى المدينة، حيث أحب أهلُها الإسلامَ ورسولَه ، وضحوا فى سبيل ذلك الدين بكل ما يملكون من نفس ومال .

لقـد ظل رسول الله ﷺ بمكة ثلاثةَ عـشـرَ عامـا يدعو أهلَهـا إلى الإيمان والدخول فى دين الله،لكنهم صَمُّـوا آذانَهم وغلَّفوا قلوبهم ، وقابلوا هذا النورَ بالصدود ، وآذوا الرسـولَ ﷺ وصحابتَه فكانت الهـجرة الأولى إلى الحبـشة عند ملك « هو النجاشى » لا يُظلم عنده أحـد ، وقد أسلم ، ولما مـات صلَّى عليـه الرسـول ﷺ صـلاةَ الغـائب ، ثم أراد الله الخـيـرَ للأنصار فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية ، فقال الرسول ﷺ لصحابته : « إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » يقصد المدينةَ المنورة ، فبدأ الصحابةُ يهاجرون إلى المدينة فرارا بدينهم ، تاركين أعز جوار وأكرم دار ، مفارقين الأهل والمال ، ولما أحست قريش بذلك تملكهـا الغضب ، فاجتمع رجالاتُها فى دار الندوة ـ كما رُوى عن ابن عـباس ـ يأتمرون بمحمد للقضاء عليه قبل أن يلحق بصـحابته ، فاعترضـهم إبليس اللعين ، فى صورة شيخ جليل ، وقال لهم : لن يعـد مكم رأيى ونصحى ، فرحبـوا به ، وأخذوا يتشاورون فى أمر محمد ، فقال قائل منهم : نحبسه ونوثقه حتى يهلكَ كما هلك من قـبله ، فلم يعـجب هذا الرأىُ إبليسَ ، وقـال : مـاهذا برأى ، فقال آخر نخـرجه من بين أظهرنا فنستريح ، فإنـه إذا خرج لن يضركم ما صنـع إذا غـاب عنكم أذاه ، فلـم يعـجب هذا الراى إبليس أيضا ، فـقال أبو جهل لعنه الله : الرأى عندى أن نختارَ من كل قبيلة شابا قويا ، ونعطىَ كلا منهم سيـفا صارما ، ثم يهجمـون على محمد فيـضربونه ضربةَ رجل واحد ، فيـتفرق دمه فى القـبائل ، فلا تقدر بنوهاشم على مـحاربة قريش كلها ، فـتقبل بالدية فيـه ، فنستريح ونقطع عنا آذاه ، فـأعجب هذا الرأىُ إبليس وقال : القول مـا قال الفتى ولا أرى غيره ، فـأتى جبريلُ النبىَّ ﷺ

فأخبره بما دبر القـوم ، وأمر ألا يبيت فى مضجعـه ، وأخبره أن الله قد أذن لـه فى الهـجـرة ، وأنزل الله على رسـوله ﷺ بعـد قدومـه المدينة سـورةَ الأنفال ، ويشير إلى مؤامـرة الكفار فيقول : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كـفروا ليثبتـوك أو يقتلوك أو يخـرجوك ويمكرون ويمـكر الله والله خير المـاكرين ﴾ الانفال ٣٠ ، فـدعا رسـولُ الله ﷺ عليٌّ بن أبى طالب وأمـره أن يبـيت على فراشـه ويتسجى ببـرد له أخضر ففـعل ، ثم خرج رسول الله ﷺ قـاصدا صديقَه أبا بكر ، فوجد شبابَ الكفار حولَ دارِه منتظرين خروجه ليقتلوه ، فأخذ حـفنة من تراب فجعل يذروها على رءوسهم ، فـأخذ الله بأبصارهم عن نبيه ﷺ وهو يقرأ : ﴿ يس والقرآن الحكيم ـ حتى ـ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وتخطى رقابَهم وكـسر حصارَهم ، وبات المشركـون يحرسون عليا يحـسبـونه الرسولَ ﷺ . فلما أصـبحوا كـشفوا الغـطاءَ فإذا بعليٍّ ، فاشتد غيظُهم وزاد ضيـقُهم ، وردَّ اللهُ عليهم مكرَهم ، فقالوا لعلى : أين صاحبُك ؟ فقال: لا أدرى ، فتـتبعوا أثرَ الرسولِ ﷺ حتى وصلوا غارَ ثور الذى لجأ إليه الرسولُ ﷺ مع صديقـه أبى بكر ، فوجدوا نسيجَ العنكبوتِ على بابه ، فـقـالوا : لو دخل هنا لم يكن نسـيج العنكبـوت على بابه ، وتسمَّع أبو بكر كلامَ القوم ، فخاف أن يطلعَ عليـهم أحدٌ فيصيبَ الرسولَ منهم أذى ، فـقال للرسول ﷺ ـ كـما جـاء فى الصحيـحين عن أنس بن مالك ـ : لو أن أحـدَهم نظر تحت قدميه لأبصـرنا ، لكن رسولَ الله ﷺ طمأن أبا بـكر قائلا : « ما ظنـك باثنين الله ثالثهـما » وييأس الكـفار من العثور على محمد ويعرضـون المكآفات لمن يأتى به حيا أو ميتا ، ولكن اللهَ حافظٌ رسولَه وناصـرُه قال تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقـد نصره الله إذا أخرجه

الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقـول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فـأنزل الله سكينتـه عليه وأيـده بجنود لم تروها وجـعل كلمـةَ الذين كفـروا السفلى وكلمةُ الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ التوبة ٤٠ ، ومكث رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثةً أيام حتى يرجعَ عنه الطلب ، ثم خرج قاصدا المدينةَ ، فلما بلغ الجـحفة . شـعر بشوق وحنـين إلى مكةَ مسقطِ رأسـه وموطِنِه ، فوقف يودعها ويقول : « والله إنى أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلىَّ ولولا أن أهلك آذونى وأخـرجـونى منك مـا خـرجت » رواه الحـاكم فى المسـتدرك ورواه التـرمـذى والنسائى وابـن ماجـه ، وفى هذه اللحظات ينزل عليه قـوله تعالى : ﴿ إن الذى فرض عليـك القرآن لرادك إلى مَعاد ﴾ القصص ٨٥ ، أى يوم القيامة أو لراجـعك إلى مكة فاتحا منصورا كما فسره ابن عباس . . أمـا أهل المدينة فكانوا متلهفين على مقدم الرسول ﷺ ينتظرون قدومَ موكبه كل يوم، حـتى رأوا موكبَ النور وصل إلى قُباء ، فخرجوا لاستقباله فرحين مستبشرين يرددون :

طلع البدر علينا :. من ثنيات الوداع ، وجب الشكر علينا :. مـا دعـا لله داع

أيها المبعوث فينا :. جئت بالأمر المطاع ، جئت شرفت المدينة :. مرحبا ياخير داع

وانتقلت الدعوةُ إلى المدينة ، وشَرُفَتْ بمقدمه ﷺ ، ومنها أشرق النور على العالم فبدد ظلماتِهِ وأضاء أركانَه . .

وفى الهجرة دروس من الفداء ، وصـور من البذل والعطاء ، فهذا على بن أبى طالب يعرِّض نفسه للخطر، فيبيت على فراش رسول الله ﷺ، وذاك أبو بكر يبذل من نـفسه وماله ، ويُسَخِّر من أهله مـا يعين على نجاح

هذه الرحلة التى استحق بها اللقبَ الإلهى « ثانى اثنين » وإذا كانت الهجرة بمعناها الحسى قد انتهت بفتح مكة ، فالهجرة بمعنى هَجر ما نهى الله عنه باقية إلى يوم القيامة ، قال ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » رواه البخارى .. ومن حديث للإمام أحمد عن الرسول ﷺ « المهاجر من هجر الخطايا والذنوب » ، وروى عبد الله بن عمرو الحديثَ المتفقَ عليه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . ولا ننسى أن نذكرَ فضل صوم عاشوراء ، فقد رغب الرسول ﷺ فى صيامه .

❀ ❀ ❀

مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة

الحمد لله جعل المدينةَ المنورةَ معقِلا للإيمان ، ومنطلقا للإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله مولى الذين آمنوا والكافرون لا مولَى لهم ، وأشهد أن سيدّنا محمدا رسول الله ، أيده الله بنصره وبالمؤمنين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

قلت فى الخطبة السابقة إن الرسولَ ﷺ هاجر من مكةَ إلى المدينة ، وقد استغرقت الرحلةُ المباركةُ ثمانيةَ أيام ، وحين علم أهلُ المدينة بقدومه ﷺ خرجوا لاستقباله ﷺ عند ضاحية من ضواحى المدينة تسمى« قُباء » تبعد عن المدينة بثلاثة أميال أى ما يزيد على خمسة كيلو مترات ، ونزل الرسول ضيفا على عمرو بنِ عوف ، ومكث النبى ﷺ بقباء أربعةَ عشرَ يوما ، ثم لحق به على بن أبى طالب ، وفى قباء بنى الرسول ﷺ أولَ

مسجد يبنى فى الإسـلام ، وسُمِّى مسجد قُبـاء ، ونزل جبريل على رسول الله وبيَّن له جـهة القبلة ، وقـد شارك الرسـولُ ﷺ صحابتَـه فى بناء هذا المسجد ، وفيه يقول الله تعالى : ﴿ لمسجد أُسس علـى التقوى من أول يوم أحـق أن تقوم فـيـه ، فيـه رجال يحـبون أن يتطهـروا والله يحب المطهرين ﴾ التوبة ١٠٨ ، وكان الرسـول ﷺ بعد أن استقـر بالمدينة يأتى مسجدَ قُـباء كلَّ سبت راكـبا أو ماشيـا ويصلى فيـه ركعـتين ، وكان يرغِّب فى الصلاة فـيه فيقول : « من تطهـر فى بيته ثم أتى مسجدَ قباء فصلـى فيه صلاة كانت له كأجر عمرة » رواه أحمـد والنسائى وابن ماجه والحاكم . . ثم تحرك ركب الرسـول ﷺ نحو يثـرب « المدينة المنورة » ووقف له الأنصار على جـانبى الطريق ، لا يمر بدار إلا دعاه أهلها لضيافتهم ، فخشى رسولُ الله ﷺ إن نزل عند أحـد من الأوس تغـضب الخزرج وإن نزل عـند أحد من الخـزرج يغضب الأوس ، وكان رسول الله ﷺ يركب ناقتَـه القصواء ، فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » فـانطلقت الناقة حتى وصلت دارَ أبى أيوب فوقفت وبركت ، فقال الـنبى ﷺ : « هاهنا المنزل إن شاء الله ، رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » وشرفت المدينة به ﷺ ، وكان من أول الأعمال التى بدأ بهـا الرسولُ ﷺ فى المدينـة هى بناء المسجـد النبوى الشـريف ، وأقيمت حوله بيوتُ النبى ﷺ ، والمسجـد النبوى أحد المساجد الثلاثة التى تُشد إليـها الرحـال » ، وصلاة فيـه أفضل من ألف صـلاة فيمـا سواه إلا المسـجـد الحـرام ، روى أنس أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفـوته صلاة ، كتُبت له براءة من النار و براءة من العذاب ، وبرئ من النفـاق » رواه أحمد والطـبرنى بسند صحـيح ، وكان

المسلمون بمكة قبل الهجرة لا يستطيعون الجهرَ بالصلاة ، فلا ينادى بها أحد ، ولما هاجروا إلى المدينة وعاشوا فى أمان ، فكروا فى طريقة تجمعهم للصلاة ، فاقترح أحدُهم أن يُدَقَّ الناقوس مثل النصارى وقال بعضهم نتخذ قرنا ننفخ فيه مثل اليهود ، فرأى عبد الله بن زيد فى المنام رجلا يحمل ناقوسا في يده ، فقال له : أتبيع الناقوسَ ؟ قال : ماذا تصنع به ؟ فقال له ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقال له : بلى ، قال : تقول : الله أكبر الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان ، وقال له أيضا ألفاظ الإقامة ، فلما أصبح زيد أخبر الرسولَ ﷺ بما رأى ، فقال ﷺ : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله،فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذنْ به فإنه أندى صوتا منك » قال : فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به ، فسمع عمر فجاء يقول : « والذى بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذى رأى » فقال ﷺ : « فلله الحمد » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح ، وارتفع صوتُ بلال لأول مرة بألفاظ الأذان يهز أرجاء المدينة ، وأقيمت صلاة الجمعة لأول مرة يوم أن غادر النبى ﷺ قُباءَ ودخل المدينة . . واهتمام الرسول ﷺ ببناء المسجد فى قُباء ثم فى المدينة يدل على أهمية المسجد فى الإسلام ، وأن له دَوْرا توجيهيا فى تبصير المسلمين بأمور دينهم ودنياهم . . كذلك كان من أول الأعمال التى بدأ بها الرسول ﷺ فى المدينه هى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار،فكان لكل أنصارى أخ من المهاجرين يقاسمه دارَه ومالَه وإبلَه وتجارتَه ، روى البخارى : أنهم لما قدموا المدينة آخى رسولُ الله ﷺ بين عبدِ الرحمن بن عوف « من المهاجرين » وبين سعدِ بن الربيع « من

الأنصار » فقال لعبد الرحمن : إنى أكثر الأنصار مالا ، فأقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانْظُرْ إليهما فسمها لى أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجْها ، قال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فتاجر فى السوق ، وزاحم اليهودَ حتى حسُن حالُه وتزوج . . . وكانت هذه المؤاخاةُ أقوى من مؤاخاة العصب لم ولن يحدث مثلُها فى التاريخ ، حتى أنه كان إذا توفى أحد الأخوين ورثه أخوه فى الدين لا أخوه فى العصب ، إلى أن نُسخ ذلك بآيات المواريث . . . .

وقد كان الأنصار « الأوس والخزرج » قبل الإسلام فى عداء مستمر وحروب طاحنة ، وكان اليهود يشجعون على ذلك ، فكان بنو قريظه حلفاءَ الأوس ، وبنو النضير حلفاءَ الخزرج ، ولكن الله بالإسلام جمع شملَهم ووحد كلمتهم ، وأزال خصومتَهم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ آل عمران ١٠٣ ، كما يذكِّر المهاجرين حين مقامهم بمكةَ بما كانوا فيه من ضعف وقلة ثم آواهم ، قال تعالى : ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** ﴾ الانفال ٢٦ ، فالمهاجرون فى المدينة آواهم الله وقيض لهم أهلَها الذين آووا ونصروا . . ويقول الله لرسوله ﷺ : ﴿ **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾ الانفال ٦٢ / ٦٣ . وفى المدينة المنورة تركزت دعائمُ

الإيمان ، وترسخت مبادىء الإسلام ، وانطلق منها جنود الحق ترفع رايةَ : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتقيم العدلَ وتنشر مبادىءَ الإسلام فى أركان الدنيا وربوع العالم .

روى البخارى عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الإيمان ليأرِز - ينضم ويتجمع - إلى المدينة كما تأرز الحيةُ إلى جحرها » .

❀ ❀ ❀

المجتمع الذى أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينه

الحمد لله أعز الإسلامَ بالمهاجرين الذين أخْرِجوا من ديارهم وأموالهم وبالأنصار الذين آووا ونصروا ، وأشهد أن لا إله إلا الله رضى عن السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أنزل الله عليه سكينتَه وأيده بجنود لم تروها ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد :

قلت فى خطبة سابقة : إن رسولَ الله ﷺ هاجر إلى المدينةَ ، وكان من أول الأعمال التى قام بها بناء مسجد قُباء ثم مسجده الشريف والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبهذا ظهر مجتمع جديد فى المدينة يتكون من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة ، ومن الأنصار وهم أهل المدينة المنورة ، وقد أثنى الله فى كثير من آياته على هؤلاء وأولئك وسماهم السابقين إلى الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** ﴾ الانفال ٧٢ ، وقال : ﴿ **والذين آمنوا**

وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ الأنفال ٧٤ ، وقال : ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم ﴾ التوبة ١١٧ ، وفى آيات أخرى شمل معهم فى الثناء التابعين لهم بإحسان ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ التوبة ١٠٠ ، وقال ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ الحشر ٨/ ١٠ ، وهذه الآيات الأخيرات وصفت كلاًّ من المهاجرين والأنصار والتابعين بصفات ، فالمهاجرون تركوا ديارهم وأموالَهم وأهليهم فرارا بدينهم ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة دينه ، ووصفت الأنصارَ بصفاتٍ ثلاثٍ :

١) يحبون من هاجر إليهم ، وحقا لقد فرح الأنصار بقدم إخوانهم المهاجرين ، وقاسموهم أموالهم ، وفتحوا لهم قلوبهم .

٢) لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، يعنى لا يشعرون بحقد ولا حسد نحو المهاجرين إذا زاد لهم الرسول ﷺ فى العطاء من

الغنائم ، أو فُضّلوا عليهم فى المنزلة ، فالأنصار قلوبهم بيضاء خاليةً من الحقد والحسد ، روى الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال : « يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيتُه من وضوئه ، قد علّق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثلَ مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل ، فلما قام ذلك الرجلُ تبعه عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص ، فقال : إنى لاحيت أبى - أى وقع بينى وبينه خصام - فأقسمت ألا أدخلَ عليه ثلاثا ، فإن رأيتَ أن تؤوينى إليك حتى تمضيَ فعلتَ ، قال نعم ، قال أنس فكان عبدُ الله يحدث أنه بات معه تلك الليالىَ الثلاثَ فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا تعارَّ « تقلب على فراشه » ذكر اللهَ وكبّر وهلّل ، حتى يقومَ لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أنى لم أسمعْه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبدَ الله ، لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت فى المرات الثلاث فأردت أن آويَ إليك لأنظرَ ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كبيرَ عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ماهو إلا ما رأيتَ ، فلما وليتُ دعانى فقال :غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه ، قال عبد الله ، فهذه هى التى بلغتْ بك وهى لا تطاق .

٣) أما الصفة الثالثة فهى : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة ، يعنى يفضلون غيرَهم على أنفسهم مع حاجتهم الشديدة ، روى أبو هريرة قال : أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله : أصابنى الجهد - أى الجوع والتعب - فأرسل الرسول ﷺ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبى ﷺ : « ألا رجل يضيف هذا الليلةَ يرحمه الله » ، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسولَ الله ، فذهب إلى أهله ، فقال لامرأته : هذا ضيفُ رسولِ الله ﷺ لا تدخريه شيئا ، فقالت : والله ما عندى إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبيةُ العشاءَ فنوّميهم وتعالي فاطفئى السراجَ ، ونطوى بطونَنا - أى لا نأكل - ففعلتْ ، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : « لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة » وأنزل الله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، وحبُّ رسول الله ﷺ للأنصار جعله يفضل البقاءَ معهم حتى بعد أن فُتحت مكة ونعمت بنور الإسلام ، وتوقع بعض الصحابه أن ينتقلَ الرسول ﷺ إلى مكةَ بعد فتحها فهى بلده وأحب بلاد الله إلى الله ، لكنه آثر الإقامةَ مع الأنصار ، ومات بالمدينة ودُفن بها ، ولا يزال بها مسجده يزار وتشد إليه الرحال ، وكان هذا الحب يبدو فى تصرفاته ﷺ ففى غزوة حنين ، وكان قد شارك فيها ساداتُ قريش ، وكثرت الغنائم والأسلاب ، فزاد رسولُ الله ﷺ ساداتِ قريش وأكثر لهم ، فأدّى ذلك إلى تهامس الأنصار حتى قال بعضهم لبعض : « لقى - والله - رسولُ الله قومَه » ، فبلغ رسولَ الله ﷺ ما قالوه فجمعهم وقال لهم : يامعشر الأنصار ما قَالَةٌ بلغتنى عنكم ؟ وجِدة وجدتموها فى أنفسكم ؟ فقال الأنصار : منا من يقول ذلك ، ونحن نؤيده ، فقال النبى ﷺ : ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟

وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ فقال الأنصار : بلى ، والله ورسوله أمَنُّ وأفضل ، فقال النبى ﷺ : ألا تجيبونى يامعشر الأنصار؟ فقالوا : وبم نجيبك يارسول الله ؟، ولرسوله المنُّ والفضل ، فقال النبى : أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم : أتيتنا مكذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يامعشر الأنصار فى العلالة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضَوْن يامعشرَ الأنصار أنِ يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعَبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، فبكى الأنصار حتى اخضلَّت لحاهم وقالوا : رضينا يارسول الله،. وقد جعل الرسولُ ﷺ حبَّ الأنصار علامة على الإيمان ، روى البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » ، وروى البخارى أيضا أن رسول الله ﷺ قال فى الأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » . أما التابعون فهم يدعون لمن سبقهم بالمغفرة وأن تكون قلوبهم خالية من الغل للمؤمنين ، والمقصود بهم الأجيال المتلاحقه التى جاءت بعد عصر الصحابة ولم يبتدعوا بل ساروا على نهجهم واتبعوا طريقتهم ، سأل أبو عبيدة رسولَ الله ﷺ أأحد أفضل منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ؟ قال : نعم ، قوم يكونون من بعدى، يؤمنون بى ولم يرونى » رواه أحمد . وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ زار المقابرَ فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله

بهم عن قريب لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أولسنا بإخوانكم يارسول الله ؟ قال :انتم أصحابى وأخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا :كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟ قال :أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظَهْرى خيل دهم بُهْم ، ألا يعرف خيلهَ ؟ قالوا : بلى يارسول الله، قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ».



جبهة المنافقين بالمدينة

الحمد لله جعل المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله لعن المنافقين وأركسهم بما كسبوا ، وأشهد أن سيدّنا محمدا رسول الله حذّره ربه من خداع المنافقين فقال له : ﴿ **هم العدو فاحذرهم** ﴾ ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

حين كان المسلمون بمكةَ كان لهم عدو واحد ، هم كفار قريش ، فلما هاجر الرسول والمسلمون إلى المدينة ظهر لهم عدوان آخران بالمدينة هم اليهود وستتحدث عنهم فى خطبة قادمة ، والمنافقون ، والنفاق نوعان ، نفاق فى العقيدة وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر ، وهؤلاء موضوع خطبة اليوم ، ونفاق فى السلوك وهذا موضوع خطبة قادمة إن شاء الله .. وبالنسبة لظهور جبهة المنافقين بالمدينة ، فقد كان السبب فى ذلك أن أقبل الناس على الإسلام وكثر عدد المسلمين وقويت شوكتهم ، مما اضطر بعض ضعاف النفوس إلى التظاهر بالدخول فى الإسلام مع إضمار الكفر

والعـداوة للرسول والمسلمين ، وزعـيم هؤلاء هو عبـد الله بن أبىّ ، ولم يدخل الإسلام إلا بعد انتصار المسلـمين فى غذوة بدر ، وسبب حقده على المسلمين أن أهلَ المدينة كـانوا قد اختـاروه ملكا عليهم ، وجهـزوا له التاج المنظوم بالخـرز ، وبقـدوم الرسـول ﷺ إلى المدينة ضـاع منه تاج الملك ، فاغـتاظ وبدأ مع أتباعه يكوِّنون جـبهةَ المنافـقين ، وهؤلاء أشد خطرا على المسلمين من الكفـار لأنهم فى الظاهر مسلمـون ، وهذا يجعلهم يعـرفون أسـرارَ المسلمين ، ويطَّلعـون على خـبـاياهم، ولذا يقـول ﷺ : « إنى لا أخاف على أمـتى مؤمنا ولا مشركـا ، أما المؤمن فيمنعـه الله بإيمانه ، وأما المشرك فـيقمعـه الله بشركه ، ولكنى أخاف علـيكم كل منافق الجَنان عالم اللسان يـقول ما تعـرفون ويفـعل ما تنكرون » رواه البـزار ، ولذا أمر اللهُ رسولَه ﷺ بجهادهم ، قال تعالى : ﴿ يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ التوبة ٧٣ ، وتوعدهم بالعذاب الأليـم فى الآخرة وجعلهم فى الدرك الأسـفل من الـنار ، قـال تعـالى : ﴿ إن المنافـقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ النساء ١٤٥، وقال : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليـما ﴾ النساء ١٣٨، وقال : ﴿ وعد الله المنافقـين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ التوبة ٦٨، وقد فـضحـهم الله لرسوله وللمسـلمين فى آيات كثيـرة فكشـف سترهم وعراهم ، خـاصة فى سورة التوبة التى سميت بـالفاضحة ، وفى أول سورة البقرة يصف الله المنافقين ويبين خـداعَهم فى ثلاثَ عشرةَ آية تبدأ من قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقـول آمنا بالله وباليوم الآخـر وما هم بمؤمـنين ﴾ ، وتنتـهى بقـوله تعـالى : ﴿ ولو شـاء الله لذهب بسـمـعـهم

وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير ﴾ البقرة ٨/ ٢٠، بل إن الله ألهم رسولَه بمعرفتهم من ثنايا كلامهم ، قال تعالى ﴿ أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ محمد ٢٩ / ٣٠ ،وقد ناصب المنافقون الإسلامَ ورسولَه العداءَ ، وكانت لهم مواقف حاقدة تدل على فساد طويتهم وشدة بغضهم للإسلام وكراهيتهم للرسول ﷺ .. لكن الله كان لهم بالمرصاد يُفشل خططهم ، ويرد كيدهم فى نحورهم .. من هذه المواقف :

١) فى غزوة أحد انسحب عبد الله بن أبىّ مع رجاله البالغين ثلاثمائة مقاتل من صفوف المسلمين ، بقصد تمكين الكفار من المسلمين وإعطائهم فرصة لهزيمتهم .

٢) وفى غزوة الأحزاب حين اجتمع حول المدينة أعداء الإسلام بجيوشهم وعتادهم قاصدين القضاء على الإسلام والفتك بالمسلمين ، فى هذه اللحظات الحرجة انسحب المنافقون .. بحجة أن بيوتهم عورة ، وتركوا المسلمين يواجهون هذا الموقف الصعب ، قال تعالى :﴿ ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا ﴾ الاحزاب ١٣ .

٣) كذلك بنوا مسجدا ليكون مقرا لتآمرهم ضد الإسلام تحت ستار ثوب العبادة ، وبلغت بهم البذاءة أن يطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلىَ فيه ، لكن الله فضح نياتِهم وكشف سريرتَهم لرسوله وسمى

مسجدَهم مسجدَ الضرار ونهى رسولَه عن الصلاة فيه ، وقد بعث رسولُ الله مَن هدمه وأحرقه قال تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسولَه من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ الآيات .التوبة ١٠٧-١٠٠ .

٤) كذلك حاول زعيم المنافقين إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار فى غزوة بنى المصطلق ، حين وقع عراك على الماء بين رجلين أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار ، فقال المهاجرىُّ يامعشر المهاجرين وقال الأنصارىُّ يامعشر الأنصار ، فأدرك رسولُ الله ﷺ الموقفَ وقال : « ما بال دعوى الجاهلية ، دعوها فإنها منتنة » ، فلما بلغ ذلك عبدَ الله بن أبى زعيمَ المنافقين قال : قد ثاورونا فى بلادنا ـ يقصد الرسول والمهاجرين ـ والله ما مَثَلُنا ومثلهم إلا كما قال القائل : سمِّنْ كلبَك يأكلْك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل ، ثم قال لقومه : احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أمَا والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها .. فسمعه زيدُ بن أرقم ، فأبلغ الرسولَ ﷺ ، وكان عمرُ عنده ، فقال : مرنى أضربْ عنقَه ، فقال الرسولُ ﷺ : « فكيف إذا تحدث الناس ياعمر أن محمدًا يقتل أصحابَه ، ولكن نادِ بالرحيل » ، فلما علم عبد الله أن ما قاله بلغ رسولَ الله أتاه فاعتذر وحلف بالله ماقال ذلك ، فاغتم زيدُ بن أرقم،لكن اللهَ فضح هذا المنافقَ ، ونزلت سورة « المنافقون » وفيها يقول تعالى : ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله

وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ٧ - ٨ فقال الرسول ﷺ لزيد : « إن الله قد أنزل عذرك وصدَّقك » . وكان لهذا المنافق ابنٌ صالح اسمه عبد الله أيضا ، لما علم بما وقع من أبيه جاء الرسولَ ﷺ فقال : إنه قد بلغنى أنك تريد قتلَ أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ فاعلا فمُرْنى أحمل إليك رأسَه ، فوالله لقد علمتْ الخزرج ما كان لها من رجل أبرَّ بوالديه منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر قاتل أبى يمشى فى الناس ، فاقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ، فقال له الرسول ﷺ : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » ، وعندما رجع الناس إلى المدينة وقف عبدالله الابن على بابها واستل سيفَه، فجعل الناس يمرون عليه ، فلماجاء أبوه قال له : وراءك - ارجع - فقال له : مَالَك ، ويحك ؟ فقال الابن : والله لاتدخل المدينة حتى يأذن لك رسولُ الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل فاشتكى الأب إلى الرسول ﷺ فأذن له بالدخول ، فقال الابن : أما قد أذن لك رسول الله ﷺ فادخل .. ولما مات عبد الله ابن أُبَىّ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ وطلب إليه أن يكفنَه فى قميصه وأن يصلىَ عليه ، فاعترض عمرُ فقال رسول الله : « إنما خيرنى ربى فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم » ، وقام فصلى عليه ووقف على قبره فأنزل الله : ﴿ ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ التوبة ٨٤ ، فظل رسول الله ﷺ لا يصلى على أحد عُرف بالنفاق .. وبموت عبد الله رأسِ المنافقين انكسرت شوكتهم ، بل إن بعضَهم حسُن إسلامه .

ومن مواقفهم الدنيئة ترويجهم لحادث الإفك ضد أم المؤمنين عائشة

وستتكلم عنه فى الخطبة القادمة إن شاء الله .

لعن الله المنافــقين فى كل زمــان ومكان ، وطهّــر قلــوبنا من هذا المرض الدفين . . آمين . .

❀ ❀ ❀

المنافقون وحادث الإفك

الحمــد لله يُظهر الحق ولــو بعد حين ، وأشــهد أن لا إله إلا الله لعن مروِّجى الإشــاعات، وملفــقى الأكاذيب، وتوعدهم بالــعذاب العظيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله ، طهّر الله بيته وأذهب الرجسَ عن أهله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

المسلم ينأى بنفســه عن مواضع الشبــهات ويبعد عن مــواطن الريبة حــتى يسلمَ عرضُــه وشــرفُه ، ولا يعطى فــرصــه للمنفلتين للخــوض فيــه والحديث عنه وذكره بالسوء ، وقد ورد : « اتقوا مواطنَ الشبهات » ، جاء فى الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين صفــية بنت حُيَىٍّ قالت : كان النبى ﷺ معتكفا فأتيتُه أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت لأنقلب ـ أى أرجع ـ فقام معى ليقلبنى ، فــمر رجلان من الأنصار رضى الله عنهــما ، فلما رأيا النبىّ ﷺ أسرعا ، فقال ﷺ : « على رِسلكما ، إنها صفيةُ بنتُ حُيَىٍّ » فقالا : سبــحان الله يارسولَ الله فقــال : « إن الشيطانَ يجرى من ابن آدم مــجرى الدم ، وإنى خشــيت أن يقذفَ فى قليــبكما شرا » ، ومع حــرص الإنسان

على سمعته ومحافظته على عـرضه ، فقد يتعرض لموقف حرج بسبب أحد الكذابين الذين يلفقون التهمَ للناس ، ويروجون ضدهم الإشاعاتِ المغرضةَ التى تمس عرضَــهم وشرفَهم وقــد توعّد رســولُ الله ﷺ هؤلاء الملفقين فى الحديث الذى رواه الطبـرانى وفيه يقـول ﷺ: « أيما رجلٍ أشاع على رجل مسلم بكـلمة هُوَ منها برىء يشـينه بها فى الدنيـا ، كان حـقا على الله أن يذيبَه يوم القـيامة فى النار حـتى يأتى بنفاد ما قـال » . وحث رسولنا كلَّ مسلم أن يذبَّ عن عرض أخيه ، وينكرَ على الوالغين فى حرمات الآخرين ، روى أحمدُ أن الرسولَ ﷺ قال : « من ذَبَّ عن عـرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يُعتقَـه من النار » ، ومن المؤلم للنفس أن يُتَهَّم الإنسانُ فى أعز ما يملك،أعنى فى عرضه ، فيشاع أن امرأةَ فلان أو ابنته أو أخته عاهر ، إن هؤلاء الأفاقين جرثومةٌ فى المجتمع يبغـون به الشرَّ ، ويشيعون الفاحشة والله يقـول : ﴿ **إن الذين يحـبون أن تشـيع الفـاحشـة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيـا والآخرة** ﴾ النور ١٩ ، وهم موجـودون فى كل زمان ومكان،لم يسلم من لسـانهم أحد حـتى بيت رسول الله ﷺ تعـرض لهذا الموقف الحرج حيث لفق المنافـقون ضد السيدة عـائشة زوجِ رسول الله ﷺ وبنت الصديق رضى الله تعالى عنه تهمةً تمس عرضَها ، وعاش رسول الله شهـرا فى حزن وألم انقطع فيـه الوحى ، ثم نزلت عشـرُ آيات من سورة النور (١١ ـ ٢٠) تبرىء أمَّ المؤمنـين عائشةَ من مـحاولة المنافقين الدنيـئة التى وصفها القـرآن بالإفك قال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عـصبة منكم** ﴾ الآيات ، روى البخارى ومسلم وأحمد حديثَ الإفك عن عائشة، وملخص ما حـدث أن رسول الله كان إذا أراد أن يخرج فى سـفر أقرع بين

نسائه فأيتهن خرج سهمُـها خرج بها رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله قد خرج فى غزوة ورافقـته عائشة حيث خرج سـهمها ووقعت عليـها القرعة، وذلك بعد مـا أنزلت آية الحجاب ، فـجلست فى هودجهـا ثم حُمل على الراحلة وسار رسـول الله ﷺ مع جيشـه ، حتى إذا فرغ من عـزوته وقفل راجعا حـتى دنا من المدينة ، وكان الوقت ليلا فأذن الـرسول ﷺ للجيش بأن يستريح ، فـخرجت عائشةُ لقضاء حـاجتها وعند عودتها اكـتشفت أن عِقدا لهـا قد انقطع ، فرجعت تبحث عنه ، وكـان رسول الله ﷺ قد أذن بالرحيل، فجاء الرجال فحملوا هودجَ عائشة ظانين أنها بداخله،لأنها كانت خـفيـفة ووضـعوه على الراحلـة ، ولذا لم يـستنكروا خـفـة الهـودج حين حملوه ، وحين عادت عائشة بعد أن عـثرت على عقدها لم تجد الجيش ، فجلست فى مكانهـا لعلهم يكتشفـون عدم وجودها فيـرجعون اليهـا فجاء صفوان بن المعطل السلمى فعرفها فاسـترجع ، وغطت عائشةُ وجهَها فأناخ لها بعـيرَه فـركبت ـ تقول الـسـيدة/ عـائشة : « والله ما كلمـنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غيـر استرجاعه » أى قوله :﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ البقرة ١٥٦، فانطلق يقـود الراحلةَ حتى لحق بالجـيش ، فلما رأى المنافـقون ذلك اغتنموها فرصةً لينهشـوا فى عرض رسول الله ﷺ فقالوا : « والله ما نجت منه ولا نجا منها » ، وكان زعيم هذه المؤامرة كـبيرَ المنافقين عبد اللهبن أُبَىّ والذى قال الله فيه ﴿ والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ فجعل هذا المنافقُ هو واتباعـه يروجون هذه الأكذوبةَ في المدينـة حتى انتشر الخـبر وأصبح على كل لسان ، وكانت عـائشة حين وصلت المدينةَ اشتكت لمرض أصابها وهى لا تعلم بما يقال عنهـا ، ولم تعلم بالخبر إلا حين خرجت مع

أم مسطح إلى الخلاء ، فعثرت أم مسطح فى ثوبها فقالت : تعس مسطح، فقالت بئسما قلت ، تسبين رجلا شهد بدرا ، فقالت ألم تسمعى ما قال ؟ قالت : وماذا قال ؟ فأخبرتها،وكان مسطح ممن خاض مع الذين خاضوا ، فازدادت عائشة مرضا على مرضها وكانت لاتجد من رسول الله ﷺ اللطف الذى هو عودها عليه ، فاستأذنته فى الذهاب إلى أبويها ، فوجدت أمها على علم بما حدث فقالت : سبحان الله ،أوَقد تحدث الناس بهذا ؟ وظلت تبكى لا يرقأ لها دمع ولا يكتحل لها جفن ، وكان قدأصاب رسولَ الله ما أصابه من الحزن فاستشار صحابتَه فى ذلك حين انقطع الوحى عن الرسول ﷺ فقال أسامةُ بن زيد : يارسولَ الله أهلُك ولا تعلم إلا خيرا ، وقال عمر : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وأما علىٌّ فقال : يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسأل رسولُ الله جاريَتَها « بريرة » : « هل رأيتِ من شىء يريبك من عائشة ؟ فلم تذكر إلا أنها حديثة السن تنام عن عجينها فتأكله الدواجن ، وذهب رسول الله ﷺ إلى عائشة فى بيت أبيها ، فتشهّد حين جلس ثم قال : « أما بعد ياعائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه،فإن العبدإذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه » ،

فقالت عائشة لأبيها ولأمها : أجيبا رسولَ الله ﷺ فقالا : ما ندرى ما نقول ، فقالت : لقد سمعتم هذا الخبرَ وصدقتموه ، فإن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم أنى بريئة لا تصدقوننى ، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، فوالله ما أجد لى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون** ﴾ يوسف ١٨ ، ثم أدارت

وجهـها وهى واثقة أن الله سـيبرئهـا ، وما كانت تظن أن ينزل فى شـأنها قرآن يـتلى ، بل كانت تظن ان يرى الرسـول ﷺ رؤيا تبرئهـا ، وفى هذا المجلس نزل الوحى على رسول الله يبرىء عائشةَ ، فلما أفاق ضحك وقال لعائشـة : « أبشرى فقد برأك الله » فقـالت لها أمها قـومى إلى رسول الله فقالت : والله لا أقوم إليـه ولا أحمد إلا اللهَ الذى أنزل براءتى . . وهكذا عاش رسول الله ﷺ أياما عـصيبة أصابه فيهـا الألم والحزن ، وذلك بسبب مكيدة دبرها المنافقون . .لكن الله برأ عائشة وعاتب المؤمنين فقال : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جـاءوا عليـه بأربعـة شـهداء فـإذ لـم يأتوا بالشـهـداء فـأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ .



النفاق فى السلوك والعمل

الحمد لله ذم النفاقَ ولعن المنافقين وجعلهم أسفلَ سافلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله حبب إلى المؤمنين الإيمان وزيَّنه فى قلوبهم ، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله حذَّر أمته من النفاق ونبههم إلى عواقبه الوخيمة ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..

فى الخطبة السابقة تكلمت عن الظروف التى أدت إلى ظهور جبهة المنافقين فى المدينة ، وقلت إن هؤلاء المنافقين أشدُّ خطرا على المسلمين من الكفار والمشركين ، واليوم أتكلم عن نوع آخر من النفاق موجودٍ فى كل زمان ومكان اسمه النفاق فى السلوك والعمل ، وهذا الصنف من المنافقين هم مسلمون ، لكن لهم بعض التصرفات التى تصدر عن قلب مريض . ولهؤلاء المنافقين صفاتٌ وضَّحها الإسلامُ حتى يتحرزَ منها كل مسلم ، روى عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص أن رسولَ الله ﷺ قال : « أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعَها ، إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » متفق عليه ، وعن أبى هريرة أن الرسولَ ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث ، إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » متفق عليه ، فإذن من صفات المنافقين أنهم يخونون الأمانات ، ويكذبون فى الحديث ، ويغدرون فى العهود ، ويفجرون فى الخصام ، ويخلفون الوعود .. وعليه ، فمن وجدت فيه هذه الصفات أو صفةٌ منها فهو منافق

حتى يتطهرَ منها . . وهى كلها صفات ذميمه نفَّر الإسلام منها . . فالخيانة من أخبث الصفات ، والمسلم يبرأ منها ، لأن الخيانةَ دليل على ضياع الإيمان ، يقول ﷺ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » رواه أحمد ، ولذا أمر الله المسلمين بأداء الأمانات ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ النساء ٥٨ ، وروى الإمام أحمد وأصحابُ السنن أن الرسول ﷺ قال : « أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » . . خرج عمرُ بن الخطاب قاصدا مكة ، فمرَّ فى طريقه براع فقال له : بعنى شاةً ، فقال الراعى: إنى مملوك ، قال له : قل لسيدك : أكلها الذئبُ ، قال : فأين الله ؟ فبكى عمر . . ثم اشترى المملوكَ من مولاه فأعتقه وقال : أعتقْتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة ، فالمؤمن لا يخون ،روى أحمد أن رسول الله ﷺ قال :« يُطبع المؤمن على الخلال كلّها إلا الخيانة والكذب » ، والكذب أيضا من أبرز صفات المنافقين؛والمسلم صادق الكلمة ، لا يسمح لنفسه بالكذب ، لأن الكذب طريق إلى النار، روى ابن مسعود رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتبَ عند الله صدِّيقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتبَ عن الله كذابا » متفق عليه ، وروى مالك عن ابن مسعود أيضا أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب ، فينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودَّ قلبه ، فيكتب عند الله من الكذابين » وصدق الله : ﴿ **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾ النحل

١٠٠ ، ومن صفات المنافقين أيضا الغدر ، والمسلم يفى بعهده ، ويحترم كلمتَه ، ويلتزم بما أخذه على نفسه ، جاء فى الحديث : « المؤمنون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » رواه أبو داود وأحمد والترمذى والدارقطنى .. والمسلم يفعل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ الاسراء٣٤، ولقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ النحل ٩١ ، والغادر الذى ينكث فى عهده يفضحه الله يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، روى ابن مسعود وابن عمر وأنس رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان » متفق عليه ، واللواء يعنى العلامة ، ومن صفات المنافقين أيضا الفُجْرُ فى الخصام ، بمعنى أنه إذا وقعت بينه وبين آخر خصومةٌ وهجران كان من الصعب أن يرجع عن خصومته ، بل يُظهر كلَّ ما عنده من فحش فى القول وبذاءة فى السلوك ، مما لا يدع فرصة للمصالحة ، أو يترك خطا للرجعة ، والمسلم ليس كذلك ، روى ابن مسعود أن رسولَ الله ﷺ قال : « ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذىء »رواه الترمذى ، والخصام لغير سبب شرعى حرام إذا زاد على ثلاث ليال ، روى أبو أيوب أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان ، فيعرض هذا ويُعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » متفق عليه ، بل إن بقاء الخصومة بين مسلم ومسلم يَحْرِمُهما من مغفرة الله ، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تُعرض الأعمال فى كل إثنين وخميس ، فيغفر الله لكل إمرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم ، ومن

صفات المنافقين أيضا خلف الوعد ، والمسلم ليس كذلك فهو يفى بعهده ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون** ﴾ الصف ٢، ومن صفات المنافقين أيضا التباطؤ والتكاسل عن الصلاة ، قال تعالى: ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى** ﴾ النساء ١٤٢ وقال ابن مسعود : « ما يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق معلوم النفاق » وفى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة « ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما حبوا » ، وهناك نوع من الناس تمرسوا على النفاق حتى غطى على قلوبهم ، فهم يكرهون كل شيء، ويحقدون على كل شيء، ويحسدون كل شيء، ويخفون تلك المساوئ وراء وجه باسم ، وخلف لسان حلو، وصدق الله : ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام** ﴾ الآيات البقرة ٢٠٤-٢٠٦ ، وهؤلاء الذين يعينهم الشاعر بقوله :

يلقاك يقسم لك أنه بك واثق	وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة	ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وهناك صنف من المنافقين سماهم الرسول ﷺ المداحين وأمرنا أن نحثوَ الترابَ فى وجوههم حتى يطهر المجتمع منهم ، روى مسلم عن المقداد بن الأسود أنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوَ الترابَ فى وجوه المداحين ، وذلك لأنهم يزوّرون الحقائق ، ويقلبون الأوضاع ، فيقولون للمسيء أحسنت ، وللمخطىء أصبت ، وللظالم عدلت ، وقد يكون مديحهم هذا سببا فى اغترار من يمدحونه، وطغيانه وتماديه فى طريق المنكر، ولذا اعتبر الرسول ﷺ هذا النوعَ من المدح ذبحا، فقد ورد فى الصحيحين إن رسولَ الله ﷺ سمع رجلا يثنى على رجل فقال : « وَيْحَك قطعت عنقَ

صاحبك ، إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محاله ، فليقل : أحسبه كذا ، ولا يزكى على الله أحـدا »، وروى ابن ماجـه عن معاويـةَ أن الرسولَ ﷺ قال : « إياكم والتمادحَ فإنه الذبح » ، ولكن ليس كل مدح مذموما ، فإذا مدح الناسُ مسلما قام بعمل خير قاصدين به وجهَ الله وتشجيعَه على البر ، ولا يغتر الممدوح بذلك ، فهذا مـدح مشروع لا يُخشى منه على الممدوح ، روى أبو ذر أنه قيل لـلرسول ﷺ : أرأيت الرجل الذى يعمـل العمل من الخيـر ويحمده الناس عليـه ؟ قال ﷺ « تلك عـاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم . . وهنـاك نوع آخر من المنافقين سـماه الرسـول ﷺ ذا الوجهين ، لأنه يتلـوَّن كـالحـرباء،يلقـى هؤلاء بكلام ، ويلقى هؤلاء بـكلام ، وعنده القدرة على صياغة الكلمات ، وتزويق الألفاظ حسب الموقف الذى يواجهه فهو فتنة يتحرك بين الناس ، فهـذا من شر الناس كماجاء فى الحديث المتفق عليه أن رسولَ الله ﷺ قال : « تجـدون شرَّ الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » .

فالنفاق أنواع وأشكال ، والمنافقـون موجودون فى كل مكان ، وقد حارب الإسلامُ النفاقَ بكل أنواعه وجمـيع أشكاله وكشف أصحابَه ، ودعا كلَّ المسلمين إلى تطهير أنفسهم من النفـاق،لأنه مرض اجتماعى ، إذا ظهر فى مجتمع أدَّى إلى شيوع الفساد وضياع الحقوق ، والمنافق مريض القلب، وعلاجه فى أن يخشى اللهَ وحده ويراقبه ، ويثق أنه هو النافع والضار ، وأن البشر أضعف من أن يغيروا ما أراد الله وقدَّر . . فاللهم طهرنا من النفاق ، وارزقنا التقى والغنى والرضا والعفاف . . آمين .

موقف الرسول ﷺ من اليهود فى المدينة

الحمد لله صدق وعدَه، ونصر عبدَه ، وأعز جندَه، وهزم الأحزابَ وحده . . وأشـهد أن لا إله إلا الله غضب على اليـهود ولعنهم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وأشهد أن سـيدَنا محمدًا رسولُ الله طهر المدينةَ من اليهـود، بسبب خيـانتهم ونقـضهم العهـود ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

حين هاجر الرسولُ ﷺ إلى المدينة ، وجـد بها طوائفَ من اليهود هم بنو قينقـاع وبنو النضيـر وبنو قريظة ، فطلب إليهم أن يعـيشوا مـعا فى سلام لا سيما أنهم أهل كتاب ، وعُقدت بينهم معاهداتٌ تنص على حسن الجوار ، وكان من أسباب فرح اليهود أن المسلمين توجهوا فى صلاتهم إلى بيت المقدس قـبلة اليهـود ، وأنهم صاموا يومَ عـاشوراء ، وكانت اليـهودُ تصومـه لأن الله نَجَّى بنى إسرائيل من عدوهم فـيه ، فصامـه الرسول ﷺ وأمر صـحابته بصيـامه كما رواه البـخارى ، لكن ظهر خبثُ اليـهودِ حين دعاهم الرسولُ ﷺ إلى الإسـلام حيث إنه مبعوث لجـميع الخلق ، قال تعالى: ﴿ قل يأيهـا الناس إنى رسـول الله إليكـم جميـعـا ﴾ الأعراف ١٥٨ ، فرفـضوا فى كبر وتـعالٍ ، وإن كان بعضُـهم أسلم مثل عبـدِ الله بنِ سلام وغيـرِه ، وظل اليهود يضـايقون الرسولَ ﷺ بـتوجيـه أسئلة إليه قـاصدين تعجيزَه ، فـمرة يطلبون منـه أن يأتيَهم بكتاب مـن السـماء ، قـال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عيـهم كتابا من السماء ﴾ النساء ١٥٣ ، ومرة

يطلبون منه أن يكلمهم الله ، قال تعالى : ﴿ **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية** ﴾ البقرة ١١٨ ، وقد زاد من غيظهم أن الرسولَ ﷺ حَّول القبلةَ إلى الكعبة بأمر من الله تعالى ، فقالوا فى ذلك كلامًا سفيها أشار إليه القرآن مسبقا فقال تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها** ﴾ البقرة ١٤٢، كما كان من سبب حقدهم على الإسلام أن الرسول ﷺ ألّف بين الأوس والخزرج ، وكانوا قبل الإسلام أعداء ، فاظهر اليهود العداءَ للرسول والمسلمين ، وكوَّنوا جبهةً جديدةً ضد المسلمين فى المدينة ، وبدأوا يدبرون المؤامرات ، فامتنعوا عن دفع ما عليهم للأنصار، قال تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ آل عمران ٧٥ ، كذلك امتنعوا عن إقراض المسلمين ، وحاولوا إثارة الفتنة بين الأوس والخزرج حتى كادوا يتقاتلون ، لولا أن الرسولَ ﷺ أدرك الموقفَ وقال « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » ؟ ، وأخذوا يعملون على زعزعة ثقة المسلمين فى دينهم ، ويدّعون أن فى القرآن تناقضا،بل إن بعضَهم أسلم ليتجسسَ على أخبار المسلمين ، وينقلَها إلى أعدائهم من مشركى العرب ، واستمر اليهود فى مخططاتهم العدوانية ضد المسلمين. وبهذا أصبح للمسلمين عدو ملاصق هم اليهود،وعدو خارجى وهم مشركو مكة وغيرهم ، فكان لابد من القضاء أولا على اليهود حتى يتفرغ المسلمون لمحاربة مشركى العرب ونشر الإسلام والدعوة إليه،فبدأ الرسول ﷺ ببنى قينقاع ، وكانوا يسكنون حيا فى المدينة ، فحاصرهم خمسةَ عشرَ يوما حتى

أجلاهم إلى أذرعات بالشام ، أما بنو النضير فقد خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ ودبروا لقتله حين كان فى حيهم ، وذلك بإلقاء صخرة عليه من فوق بيت كان يجلس إلى جداره ، لكن الله أطلعه على مكرهم ، فقام مسرعا ، وتبعه من كان معه من الصحابة ، وعلى الفور وجَّه إنذارا إلى بنى النضير بالجلاء عن ديارهم خلال عشرة أيام ، لكنهم رفضوا واستعدوا لمحاربة المسلمين ، فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخيلَهم إرهابا لهم ، قال تعالى : ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾ الحشر ٥ ، إلى أن استسلموا ، وخرج بعضهم إلى الشام ، وبعضهم إلى خيبر ، قال تعالى : ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله** ﴾ الحشر ٢ .

وأما بنو قريظة فقد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ فى ساعة الشدة ، وذلك أن أشراف اليهود من بنى النضير الذين خرجوا إلى خيبر عزّ عليهم أن يُطردوا من ديارهم ، ففكروا فى طريقة يستردون بها حصونهم ، فذهبوا إلى القبائل العربية يؤلبونهم ضد المسلمين ، حتى اجتمع جيش من عشرة آلاف مقاتل ، قصدوا المدينةَ للقضاء على المسلمين ، ولما علم الرسولُ ﷺ بهم أشار عليه سليمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة ، وحين قدم الأعداءُ فوجئوا بالخندق ، فعاقهم عن دخول المدينة ، فتبادلوا مع المسلمين الرميَ بالنبال ، ولما طالت مدة إقامة الجيش دون أن يتمكنَ من دخول المدينة قرر الأعداء الاستعانة بيهود بنى قريظة ، حيث كانوا يسكنون المدينة مع المسلمين ، وتنص المعاهدة التى أبرمها الرسولُ ﷺ معهم على أن

يحموا المدينة من جهتهم فى حالة الحرب وأن يمدوا المسلمين بالسلاح والمؤن، فخان بنو قريظة هذه المعاهدةَ منتهزين فرصة ضعف المسلمين وقتهم ، وقرروا أن يُفسحوا الطريقَ أمام جيش الكفار لدخول المدينة ومنعوا عن المسلمين السلاحَ والمؤن ، فأصبح المسلمون فى خطر عظيم أصابهم بالرعب والفزع ، ويصور القرآن هذا الفزعَ فيقول : ﴿ **هنالك ابْتُلِى المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديداً** ﴾ الاحزاب ١١، إلا أن الله أرسل على جيش الأعداء ريحا شديدة فى ليلة باردة شاتية ، أكفأت قدورهم ، وخلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم مما جعلت بقاءهم مستحيلا ، فرحلوا دون أن ينالوا من المسلمين، وصدق الله إذ يقول :﴿ **وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا** ﴾ الاحزاب ٢٥ ، ويذكِّر الله المسلمين بهذا النصر فيقول :﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** ﴾ الاحزاب ٩-١٠، وبعد رحيل الجيش كان لابد من الانتقام الفورى من بنى قريظة، فقال رسول الله ﷺ لصحابته :« لا يصلين أحدُكم العصرَ إلا فى بنى قريظة » ، وحاصرهم خمسة وعشرين يوما حتى استسلموا ونزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس الذى حكم بتقتيل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، وتقسيم الأموال ، ومن أسلم منهم أمن على نفسه وماله . . بقى يهود خيبر ، وكانت ملجأ لكثير من اليهود الفارين والحانقين على الإسلام ومركزا للتآمر على المسلمين ، مما جعلها خطرا يتهدد المسلمين ، فخرج إليهم الرسولُ ﷺ والمسلمون وفاجئوهم فهربوا إلى حصونهم فقال ﷺ « الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين »

متفق عليه ، وقاوم يهودُ خيبر وكانت معارك حامية أبلى فيها المؤمنون بلاء حسنا ، وبعد جهد ومشقة حُطِّمت قلاعهم ، وهُدمت حصونهم ، فاستسلموا وطلبوا الصلحَ حقنا للدماء ، فاستجاب لهم الرسول ﷺ وأقامهم على أرضهم على أن يعطوا نصف ثمارها للمسلمين ، وكان من بين غنائم يهود خيبر صحائف من التوراة ، حفظها رسولُ الله ﷺ وسلمها لهم عندما طلبوها ، وكانت امرأة من اليهود أهدت الرسول ﷺ شاةً مسمومة ، فتناول الذراع ، فلاك فيها مضغة فلم يسغها وقال : « إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » وأكل منها أحد الصحابة فاستساغها فمات ، فجيء بالمرأة فاعترفت ، وقالت : قد علمتَ ما فعلتَ بقومى ، فإن كنتَ ملكا استرحنا منك ، وإن كنت نبيا أُخبرتِ .

واستمر يهود خيبر على أرضهم حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عن جزيرة العرب ، وبأجلاء عمر لهم طهرت الجزيرة من رجسهم . .

فهل يمكن أن يعيد التاريخ نفسه ؟ فيطهر مسلمو اليوم الأرضَ السليبةَ من نجس اليهود ، كما طهرت أرض العرب فى الأمس البعيد . . ليس ذلك على الله ببعيد .



بين النبى وزوجاته

الحمد لله جعل بيتَ النبوة مهبطَ الوحى،فيه يتلى من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله أذهب الرجسَ عن أهل البيت وطهرهم تطهيرا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ عاش على الكفاف ورضى بالقليل وكان يقول : أفلا أكون عبدا شكورا ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .

كل بيت معرضٌ لأن تحدثَ فيه خلافات وتقع به مشكلات ، حتى بيوت النبى ﷺ كانت تتعرض لمثل هذا ، مع ما خص الله به زوجاته ﷺ ، ففى بيوتهن نزل الوحى: ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ الأحزاب ٣٤ ، وهن أمهات المؤمنين : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ الأحزاب ٦ ، هذا إذا استثنينا الفترة لتى عاشها الرسول مع خديجة فقد تزوجها الرسول وكان سنه خمسا وعشرين سنة بينما كان سنها أربعين سنة وكانت ثيباً،ورزقه الله منها بالولد ووقفت بجانبه عند بدء الدعوة ، وهى التى قال لها الرسول عندما جاءه جبريل لأول مرة ، قال لها دثرونى زملونى ، وماتت فى العام الذى مات فيه عمه أبو طالب حتى سمى الرسولُ هذا العامَ عامَ الحزن،وظل يذكرها حتى كانت عائشة تغار منها كما ذكرت ذلك فى الحديث المتفق عليه المروى عنها ، ولم يتزوج الرسولُ ﷺ حتى هاجر إلى المدينة وكانت سنه ستا وخمسين سنة فاجتمع فى بيته أكثر من زوجة ، وكان الرسول يعيش على الكفاف ويرضى بالقليل ، استأذن عمر عليه فلم يجد فى بيته إلا حصيرا قد

أثر فى جنبه فبكى وقال يا رسول الله : ادع الله أن يوسعَ على أمتك ، فقد وسع على فارس والروم وهـم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا وقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ اؤلئك قوم عُجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا ، فـقلت استـغـفر لى يا رسـولَ الله ، وكـان يقول فى الحـديث الذى رواه الترمذى عن ابن مـسعود : **﴿ مـالى وللدنيا ، مـا أنا فى الدنيا إلا كـراكب استظل تحت شجـرة ثم راح وتركها ﴾** ، وكان يمضى الشـهران لا يوقد فى بيته نار ، ولما نصر الله نبيه ورد عنه الأحزاب وغنم المسلمون أموال ونفائس اليهـود كمـا ذكرت فى الخطبـة السابقة ظـن أزواج النبى أنه اختص نفـسَه بنفـائس اليهـود وذخائرهم فـقعـدن من حوله ، وقلن يا رسـول الله بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل ، ونحن على ما ترى من الفاقة والضيق ، وآلمن قلبه الشريف عليـه الصلاة والسلام بمطالبتهن له بتـوسعة الحال ، وأن يعاملن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجَهم ، فتألم رسولُ الله وغضب غضـبا شديدا وهجرهن شـهرا ، حتى أُشـيعَ أن النبىّ طلق زوجاته ، ولما علم عمر ذهب مع أبى بـكر واستأذنا على رسول الله ﷺ فوجـداه جالسا ساكتا وحـوله نسوته ، فقال عمر لأكلمنَّ رسولَ الله كلامـا يُضحكه ، فقال: لقد طلبت زوجتى نفقةً منى اليوم فوجأت ـ جرحت ـ عنقها ، فضحك الرسول ، وقـال : هن حولى يسـألنى النفقةَ ، فـقام أبو بكر إلى عـائشة يضربها ، وكذلك فعل عمر مع حفصة ، وهما يقولان : تسألان النبىَّ ﷺ ما ليس عنده ، فنهـاهما رسول الله ، فنزلـت آية التخيـير التى تطلب من الرسول أن يخير زوجاته بين أن يبقين معـه على ما هو فيه من ضيق العيش والفاقة أو يسرحهن ـ يطلقهن ـ ليتزوجن من أهل الدنيا من يجدن عنده من

متع الدنيا وزخارفها قال تعالى : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾ الاحزاب ٢٨ / ٢٩ ، فخيَّر الرسولُ زوجاتِه وبدأ بعائشة فقال لها : إنى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تستعجلى حتى تستأمرى أبويك ، وقرأ الآية فقالت : أفيك استأمرأبَوَىَّ ؟ فإنى اختار اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة ، وعرض على نسائه كلِّهن فاخترن الله ورسوله ، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن زوجات النبى حين خيرن فاخترن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ كان جزاؤهن أن الله تعالى قصر الرسولَ عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسرارى فلا حرج فيهن ، وذلك مجازاة لهن على حسن صنيعهن فى اختيار الله ورسوله والدار الآخرة قال تعالى : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا** ﴾ الاحزاب ٥٢ .

وموقف آخر حدث بين رسول الله ﷺ وبين زوجتيه عائشة وحفصة مع زينب زوج رسول الله أيضا ، وذلك أن النبى ﷺ كان من عادته أن يمر على زوجاته ، فكان يمر على زوجته زينب فتقدم له عسلا فيشربه ثم يجلس عندها ، وكان الرسول يحب الحلوى ، ثم يمر على حفصة وعائشة فاتفقتا على أن تقولا للرسول : أشربت مغافير ؟ والمغافير شئ يشبه الصمغ وله رائحة فيقول لهن : ما شربت إلا عسلا عند زينب ، وقد حرمته على نفسى ، فنزل : ﴿ **يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك**

والله غفور رحيم ، قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴾ التحريم ١/٢ ، وبهذا أمر الله رسوله بالكفارة ليحل له ما حرمه على نفسه . .

وقد حدَّث عمرُ فقال : اجتمع نسوة رسول الله ﷺ فى الغيرة عليه فقلت لهن : لتكفن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالتْ : يا عمر أما فى رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظَهن ؟ فأمسكتُ فنزل : **﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات ..﴾** الآية التحريم ٥ ، وقد ورد أن رسولَ الله طلق حفصةَ فنزل عليه جبريل وقال له راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة : وهكذا نجد أن بيوت النبى تعرضت لمواقف أدت إلى إيلام قلب رسول الله ﷺ حتى هجرهن شهرا وأشيع فى المدينة أن رسول الله طلق زوجاته .. لكن الله يحفظ بيوته ﷺ ويصرف عن أهل بيته الرجس ، ويذكرهن بالوحى الذى يتلى فى بيوتهن ، فيعدن إلى بيت النبوة ويرضين بالعيش مع رسول الله ويخترن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة : **﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾** الأحزاب ٣٣ / ٣٤ .



المولد النبوى الشريف

الحمد لله الذى أنار الوجود بخير مولود ، وأشهد أن لا إله إلا الله اصطفى محمـدا من البرية ليكون منقذا للبشـرية ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله وكفى بالله شهيـدا ، وأشهد أن سيدنا مـحمدا رسول الله نُور الله فى أرضه ، وهدايتـه لخلقه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مـحمد وعلى آله وصحبه . . وبعـد . . ففى شهر ربيع الأول وُلد ﷺ ، وكان مولده حدثا عظيما ، فكثير من الناس يولدون لا يشعر بهم أحد ،ويموتون لا يشعر بهم أحد ، جاؤا إلى الدنيا فى صمت ورحلوا عنهـا فى صمت ، لكن مـولَده ﷺ كان علامـةً بارزة فى مسـيرة الإنسانية ، ونقطة تحـول فى حياة البشرية ، وثورة فـجرت ينابيع التاريخ ، وغيـرت معالم الدنيا ، ووضـعت قدم الإنسان على طريق الحق والخـير ، وأخذت بيده إلى سبـيل الهدى والرشاد ، لقد وُلد محمد فى بيـئة جاهلية يعبـد أهلها الأصنامّ ، ويشربون الخـمورّ ، ويئدون البنـات ، وتقوم بينهم الحروب لأتفه الأسـباب ، فَتُزهق أرواح ، وترمل نسـاء ، وتيتم أطفال . وسط هذا الظلام الذى عم العـالمَ كلَّه وُلِد النور ، ونشـأ منذ صبـاه على الخلق الفاضل ، والفطرة المستقيمة، فلم يسجد لصنم، ولم يشرب الخمر، ولم يصدر عنه فـحش أو بذاءه ، حتى لُقب بالصادق الأمين ، لقـد صنعه الله على عينه ، وأعده لحمل هذه الرسالـة ، وصدق الله : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالتـه** ﴾ الانعام ١٢٤ ، فبذل النبى من نفسه ووقته فى سبيل الدعوة ما يعجز عنه الأبطال ، وصبر على أذى قومه، وجعل مـن العـرب أمةً متعاونة

متماسكة ، بدّل وثنيتهم إيمانا ، وجهلهم علما ، وظلامهم نورا : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ظلال مبين** ﴾ آل عمران ١٦٤ ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . وحملت هذه الأمة التى شرفها الله بنبيها العربى حملت رسالة الله إلى كل أركان الدنيا وبقاع العالم ، وخرج من بلاد العرب جند الله ينشرون مبادئ الإسلام ويُعلون راية الحق ، ويرفعون شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فهزموا الكياسرة ، وقهروا القياصرة ، ونَعِم العالم فى ظل الإسلام بالأمان والعدل ، وتمتع بالحرية والمساواة ،كل هذا التغيير وذلك التحول بدأه فرد واحد هو محمد، مكث ثلاثا وعشرين سنة ، منها ثلاثَ عشرةَ فى مكة وعشرُ بالمدينة ، بلَّغ فيها عن ربه ، وترك أمته على المحجة البيضاء ، ولقى ربه بعد أن أكمل اللهُ رسالتَه ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، لقد مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما دون جدوى ، وخلف موسى في بني اسرائيل ثلاثمائة نبي فما صلح حالهم. فما قام به محمد لا يقارن بأى عمل يقوم به بشر ، فكل عظيم إما أن يصنعه أبواه ، أو تؤثر فيه بيئته أو عشيرته ، أما رسول الله محمد ﷺ ، فلم يكن من صنع أبويه ، فقد مات أبوه وهو جنين فى بطن أمه ، وماتت أمه وهو ابن ست سنوات ، ولم يكن من صنع قبيلته أو عشيرته فقد شب مخالفا لكل ما كانت عليه قريش والعرب فى الجاهلية من عادات وسلوكيات . . فالله هو الذى اصطفاه : ﴿ **ألم يجدك يتيما فأوى وجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ...** ﴾ الضحى ، قال الصحابة رسول الله ﷺ حدثنا عن نفسك : قال : (أنا دعوة إبراهيم ـ البقرة ١٢٩

- وبشرى عيسى - الصف ٦ - ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام) ، قال أبو بكر للرسول : لقد طفت العربَ ، وسمعت فصحاءهم فما رأيت ولا سمعت مثلَك أحدا .. فمن أديك ؟ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وفيه يقول حسان :

وأحسن منك لم تر قط عينى   وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

ولا عجب أن يختار المؤرخ الأمريكى الذي يعمل فى هيئة الطاقة الأمريكية في كتابه (الخالدون مائة) مائة شخصية من الشخصيات التى كان لها أثر فى تغيير مجريات الأحداث ، ولها بصماتها فى تاريخ البشرية فيجعل نبينا على رأس المائة بينما يجئ ترتيب عيسى الثالث وموسى السادس عشر[1] !! ويكفى رسولنا شرفا أن الله أقسم بحياته قال تعالى : ﴿ لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ﴾ الحجر ٧٢ ، قال ابن عباس : ما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، وقد صلى عليه ربه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ الاحزاب ٥٦ ، لقد رفع الله ذكر نبيه محمد فلا يذكر اسم الله فى الأذان أو التشهد إلا ويذكر اسم الرسول ، كما رفع ذكره فى الأولين والآخرين حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا بمحمد قال تعالى : ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه .. الآية ﴾ آل

(١) لقد أعاد المكاتب طباعة كتابة بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاما من طبعته الأولى فأخرج بعض العظماء المائة وأعاد ترتيب الباقين فقدم وأخر ، وظل رسول الله ﷺ على قمة قائمة العظماء المائة .

عمران ٨١/٨٢ ، لقد جعل الله الشمس سراجا تمد الكونَ بالحرارة والدفء ، وجعل الرسولَ سراجا يمد الإنسانيةَ بحرارة الإيمان،ودفء اليقين قال تعالى : ﴿ **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا** ﴾ الفرقان ٦١ ، وقال عن رسوله ﴿ **يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ الاحزاب ٤٥ ، ويقول تعالى : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾المائدة ١٥ . فالنور هو ﷺ . . ذلكم هو رسولكم قد رفع الله من قدره ، وأعلى من شأنه . . فهل نقصر نحن فى حقه ﷺ ؟ إن الاحتفالَ بذكرى مولد الرسول ﷺ متجدد كل يوم ، ولن يتحقق ذلك إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ، والالتزام بهديه ﷺ ، والاقتداء به فى أقواله وأفعاله ، قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) (رواه السيوطى وعزاه إلى الأصبهانى)، وقال تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾الحشر ٧ ، ويقول : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ الاحزاب ٢١، وقال ﷺ :(كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى) قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : (من طاعنى دخل الجنة،ومن عصانى فقد أبى) رواه البخارى عن أبى هريرة ، وفى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أيضا أن رسول الله ﷺ قال : (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى) .



من صفات المصطفى ﷺ

الحمد لله أرسل رسولَه بـالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كله ولو كره المشركون ، وأشهد أن لا إله إلا الله ختم الأنبياء بمحمد وكان الله بكل شئ عليما ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله فتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صمًّا ، وقلوبا غـلفـا ، اللهم صل وسلم وبارك عـليـه وعلى آله وصحابته الذين كانوا رهبانا بالليل ليوثا بالنهار . . وبعد . . فالحديث عن الرسول ﷺ يحلو ويطول ، ويوقع الإنسـان فى الحيرة ، فجـوانب العظمة فى رسولنـا متعـددة ، فقـد اختاره ربه واصطفـاه ليبلغ عنه؛ فـهو مـثال للإنسـانيـة الكاملة ، وعنوان للآدمـيـة المهـذبة ، التى صُـقلت بالنبـوة ، ومحصت بالـرسالة ، وصدق الله : ﴿ وما ينطـق عن الهوى ﴾ النجم ٣ ، قال له ربه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء ١٠٧ ، ورُوى عن أبى هريرة مرفـوعا إلى الرسول ﷺ : ﴿ إنما أنا رحمـة مهداة ﴾ ، فقد أتم الله به الرسالات ، وخـتم بـه النبوات قـال تعالى : ﴿ مـا كان مـحمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النـبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴾ الاحزاب ٤٠ ، روى أبو هريرة الحديثَ المـتفقَ عليه أيضـا أن رسول الله ﷺ قال : (إن مثَلى ومثل الأنبياء من قبلى كـمثل رجل بنى بيتا وأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به،ويعجبون له، ويقولون : هلاَّ وُضِعَتْ هذه للبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).جاء لينقذ البشرية من ظلمات الشرك إلى نور الايمان ، ومن مـتاهات الضلال إلى وضح اليقين :

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ التوبة ١٢٨ ، روى أبو هريرة الحديثَ المتفقَ عليه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول : (إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وهم يقتحمون فيها) ، روى الأمام مسلم وأحمد أن عائشةَ سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : (كان خلُقه القرآنَ) أى أن الرسولَ ﷺ كان فى سلوكه وفعاله ترجمة لآى القرآن لا يحيد عن أحكامه ، ولا يند عن توجيهاته ، يقول أنس فى الحديث المتفق عليه : (خدمت النبىَّ عشرَ سنينَ ، فما قال لى أف ، ولا : لم صنعت ؟ ولا : ألا صنعت ؟) ويكفيه شرفا أن الله وصفه فقال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ القلم ٤ ، لقد بلغ من تواضعه ﷺ أن الجاريةَ كانت تأخذ بيده ، فتنطلق به حيث شاءت ، رواه البخارى ، وكان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى ينزع الرجل ، ولا يصرف وجهَه عنه حتى يصرف الرجل وجهه ، وبلغ من حلمه ﷺ أنه (جاء أعرابى فجذبه من قميصه جذبه أثّرت فى عنقه ، وقال له : يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه رسول الله وضحك ، وأمر له بعطاء) متفق عليه ورواه أنس ، وأما عن خشيته لله فهو أعرف الناس بربه ، تقول عائشة : كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا) متفق عليه ، وكان من خلقه الحياء ، روى أبو سعيد الخدرى الحديثَ المتفقَ

عليه : (كان النبى ﷺ أشدَّ حياء من العذراء فى خدرها) ، وكان جوادا كريما لا يرد سائلا ، وكان أجودما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآنَ كما رواه ابن عباس فى الحديث المفق عليه ، وكان رسول الله رفيقا يحب الرفقَ فى كل شئ يقول لعائشة : (إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه،ولا ينزع من شئ إلا شانه) رواه مسلم ، يقول له ربه : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ آل عمران ١٥٩ ، روت عائشة الحديثَ المتفق عليه : (ما خُيِّرَ رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرَهما ، مالم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعدَ الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تُنتهك حرمةُ الله،فينتقم لله تعالى) حدثت عائشة أن إعرابيا قال للرسول ﷺ : تُقبِّلون الصبيانَ ؟ فما نقبلهم ، فقال النبى : (أَوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) متفق عليه ، وروى أبو هريرة الحديثَ المتفقَ عليه أن الأقرع بن حابس رأى رسولَ الله ﷺ يقبل الحسنَ بنَ على فقال : إن لى عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه الرسولُ ثم قال : (من لا يرحم لا يرحم) . لقد لاقى رسولُ الله ﷺ فى سبيل الدعوة من الأذى والعنت مالا يتحمله بشر ، ولا يطيقه إنسان ، ويأتى إليه جبريل - كما ذكرت عائشة فى الحديث المتفق عليه - مع ملك الجبال ، فيقول لرسول الله ﷺ : قد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بأمرك .. فما شئتَ ؟ إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين (جبلين محيطين بمكة) فيقول له ﷺ : (بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا) ، وقيل له ﷺ : ادع على المشركين والعنهم ، قال : (إنما بعثت رحمة ولم

أبعث لعانا) رواه مسلم . هكذا يبدو حرص رسول الله على أمته ورفقه بهم ، وصدق من سماه الرءوفَ الرحيم . فحب رسول الله ﷺ دليل على الإيمان ، وعلامة على الإسلام ، روى أنسٌ الحديثَ المتفق عليه أن رسولَ الله ﷺ قال : (ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار) ، وعنه أيضا في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) ، والحب له علامة ، وهي طاعة المحبوب : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ آل عمران ٣١ . .

تعصى الإله وأنت تزعم حبَّه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كنت تصدق حبه لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

إن رسولَنا رائدُنا ، والرئد لا يكذب أهله ، والنجاة في اتباع هديه والخسران في البعد عن نهجه ، قال تعالى ﴿ **يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ يونس ٥٧ ، وقال : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ الاحزاب ٢١ .



شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة

الحمـد لله : من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، وأشـهد أن لا إله إلا الله كرَّم أمةَ محمد فجعلها شهيدةً على الأمم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الشفيع المشـفع ، صاحب الحوض والكوثر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . . وبعد :

روى البخارى عن جابـر أن رسولَ الله ﷺ قال : « من قال حين يسـمع النداء : اللهم رب هذه الدعـوة التامـة ، والصـلاة القائمـة ، آت محمدا الوسـيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما مـحمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى » ورُوى عن أبى هريره الحـديثُ المتفق عليه : « لكل نبى دعوة ، فأريد إن شـاء الله أن أختبئ دعوتى شـفاعةً لأمتى » وروى عن جـابر أيضا الحديث المتفق عليه : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى . . وعدَّ منها ، وأعطيت الشفاعة » . ففى الحديث الأول وردت كلمة الوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة لا ينبـغى أن تكون إلا لنبى ، أما المقام المحـمود فهو الذى ورد ذكره فى قوله تعـالى مخاطبا رسولَه : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يـبعثك ربك مقـاما محـمودا** ﴾ الإسراء ٣٩ ، والمقصود بالمقام المحمود : هو مقام الشفاعـة للرسول ﷺ يوم القيامة ، أما الحديث الثانى فيفـيد أن رسول الله له عند ربه دعوة ادخرها لتكون شفـاعة لأمته ، والحـديـث الثالث يفـيد أن رسـول الله ﷺ مـيـَّزه ربـه بخـمس،ومنهـا أنـه أعطى الشفاعة ، والشفاعة يوم القيامة أنواع : ١) الشفاعة فى أهل الموقف

٢) الشفاعة فى أن يدخل أهلُ الجنة الجنةَ ، وهاتان خاصتان برسولنا ﷺ
٣) الشفاعة فيمن استحق النار ، وهذه له ﷺ ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم . والأحاديث الواردة فى الشفاعة رواها الأئمة البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه عن كثير من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عمر وأنس وابن مسعود وجابر وغيرهم ، ومجمل ما قالوه : (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فأرَحنا من مكاننا هذا ، حيث تكون الشمسُ قريبةً من الرءوس ، والعرق يُلجم الأفواه ، فيأتون آدمَ ، فيقولون يا آدمُ : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شئ ، فاشفع لنا عند ربك ، حتى يريحَنا من مكاننا هذا ، فيقول لهم : لست هُناكم (بضم الهاء : أى لست أهلا لهذا العمل) ، لقد أغضبتُ ربى وأكلتُ من الشجرة ، وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ولكن ائتوا نوحا ، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحا ، فيذكر خطيئته فى سؤاله ربَّه ما ليس له به علم ، وأنه دعا على قومه فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ نوح ٢٦ ، ويقول : لست هُناكم ، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمن ، فيأتون إبراهيمَ فيذكر كذباته ويقول : لست هُناكم ، ولكن ائتوا موسى : عَبْد كلَّمه الله وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى ، فيذكر ما وقع منه من قَتْل نفس لم يؤمر بقتلها ، ثم يقول : لست هُناكم ، ولكن ائتوا عيسى : عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلم الناس فى المهد صبيا : فيأتون عيسى فيقول : لست هُناكم ولا يذكر ذنبا ، ولكنه يقول : ائتوا محمدا غفر الله له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر ، فيأتون محمدا ، فيقولون يا محمد : أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا عند ربك ، فيقول الرسول ﷺ : أنا لها ، ويقوم فيأتى تحت العرش ويخر ساجدا ويثنى على ربه ، فيقال : يا محمد : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فيرفع الرسول رأسه ويقول يا رب أمتى ، وفى رواية فيقول الرسول ﷺ: « يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض» فيشفَّع ، وقد فسر الرسولُ المقامَ المحمود فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة فقال : « هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى » ، والغرض من الشفاعة إظهار قدر الرسول ﷺ عند ربه ، والتنويه بمكانته ومنزلته بين الأنبياء ، وعلى رءوس الأشهاد يوم القيامة ، وليس معنى ذلك أن الشفاعة لكل من هبّ ودبّ ، إن الذين يستحقون شفاعةَ الرسول ﷺ هم مذنبو الصدقة : أى الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فالأصل فيهم الاستقامة ، والذنب عارض وطارئ على سلوكهم ، وذلك كما يحدث فى دولة من الدول تقوم بمناسبة عيد قومى بالإفراج عن بعض المحكوم عليهم بالسجن الذين قضوا أكثر المدة وثبت حسن سلوكهم ، وأيضا مثل ما تقوم به لجان الرأفة فى مراجعة نتائج الامتحانات فى دور التعليم حيث تُرفع درجةُ الطالب الذى يحتاج إلى درجتين أو ثلاث ليصير من الناجحين ، أما الطالب الذى يحتاج إلى درجات كثيرة ، فلا تفيده لجنة الرأفة بشئ فهو من الراسبين لا محالة ، فلو أفرج عن كل المسجونين لا فرق بين من يمثل خطرا على المجتمع وبين من ثبت صلاحه ، وكذلك لو نجح جميع الطلاب لا فرق بين مجتهد وكسول ، فتلك فوضى ، بل ظلم وافتراء ، وكذلك لو

شملت الشفاعةُ كلَّ الخطائين كما يظن بعض السذج ، وهذا فهم خاطئ للشفاعة لا يقره الدين ، ولا يرضى به صاحب الشفاعة ، فصريح القرآن الكريم يقول : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ الزلزلة ٨/٧ ، ويقول : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ النجم ٣٩/٤١ ، ويقول : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به** ﴾ النساء ١٢٣ ، ويقول صاحب الشفاعة ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة : « **من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » ، ويقول أيضا : « **ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقة العمل** »، ويقول لفاطمة « **أنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أملك لكم من الله شيئا** » رواه مسلم عن أبى هريره ، فالشفاعة لا تنال - إن شاء الله - إلا بالعمل الصالح والمداومة على الطاعات وحضور الجماعات ، والإكثار من الدعوات ، خاصة الدعوات التى تقال عقب الأذان والتى أشار إليها الحديث السابق : « **اللهم رب هذه الدعوة التامة . . . الخ** » . بذلك يحظى المسلم بشفاعة رسوله ويفخر بمنزلته عند ربه ، فرسولنا : (أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع) رواه مسلم عن أبى هريره ، وهو إمام الأنبياء وخطيبهم كما رواه أحمد والترمذى ، وأول من يدخل الجنة ، وأمته أول الأمم دخولا إلى الجنة ، وأبو بكر أول من يدخل الجنة من أمته ، قال ﷺ : « **أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصاً بها قلبه** » .

فاللهم لا تحرمنا شفاعة رسولك ، وارزقنا من العمل ما يجعلنا لها أهلا . . آمين .

(١) ومن الأمور التى تنال بها الشفاعة زيارة قبر المصطفى ﷺ حيث يقول (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) رواه الدارقطنى والبزار .

عذاب القبر والسعى بين الناس بالنميمة

الحمد لله يثبِّت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله حرَّم الجنةَ على كل هماز مشاء بنميم ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله استعاذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فقد روى البخارى عن ابن عباس أنه قال : مر النبى ﷺ بقبرين ، فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لا يستبرئ - وفى رواية لا يستتز - من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمه » ثم أخذ جريدةً رطبةً فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحدة ، قالوا يا رسول الله : لم فعلت هذا ؟ قال : « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » . وفى الحديث فوائد : الأولى : أن الله أطلع رسولَه ﷺ على حال صاحِبَىْ القبرين وما يلقيانه من عذاب وسبب ذلك العذاب ، وهذا خاص برسول الله ﷺ ، الفائدة الثانية : أن بركةَ رسولِ الله ﷺ حصلت لصاحبى القبرين حيث دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وغرز فى كل قبر واحدة بقصد تخفيف العذاب عنهما . . وتلك أيضا - كما ذكر العلماء - خصوصية لرسول الله ﷺ وصدق الله : ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ الإسراء ٤٤ ، الفائدة الثالثة : إثبات عذاب القبر ، وذلك ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله

الظالمين .. ﴾ إبراهيم ٢٧ ، فالقول الثابت في الحياة الدنيا هو الالتزام بكلمة التوحيد ، والقول الثابت فى الآخرة فهو عند سؤال القبر ، كما سيجئ فى الحديث المذكور بعد ، وأيضا يقول تعالى فى شأن فرعون وقومه : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ غافر ٤٦ ، وفيهم يقول تعالى : ﴿ **مما خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا** ﴾ نوح ٢٥ ، وكذلك قرَّع الرسولُ ﷺ قتلى القليب يوم بدر ، فناداهم بأسمائهم : يا أبا جهل بنَ هشام ، يا عتبةُ ابنَ ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة وسمَّى رءوسهم : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا ، قال عمر : يا رسول الله ، أتخاطب قوما قد جيفوا ؟ ، فقال : « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا » ، وقصة حبيب النجار الذى دعا قومه إلى اتباع الرسل الذين جاءوا إلى قريتهم فهجموا عليه وداسوه حتى خرجت أمعاؤه من دبره ومات فقال الله فيه : ﴿ **قيل ادخل الجنة** ﴾ يس ٢٦ . دليل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، وأما من السنة ما رواه البخارى ومسلم وبقية الجماعة عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سُئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ ، وفى رواية للإمام أحمد عن البراء وللترمذى عن أبى هريرة أن الميت إذا قُبر يأتيه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير ، فيقولان له : ما ربك وما دينك وما تقول فى الرجل المبعوث فيكم ؟ فأما المؤمن فيقول ربى الله ، ودينى الإسلام ، والرجل المبعوث فينا

هو محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله بــه مقعــدا فى الجنــة ، وأما الكافـر فيــقول : لا دَرَيْتُ ولا تَلَيْتُ، كنت أقول ما يقول الناس ، وفى رواية فيقول : هاه هاه لا أدرى ، ثم يصــيبــه من العذاب مــا قُـدِّر لــه ، وروى مثـلَ ذلك مــسلمٌ وأبــو داود والنسائى ، وقــد ورد أنــه عند سؤال المؤمــن تدفع عنـه أعــمالُه الصالحة ، فــالصلاة تكون عند رأســه ، والزكاة عـــن يمينـه ، والصوم عن يســاره ، وعمل الخيرات مـن الصدقة وصلـة الرحم والمعروف والاحسان عنـد رجليـه، كــمــا جاء فــى الحديث المــروى عــن أبى هريره ، وقــد ورد فى أكـثـر من حديث أن رسول الله ﷺ اسـتعاذ مـن عذاب القبر كـما فى الحديث الذى رواه مــسلم عـــن زيد ابن أرقم وعــن أبى هريرة ، وأمـــر ﷺ صــحـابتــه بالاستــعاذة منه ، وروى الإمام أحــمد عن البراء ابن عــازب أن رسول الله ﷺ فى جنــازة رجل من الأنصــار قال لصــحابتــه : « استــعيــذوا بالله من عذاب القــبر ، فإن عذاب القــبر حق » . وقد اســتحب أهل العلم ومنهم الشافعــى أن يلقن الميتُ الشهادتين ثلاثَ مرات بعــد دفنه ، للحديث الذى رواه الطبرانى عن أبى أمامة ، ويستحب أيضا أن يحثوَ من حضر دفنَ الميت ثلاثَ حثــوات بيديه على قــبره من جهــة رأسه ، يقول فــى الأولى ، منها خلقناكم ، وفى الثانية وفــيها نعيدكم ، وفى الثالثــة ، ومنها نخرجكم تارة أخــرى ، لما رواه ابن ماجــه أن الرسول ﷺ فــعل ذلك ، وروى أبو داود والحاكم والبزار عن عثمانَ رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فــقال : « استــغفروا لأخــيكم وسلوا له التثبــيت فإنه الآن يُســأل » ، وروى مسلم عن عــمرو بن الــعاص أنه قــال : « إذا دفنتمــونى

فأقيموا حول قبرى قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى استأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسلَ ربى »، وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أنس عن النبى ﷺ : « إن العبد إذا وُضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرعَ نعالهم » . أما الفائدة الرابعة من الحديث فهى أن أحد المعذَّبَيْن يُعذَّب لأنه كان لا يستبرئ من بوله ، يعنى يتعجل فيقوم قبل أن يفرغ فيصيبه النجس ولا يتطهر ، وفى رواية لا يستتر وعدم الاستبراء او عدم الاستتار عند قضاء الحاجة كلاهما فعل قبيح يتنافى مع وقار المسلم ، ويفسد صلاته لما يصيب ثيابَه من نجاسة ، وروى أبو داود وابن ماجه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد قضاء حاجته استتر حتى لا يراه أحد ، وقالت عائشة : « من حدثكم أن رسول الله ﷺ بال قائما فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا جالسا » رواه الخمسة إلا أبا داود ، فالإسلام دين النظافة والتجمل والوقار ، أما الفائدة الخامسة والأخيرة فهى بيان أن صاحبَ القبر الآخر كان يُعذَّب بسبب سعيه بين الناس بالنميمة : أى كان ينقل الكلامَ من فرد لآخر بقصد الإيقاع بين الناس وإحداث فتنة ، وإفساد ذات البين التى سماها الرسول (الحالقة) والمفروض فى المسلم أن ينقل من الكلام ما يُصلح النفوس ويزيل الضغائن من القلوب ، والكذب فى هذه المواقف مباح ، أما أن يتعمد إشعالَ الفتنة بنقل كلام قيل أو لم يُقَلْ ، فهذا ذنب يستحق هذا العذابَ الذى ورد فى الحديث المذكور ، ويؤكد ذلك الحديثُ المتفق عليه المروى عن حذيفة (لا يدخل الجنة نمام) ، روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال : ألا أخبركم بخياركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله عز وجل » ثم قال : « ألا

أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت » رواه ابن ماجه ، فهناك صنف من الناس ، لا يتقى الله، فى أعراض الناس ويجد لذةً ومتعةً فى أن يسمعَ كلمةَ سوء عن إنسان فينقلَها إلى من قيلت عنه ويضيف إليها ، مما يترتب على ذلك فساد بين المسلمين ، فرسولنا ﷺ يعتبر أن الإصلاحَ بين الناس أفضلُ من العبادات ، روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة » وروى أنس أن النبى ﷺ قال لأبى أيوب : « ألا أدلك على تجارة ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : تسعى فى إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم إذا تباعدوا » وكان الرسول ﷺ ينهَى صحابته أن ينقلوا إليه كلاما عن أحد من صحابته حتى لا يوغروا صدره عليه ، روى أبو داود والترمذى عن ابن مسعود أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا يبلّغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » ، ولذا ذم رسولُ الله ذا الوجهين الذى يتلون كالحرباء ، رُوى عن أبى هريرة الحديثُ المتفق عليه : (تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) .



من مشاهد يوم القيامة

الحمد لله الباقى فلا يلحقه عدم ، الدائم فلا يدركه فناء ، وأشهد أن لا إله إلا الله يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة ، الهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .... وبعد :

فلابد أن تنتهيّ هذه الحياةُ الدنيا قال تعالى : ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ﴾ يونس ٢٤ ، وتقوم القيامة ، ويومئذ يكون الهول العظيم ، والفزع الأكبر ، أما المؤمنون فهم فى أمان﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر** ﴾ الأنبياء ١٠٣ ،﴿ **وهم من فزع يومئذ آمنون** ﴾ النمل ٨٩ ، ويصور القرآن هذا الهولَ فيقول : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعه عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ الحج ٢/١ ، وهنا تبدأ الحياةُ الآخرة ، وينقسم الناس إلى فريقين : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، بعد أن يجمعهم ربهم للحساب فى يوم مشهود ، قال تعالى : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد** ﴾ هود ١٠٣/١٠٥ ، وقال تعالى : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون ، وأما**

الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ﴾ الروم ١٦/١٤ ، والمؤمنون فى هذا اليوم يُعرفون من وجوههم البيضاء ، فيها نضارة النعيم ، وعليها ابتسامة الفرحة ، وبشرى اليقين ، أما الكفار فوجوههم زرقاء أو سوداء عليها غبرة كقطع الليل المظلم ، قال تعالى : **﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ﴾** آل عمران ١٠٦/١٠٧ ، رُوى عن أبى هريره الحديثُ المتفق عليه : « إن أمتى يُدْعَوْن يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيلَ غرتَه فليفعل » ، وقال تعالى : **﴿ إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نظرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾** المطففين ٢٦/٢٢ ، وقال تعالى : **﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾** القيامة ٢٢/٢٥ ، وقال تعالى : **﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ﴾** عبس ٣٨/٤٢ ، وقال تعالى : **﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ﴾** يونس ٢٧ ، وقال تعالى : **﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾** الزمر ٦٠ ، وقال تعالى : **﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾** الرحمن ٤١ ، وقال تعالى : **﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾** طه ١٠٢ ، ويبعث الله للمؤمنين نورا يهتدون به إلى الجنة فيتبعهم

المنافقون فتُطفَأ الأنوار أمامهم ، فيقولون للمؤمنين انتظرونا ، فيقول لهم المؤمنون متهكمين : ارجعوا فابحثوا عن النور ، قال تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .. الآيات** ﴾ الحديد ١٢/١٥ ، ويطلب الكفار من المؤمنين المنعمين فى الجنة شربة ماء أو بعض الطعام فيردون عليهم : ﴿ **إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا .. الآية** ﴾ الأعراف ٥١ ، وفى هذا اليوم العصيب يقول كل إنسان : نفسى نفسى قال تعالى : ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون** ﴾ النحل ١١١ ، وقال : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ عبس ٣٤/٣٧ ، لا ينفع ابن أباه ولا أب ابنه : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا** ﴾ لقمان ٣٣ ، ويقول تعالى : ﴿ **يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه** ﴾ المعارج ١١/١٤ ، ولا تتحمل نفس ذنبّ نفس أخرى قال تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى** ﴾ فاطر ١٨ ، قال عكرمة : إن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول : يا بنى : أى والد كنتُ لك ؟ فيثنى خيرا ، فيقول يا بنى : إنى قد احتجت إلى مثقال

ذرة من حسناتك أنجـو بها مما ترى ، فيـقول له ولده : يا أبت ما أيسـر ما طلبت ، ولكنى أتخوف مثل مـا تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شـيئا ، ثم يتعلق بزوجـته فيقـول : يا فلانة : أى زوج كنت لك ؟ فتثنـى خيرا ، فيقول لها : إنى أطلب إليك حسنة واحدة لى لعلى أنجو مما ترين ، فتقول : ما أيسـر ما طلبتَ ولكنى لا أطيق أن أعطيَك شـيئا،إنى أتخـوف مثل الذى تتـخوف ، وتقـول الأم لولدها : يا بنى كـان بطنى لك وعـاء وثديى لك سقاء وحجرى لك فراشا،وقد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى ، فيقول لها: ما أيسر ما طلبت، ولكنى أتخوف مما منه تتخوفين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى ﴾ فاطر ١٧، وفى الحديث أن عائـشة ذكرت النار فبكت ، فـقال لها رسـولُ الله ﷺ ما يُبكيك ؟ قـالت ذكـرتُ النارّ فبـكيت ، فهل تذكـرون أهليكم يوم القيـامة ؟ فقال الـرسول ﷺ : أمَّا فى ثلاثة مواطن فـلا يذكر أحدٌ أحدا ، عند الميزان حتى يعلم أيخـف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتاب ، حين يقـال : هاؤم اقرءوا كـتابيـه حتى يعلـم أين يقع كتـابه فى يمينه أم فى شـمالـه أم وراء ظهـره ، وعند الصـراط إذا وضع بين ظهرَ انَىْ جـهنم ، وروى النسائى عـن عائشـة أن رسول الله ﷺ قـال : « يبـعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غـرلا » : أى غيـر مختونـين ، فقالـت عائشـة : فكيـف بالعـورات ؟ فقـال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ، فمن رجحت كفة سيـئاتهم على حسناتهم فيدخلون النار على قدر سيـئاتهم ثم يخرجون منهـا بشفاعـة الرسول ﷺ وبرحـمة رب العـالمين أرحم الراحمـين ، أما أصحاب الأعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيقول لهم الله بعد

أن يفصل بين العباد : (أنتم قوم أخرجَتْكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عـتقائى فارعَـوا من الجنة كيف شئتم) . . هكذا يصـور القرآن الكريم فرحـة المؤمنين وحسـرة العاصين . . فـهل عملتَ لهـذا اليوم الذى يشيب فـيه الوليـد ؟ قـال تعالى : ﴿ **يأيهـا الإنسان إنك كـادح إلى ربك كدحا فملاقيه** ﴾ الانشقاق ٦ ، ويقـول الرسـول ﷺ فيمـا يرويه الترمذى عن أبى هريرة : « من خـــاف أدلج،ومن أدلج بلغ المنـزل ، ألا إن سلعـةَ الله غاليـة ، إلا ان سلعة الله الجنة » أى من خاف أن يبيت فى مكان غـير آمن سار من أول الليل ، وكـذلك من خاف هول هذا اليـوم عمل له ، والجنة ثمنها العمل الصالح .



الموت ابلغ واعظ

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، واشهد أن لا إله إلا الله كل شئ هالك إلا وجهه ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال له ربه : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ الزمر ٣٠ ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . . وبعد : الله هو الخالد فلا يلحقه عدم ، الباقى فلا يدركه فناء ، وما سواه فان : ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾ القصص ٨٨ ، والإنسان ضيف فى هذه الدنيا ، ولابد أن يرحلّ عنها يومًا ما ، لكنه لا يدرى متى يرحل ولا أين ولا كيف ؟ ، هل سيموت على فراشه ووسط أهله ؟ أم سيموت فى حادث غرق أو محروقا ؟ لكن الحقيقة المؤكدة أن الموت حق ولابد منه .

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الأسباب والموت واحد

قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ آل عمران ١٨٥ ، ﴿ **أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾ النساء ٧٨ ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبىَّ فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل » وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، رواه البخارى ، فالموت كأس وكل الناس شاربه والموت باب وكل الناس داخله ، قال ملك الموت لنوح حين جاءه ليقبضَ روحَه : يا أطولَ الأنبياء عمرًا ، كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

قال الشاعر :

كل ابن انثى وإن طالت سلامته   يوما على آله حدباء محمول

نج نفسك يا مسكين إن كنت تنوح   لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

وقال :

وإذا رأيت جنازة محمولة   فاعلم بأنك بعدها محمول

ومن مات قامت قيامته الصغرى ، أما القيامة الكبرى فهى فناء العالم الدنيوى ، والمفروض أن يتعظ الإنسان بالموت ، فكل يوم نودع حبيبا إلى القبور، ثم نعود، وننسى أن نفكر متى تأتى ساعة رحيلنا ، فنحن فى غفلة عن كل هذا ، كأننا مخلدون فى الدنيا ، وكأن من سبقنا إلى الموت سيعودون، ورسولنا ﷺ يحثنا على تذكر الموت، روى الترمذى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : (أكثروا من ذكرها ذم اللذات) : أى قاطعها وهو الموت ، وصدق رسول الله ﷺ : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ، ويقول الحسن البصرى : ما رأيت حقا أشبه بباطل من الموت ، وفى صحف موسى : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصَب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها ثم هو اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل ، وصدق من قال :الناس فى غفلاتهم ورحى الموت تطحن ، ويقول ﷺ : (أيها الناس كأن الموت فى الدنيا على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون

من بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، ورحم أهل الذل وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن زكت نفسُه ، وحسنت خليقته ، وطابت سريرتُه ، وعزل عن الناس شرَّه ، وأنفق الفضلَ من ماله ، وأمسك الفضلَ من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يَعْدُها إلى البدعة) [رواه أنس ، وورد ذكره فى كتاب (أدب الدنيا والدين)] هل تذكرت أخى المسلم لحظةَ خروج الروح وأنت تودع الدنيا ، وتفارق الأهلَ والأحبابَ إلى مثواك الأخير . . فى هذه اللحظات تتكشف الحقائق ، فتظهر للمؤمن بشريات طيبة ، روى مسلم عن جابر أن الرسول ﷺ قال : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » ولكى تحسن الظن بالله لابد من إحسان العمل ، روى الترمذى وابن ماجه أن الرسول ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال : (كيف تجدك) ؟ قال : أرجو اللهَ وأخاف ذنوبى فقال ﷺ : « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجوه وأمنه مما يخاف » إن ملائكة الرحمة تتنزل على المؤمنين فتطمئنهم ألا خوف عليهم ولا حزن : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .. الآيات** ﴾ فصلت ٣٠/ ٣٢ ، وقال تعالى : ﴿ **الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ النحل ٣٢ ، روى الإمام أحمد عن أبى هريرة حديث : (إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجى أيتها الروح الطيبة ، فى الجسد الطيب ، كنت تعمرينه اخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان) ، أما والعياذ بالله المفرطون فتظهر لهم علامات تسوءهم ، حيث تنزل عليهم ملائكة العذاب لقبض

أرواحهم ، قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ الأنعام ٩٣ ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ الأنفال ٥٠/٥١ . فى هذه اللحظات يتمنى الكافر أن يعود للدنيا مرة ثانية ليؤمنَ ويتبعَ الرسلَ ، لكن هيهات ، فالله يقول : ﴿ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ المنافقون ١١ ، قال تعالى : ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ إبراهيم ٤٤/٤٥ ، ويقول تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ المؤمنون ٩٩/١٠٠ ، وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ السجدة ١٢ ، والحقيقة أنهم كاذبون قال تعالى : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ الأنعام ٢٨ ، وكذلك المؤمن صاحب المال الذى لا يخرج منه حق الله عندما يموت يتمنى أن يعود ليتصدق ، قال تعالى : ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدَكم الموتُ فيقولَ رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ المنافقون ١٠ .

هل استمعت أخى المسلم إلى آيات الله التى تصور اللحظاتِ الأخيرةَ فى حياة الإنسان إذا قرب الأجل ، ودنت ساعة الرحيل ، يقول تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق - أى هل من راقٍ يرقيه

ليشفيه ـ وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾ القيامة ٢٦/ ٣٠ ، فلا رقية تنفع ، ولا طب يفيد ، ولا علاج ، ويقول تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . . الآيات ﴾ الواقعه ٨٣/ ٩٦ ، ويقول تعالى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ، ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد .. الآيات ﴾ ق ١٩/ ٢٣ . . هل قرأتَ أو سمعتَ أخى المسلم هذه الآياتِ فتدبرتَها ؟ ، هل تذكرت حين توضع فى النعش ويحملك المشيعون ؟ ، روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا وُضعت الجنازة واحتملها الناس أو الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة ، قالت : يا ويلها ، أين تذهبون بها ؟ يسمع صوتَها كلُّ شئ إلا الإنسان،ولو سمعه لصعق) ، وهل تذكرت لحظةَ دفنك فى قبرك ومواراتك التراب ؟ والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ثم يعود المشيعون ، وتبقى وحيدا ليس معك إلا عملك ، روى أنسٌ الحديثَ المتفق عليه أن رسولَ الله ﷺ قال : (يتبع الميتَ ثلاثةٌ أهلُه وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) . وهل تذكرتَ حسابَ القبر ؟ حين يسألك الملكان : ما ربك وما دينك وما تقول فى الرجل المبعوث فيكم ؟ نسأل الله لنا ولك التثبيت ، قال تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ إبراهيم ٢٧ ، فتنبه أخى المسلم ولا تغرنك الحياة الدنيا (الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت،والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) رواه الترمذى .

الميت إما مستريح وإما مستراح منه

الحمد لله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كتب الموتَ على كل شئ حى ، والفناء لكل موجود ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال له ربه : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وبعد : الإنسان فى دنياه معرض للصحة والمرض ، فهل إذا أصيب بمرض عضال يتمنى الموت ؟ أم ماذا يقول ؟ أجاب عن ذلك الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه الجماعة عن أنس : (لا يتمنين أحدُكم الموتَ لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) ، وفى رواية فى الصحيحين : (لا يتمنين أحدُكم الموت ، إما محسنا فلعله يزداد وإما مسيئا فلعله يستعتب) وقد سأل رجل رسولَ الله ﷺ أى الناس خير ؟ فقال : (من طال عمره وحسن عمله) قال : وأى الناس شر ؟ قال : (من طال عمره وساء عمله) رواه أحمد والترمذى . . إذن . فمتى يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؟ إن خاف الفتنة فى دينه ، روى الترمذى وأحمد أن رسول الله ﷺ كان من دعائه : (اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات ، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة فى قومى فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك) ، وقد تمنت مريمُ الموتَ حين ولادتها عيسى عليه السلام ، فإنها عرفت أنها ستبتلى بهذا المولود حين تلقى قومها

فلا يصدقون قولها ، بل سيقذفونها بالفاحشة ، ويتهمونها بالزنا ، حيث لا زوج لها ، وقد كانت ناسكةً عابدة : ﴿ **قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** ﴾ مريم ٢٣ ، وكذلك تمنى يوسفُ الموتَ مسلما قال تعالى : ﴿ **توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** ﴾ يوسف ١٠١ ، قال ابن عباس : إن يوسفَ أولُ نبى دعا بهذا الدعاء ، وما تمنى نبى الموت قبل يوسف عليه السلام ، وكذلك طلب سحرةُ فرعون الموتَ حين آمنوا برب موسى وهارون ، واغتاظ منهم فرعون وتوعدهم بالقتل ، فقالوا : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** ﴾الاعراف ١٢٦، كما أنه يجوز للمسلم أن يتمنى الموتَ فى أحد الحرمين ، روى الطبرانى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : (من مات في أحد الحرمين بعث آمنا يوم القيامة) . . هل الميت يستريح بموته ؟ إن كان عمله صالحا ارتاح من تعب الدنيا ، وإن كان غير ذلك فقد أراح الناسَ منه ، روى البخارى ومسلم أن رسولَ الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال :(مستريح ومستراح منه) فقالوا : يا رسول الله ما المستريح ؟ وما المستراح ؟ فقال : (العبد المؤمن يستريح من نَصَب الدنيا ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب) ، وفى هذا يقول ﷺ فيما يرويه مسلم عن أبى هريرة : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) ، وروى الجماعة عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : (أسرعوا بالجنازة فإن كانت صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن كانت سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم). وحديث الناس عن الميت شهادة له أو عليه ، فقد روى البخارى ومسلم عن أنس قال : مروا بجنازة على النبى ﷺ فأثنوا عليها خيرا فقال : (وجبت) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا

فقال : (وجبت) ، فقال عمر بن الخطاب : ما وجبت ؟ فقال ﷺ (هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض) ، وقد جاء فى الأثر (أَلْسِنَةُ الخلق أقلام الحق) ، وليس معنى هذا إباحة سب الأموات ، فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك فى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفْضَوْا إلى ما قدموا) ، وروى أبو داود والترمذى بسند ضعيف حديث (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) . لكن المسلم الذى يعلن بفسق أو بدعة يباح ذكر مساوئه إذا كان فى ذلك مصلحة كالتحذير من عمله ، أما الكفار فلا مانع من لعنهم فقد لعنهم القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، وإذا شهد الجنازةَ عددٌ من المسلمين وصلُّوا عليها كانوا شفعاءَ للميت ، روى أحمد ومسلم وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال : (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفَّعهم الله فيه) ، وروى أحمد ومسلم والترمذى أن رسولَ الله ﷺ قال :(ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا) ، وإذا حضر المسلمَ الوفاةُ ولم ينطق بالشهادة ، فعلى من حضره أن يلقنه إياها ، فقد روى مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال :(لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)، وروى أبو داود وصححه الحاكم عن معاذ بن جبل ان رسول الله ﷺ قال : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) . .

والمسلم لا يموت إلا وهو يحسن الظن بالله ، روى مسلم عن جابر أنه سمع رسولَ الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : (لا يموتن أحدكم إلا

وهو يحسن الظن بالله) : أى لـيحرصْ المسلم أن يأتيَـه الموتُ وهو يحسن الظن بالله ، فلا ييأس من رحمـة الله ولا يقنط من عفو ربه ، ولن يحسنَ الظن بالله إلا إذا قدم صالحَ العمل ، فإذا أحسن المسلم العمل وأخلص فيه أحسـن الظن بالله . . وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لو يعلم المؤمن مـا عند الله من العقوبـة ما طمع بجنته أحـد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من رحمة ما قنط من جنته أحد) .



النار منفعة فى الدنيا وتذكرة بالآخرة

الحمد لله خلق نارَ الدنيا لننتفعَ بها فى حياتنا ، وتذكرنا بنار الآخرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل العصاة حطبَ جهنم ، وقودها الناس والحجارة ، وأشهد أن سيدّنا محمدا رسول الله ، كان يستعيذ بالله من النار ومن عذاب النار ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .... وبعد .. فمن مخلوقات الله النار ، وقد جعل الله من خواصها الإحراقَ ، وهو القادر على أن يجعلّها بردا وسلاما، كما حدث مع نبى الله إبراهيم ، حيث ألقاه الكفار فى نار علا لهيُبها فقال الله للنار : ﴿ يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ الانبياء ٦٩ ، والله وحده هو الذى يعذب بالنار ، فليس لمخلوق أن يعذبّ إنسانا أوحيوانا بالنار ، روى البخارى من حديث لأبى هريره أن رسول الله ﷺ قال : (إن النارَ لا يعذب بها إلا الله) ، كما روى أبو داود عن ابن مسعود حديث : (لا ينبغى أن يعذبَ بالنار إلا رب النار) ، وما من أحد إلا ورأى نارَ الدنيا وتعامل معها ، فلا يمكن أن يستغنيَ عنها الإنسانُ فى حياته ، فهو ينتفع بها ويستفيد منها فى الطهو والتدفئة وسائر المنافع الأخرى ، وقد تكون النار سببا فى إحداث الحرائق ، ووقوع الدمار ، ولذا نبهنا رسولنا ﷺ لذلك كما جاء فى الحديث المتفق عليه المروى عن أبى موسى الأشعرى : « إن هذه النار عدو لكم فاطفئوها » ، وحديث « لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون » ونارُ الدنيا تذكرنا بنار الآخرة ، رُوى عن عمر أنه قال

الصديد ، ومقامعها الحديد . . . ، ولعل بعضكم قد لسعت النارُ يدَه مرة فجذب يده سريعا . . فما بالكم بنار الآخرة ، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الآخرة كما ورد فى الحديث الذى رواه الإمام مالك عن أبى هريرة ، وروى مثلَه الإمامُ أحمدُ ، قال تعالى : ﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ التوبة ٨١ ، وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى ما فى النار من تذكرة بالآخرة ومنفعة فى الدنيا فقال تعالى : ﴿ أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ﴾ الواقعة ٧١/٧٣ ، والمراد بالشجرة التى وردت فى الآيات أنه كان عند العرب شجرتان إحداهما المرخ والأخرى العفار ، إذا أخذ منها غصنان أخضران فحُكَّ أحدُهما بالآخر تباين من بينهما شررُ النار ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ يس ٨٠ ، وقد أشارت الآيات إلى أن « نار الدنيا تذكرة » : أى تذكر بالنار الكبرى قال تعالى : ﴿ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ﴾ الأعلى ١١ ، ١٢ التى هى نار الآخرة ، أما نار الدنيا فهى الصغرى)،« ومتاعا للمقوين » : أى منفعة لجميع الناس مسافرين ومقيمين ، وقد حذرنا الله من النار وطلب إلينا أن نقيَ أنفسنا وأهلينا منها فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ التحريم ٦ ، وقال : ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ البقرة ٢٤، وفى الحديث : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » متفق عليه ، وقد قرن الله الآيات التى تتحدث عن النار بالآيات التى تتحدث عن الجنة ، حتى تكون العظةُ أبلغَ عند

المؤمن حين يحس مع آيات النار بلهيبها، ومع آيات الجنة بطيبها ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا مر بآية تتحدث عن النار استعاذ بالله منها ومن عذابها ، وإذا مر بآية تتحدث عن الجنة سأل الله الجنة . رواه الترمذى . . وقد روى البخارى عن أنس أن رسولَ الله ﷺ كان يدعو فيقول : ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ البقرة ٢٠١ ، قال المفسرون عن هذه الآية : «إنها جمعت كلَّ خير وصرفت كلَّ شر فى الدنيا والآخرة ، وكان رسولُ الله ﷺ يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم** » ، رواه مسلم ، وروى أبو داود عن عائشةَ أن رسولَ الله ﷺ كان يدعو بهذه الكلمات : « اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار ومن شر الغنى والفقر » ، ومن دعوات المؤمنين فى القرآن : ﴿ **ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** ﴾ آل عمران ١٦ ، ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم** ﴾ الفرقان ٦٥ . . وإن الله يُلقى بالعصاة فى النار ليكونو لها حطبا كما قال تعالى : ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** ﴾ الجن ١٥ ، وقال تعالى : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ الأنبياء ٩٨ ، أما الحجارة التى تلقى فى جهنم مع الناس فهى حجارة كبريتيه سوداء متنة ، تزيد النار اشتعالا ليكون حرها أشد ، وسعيرها أقوى ، قال تعالى : ﴿ **كلما خبت زدناهم سعيرا** ﴾ الإسراء ٩٧ ، وكلما أُلقى فى النار تقول : هل من مزيد ؟ قال تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ ق ٣١ ، روى عن أنس الحديث المتفق عليه أن النبى ﷺ قال : « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد ؟ ، حتى يضع رب العزة فيها قدمَه ، فتقول قطِ قطِ - يعنى كفى - وعزتِك

ويزوى - أى ينضم - بعضها إلى بعض »، وقد صورت الآياتُ ما ينال العصاةَ من عذاب أليم ، قال تعالى : ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد .. الآيات** ﴾ الحج ١٩ / ٢٢ ، وقال تعالى : ﴿ **ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ المؤمنون ١٠٣ / ١٠٤ ، ﴿ **يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** ﴾ القمر ٤٨ ، وحين يُلقى الكفار فى النار يشعرون بالندم حيث لا يفيد الندم ، قال تعالى : ﴿ **يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾ الأحزاب ٦٦ ، ويحكى القرآنُ الكريم قولَهم ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ المؤمنون ١٠٧ ، ويعرض القرآنُ هذا الحوارَ بين أصحاب الجنة وقد سكنوها وبين أصحاب النار وقد سعروها ﴿ **ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذَّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** ﴾ الاعراف ٤٤/٤٥ ، ﴿ **ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين** ﴾ الاعراف ٥٠ / ٥١ .

وقد جاء فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادى منادٍ يا أهلَ الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم » ، فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك .

روى مسلم فى صحيحه من حديث لأبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فِيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة فِيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها .



الجنة دار النعيم المقيم

الحمد لله وعد الطائعين بجنتــه ، وأشهد أن لا إله إلا الله أعد لهم فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسولُ الله أول من يقرع باب الجنة ، وأول من تفتح له ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . . وبعد :

فى خطبة سابقة تحدثت عن النار ، وقـلت إن اللهخلقها لننتفعَ بها فى الدنيـا وتذكرنا بنار الآخرة ، والـيوم أتحدث عن الجنة الـتى أعدها الله للمـتقين ، قال تـعالى : ﴿ **وسارعـوا إلى مغفـرة من ربكم وجنة عرضـها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ آل عمران ١٣٣ ، وقال : ﴿ **سابقوا إلى مغفـرة من ربكم وجنة عرضهـا كعرض السمـاء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ..** ﴾ الحديد ٢١ ،وروى أحمد والترمذى أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله خلق الجنةَ ، لبنةً من ذهب ، ولبنة من فـضة ، وجعل مِـلاطها - أى طينها - المسك ، وحصباءها اللؤلؤَ واليـاقوتَ ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وروى أنس وابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال : « حين خلق الله جنةَ عدْن قال لها : تكلمى : قالت : قد أفلح المؤمنون ، قال : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فـيك بخيل » ، وجـاء فى الحديث المتفق علـيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قـال : « قال الله تعالى : أعـددتُ لعبادى الصـالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرءوا إن شئتم :

فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » ، ففى الجنة ما تشتهى الأنفس من مطعم ومشرب وملبس وحورعين ، أكلها دائم وظلها لا ينتهى ، قال تعالى : ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ الرعد٣٥ ، وفى الجنة أنهار من الماء واللبن والخمر والعسل ، قال تعالى : ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم** ﴾ محمد ١٥ ، وقال تعالى : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون** ﴾ الزخرف ٧٠/٧٣ ، وقال تعالى : ﴿ **قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية** ﴾ الحاقة ٢٣ / ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا** ﴾ الإنسان ١٨/١٧ ، أما كسوة أهل الجنة فالحرير الأخضر من سندس وإستبرق ، وأما حليتهم فالذهب واللؤلؤ ، قال تعالى: ﴿ **جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا و لباسهم فيها حرير** ﴾ فاطر٣٣ وقال :﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق** ﴾ الكهف ٣١ ، وقال : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** ﴾ الحج ٢٣ ، وقال : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** ﴾ الإنسان ٢١ ، وجاء فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » ، لقد حرّم الله الذهب والحرير على الرجال وحرم الخمور فى الدنيا فأطاعوا ، فكافأهم ربهم بأن أحلّها لهم

فى الآخرة ، لكن خمر الآخرة لا تُذهب العقل ، ولا تصيب بالقئ ، قال تعالى : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها يُنزَفون ﴾ الصافات ٤٥ /٤٧ ، جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » وقال : « هى لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة » . وفى الجنة أيضا ﴿ حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ الواقعة ٢٢ /٢٣ ، ومزاج الجنة معتدل ، ليس هو بالحر المزعج ، ولا بالبرد المؤلم ، قال تعالى : ﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ الإنسان ١٣ ، وإذا كان الإنسان فى الدنيا يصيبه المرضُ والهرم وينزل به الحزن والتعب ، فإن الجنة ليس فيها حزن ولا نَصَبٌ ، ولا غِل ولا حسد ، ولا خوفٌ ولا حزن ، ولا هرم ولا مرض، قال تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ فاطر ٣٤ /٣٥ ، وقال : ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ الأعراف ٤٩ ، وفى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم فى دخول الجنة ، قال تعالى: ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ الحجر ٤٧، وقال تعالى : ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار ﴾الأعراف ٤٣ ، روى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ ينادى مناد : إن لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن ،

تصحُوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا » . وللجنة أبواب ثمانية روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون » متفق عليه ، وفى صحيح مسلم عن عمرَ بنِ الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وأول من يقرع باب الجنة رسولنا ﷺ روى مسلم أنه ﷺ قال : « أنا أول من يقرع باب الجنة » ، وروى أحمد ومسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « آتى باب الجنة يوم القيامة أستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد - قال - فيقول : بك أُمرتُ ألا أفتح لأحد قبلك » . والملائكة تحيىّ أهل الجنة قائلين : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ الرعد ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فيها تحية وسلاما ﴾ الفرقان ٧٥ ، وعندما يعاينون نعيمَ الجنة يقولون : ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ الزمر٧٤ ، ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ الأعراف ٤٣ ، ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ فاطر ٣٤ ، والله هو الذى ألهمهم هذا الكلمَ الطيبَ ، قال تعالى : ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول ﴾ الحج ٢٤ .. والجنة امتنان من الله وتفضل على عباده ، وليست مقابل ما قدموا من عمل صالح ، فقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : لن يدخلَ أحدكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله تعالى برحمة منه وفضل » . وقد بشر

الصادق المصدوق ﷺ عشرةً من أصحابه بالجنة؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » وروى مسلم والبخارى والنسائى أن رسولَ الله ﷺ بشر عبدَ الله بنَ سلام بالجنة . فيالسعادتهم بُشِّروا بالجنة قبل أن يرحلوا عن هذه الدنيا . هذه هى الجنة غاية كل مسلم ، ومرام كل مؤمن ، فيها النعيم المقيم ، والثواب العظيم ، أعدَّها الله للمتقين ، والجنة سلعة الله ، ألا إن سلعة الله غالية ، فاللهم اجعلنا من أهلها ، ووفقنا للعمل الذى يرضيك : جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سألتم اللهَ الجنةَ فاسألوه الفردوسَ ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوق عرش الرحمن » .

تمت بحمد الله تعالى

فله الفضل والمنة

فهرس الكتاب